المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الحلقات الدراسية

التاريخ والآثار

الحلقة الدراسية الأولى

القاهرة

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الحلقات الدراسية

التاريخ والآثار

الحلقة الدراسية الأولى

٤ — ٩ من فبراير سنة ١٩٦١

القاهرة

يحتوى هذا الكتاب على مجموعة الكلمات والدراسات التى
ألقيت فى الحلقة الدراسية الأولى للتاريخ والآثار التى أقامها
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
فى المدة من ٤ — ٩ من فبراير سنة ١٩٦١



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

رأت لجنة التاريخ والآثار ، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، الدعوة إلى عقد اجتماع مشترك لأعضاء لجنتى التاريخ والآثار بإقليمى الجمهورية ، وذلك للتعارف والتمهيد لعقد مؤتمر لرجال التاريخ والآثار فى البلاد العربية ، وعرض هذا الرأى على لجنة التاريخ والآثار بالإقليم الشمالى فوافقت عليه ، وأقرته شعبة العلوم الاجتماعية بالمجلس ثم وافق مكتب المجلس على أن تعقد حلقة الدراسات التاريخية والأثرية بالقاهرة فى المدة من ٤ ــ ٩ فبراير سنة ١٩٦١

وقد رئى أن يعد كل عضو بحثاً مكتوباً عن الموقف الراهن للموضوع الذى يعنى به ، وشكلت لجنة فرعية لتلقى البحوث وإعداد تنظيم انعقاد الحلقة وكانت حفلة الافتتاح بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع ، وأما بقية اجتماعات الحلقة فقد عقدت بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

ولم تقتصر أعمال الحلقة على إلقاء البحوث ومناقشتها بل نظمت زيارات للمتاحف والمناطق الأثرية ، وكان افتتاح تلك الرحلات فى اليوم الأول ٤ من فبراير عقب حفل الافتتاح حيث انتقل الأعضاء إلى زيارة الجامع الطولونى أقدم الجوامع التى احتفظت بطابعها وتفصيلها بمصر . وبعد أن تجول الأعضاء فى أنحائه وشاهدوا روائعه المعمارية شاهدوا كذلك مدى الدقة

فى الوقت الذى يعدّ فيه نشر دراسات وقرارات تلك الحلقة ، فجعنا وفجع العالم العربى والإسلامى يوم ٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٦١ نبأ مروع هو وفاة الأستاذ محمد شفيق غربال ، وكان لهذا النبأ هزة عنيفة فى الأوساط العلمية . فقد كان رحمه الله عالمـــا محققا ودارسا مدققا تتلمذ عليه مؤرخو هذا الجيل وكان له فضل الإسهام المنتج فى الأوساط والمجامع العلمية . وبفقده فقد العالم العربى والإسلامى ذخيرة لا تعوض ؛ رحمه الله رحمة واسعة .

المُحْتَوَىٰ

المحتـــوى

الصحيفة

كلمات الافتتاح

كلمة الأستاذ أحمد نجيب هاشم وزير التربية والتعليم للإقليم المصرى ورئيس شعبة العلوم الاجتماعية بالمجلس ٥

كلمة الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المقرر العام للجنة التاريخ والآثار بالمجلس ٩

كلمة الدكتور نور الدين حاطوم مقرر لجنة التاريخ بالإقليم السورى ١٥

لوحات الصور التى أخذت للسادة أعضاء الحلقة ... ...

البحوث التى ألقيت فى الحلقة

١ – منهج دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم ومنهج تاريخ الحضارة ... ... للدكتور أحمد فخرى ٢١

٢ – مشروع إنقاذ آثار النوبة وآخر البحوث التى تجرى فيها ... ... للدكتور عبد المنعم أبو بكر ... ٣٧

٣ – الألقاب الفخرية فى مصر فى عهد البطالمة ... للدكتور إبراهيم نصحى ٥٣

٤ – التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر ... للأستاذ حسن عبد الوهاب ٨٣

٥ – رعاية الآثار الإسلامية ... ... للدكتور جمال محرز ١٠٧

٦ – ترميم الآثار ... ... للمهندس محمد عبد الفتاح حلمى ... ١١٥

٧ – المعاجم التاريخية والأثرية... ... ... للأستاذ عمر رضا كحالة ١٢٥

٨ – الملابس فى العصر الأموى وقاموس دوزى ... للدكتور نبيه عاقل ١٣١

٩ – المتاحف فى الإقليم السورى ... ... للأستاذ بشير زهدى ١٣٩

١٠ – وجوب العودة للتأليف التاريخى على أساس الخطط ... ... للأستاذ محمد شفيق غربال ١٤٩

١١ – دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للدكتور محمد مصطفى زيادة ... ١٥٥

١٢ – المستشرقون والتاريخ العربى ... ... للدكتور محمد كامل عياد ١٦٩

١٣ – البحوث الأندلسية ... ... للأستاذ محمد عبدالله عنان ١٧٧

الصحيفة

١٤ – العراك بين المماليك والأتراك ... ... للأستاذ محمد أحمد دهمان ١٨٥

١٥ – حول تاريخ بلادالشام فى القرن العاشر الهجرى ، (السادس عشر الميلادى) ... للآنسة ليلى الصباغ ١٩٥

١٦ – أهمية الوثائق وتاريخ الإقليم السورى ... الدكتور نادر العطار ٢٠٥

١٧ – أزمة الدراسات التاريخية والأثرية فى الإقليم السورى ... ... الدكتور نور الدين طاحوم ... ٢١٥

١٨ – استكمال التأهيل العلمى لمدرسى التاريخ ... الدكتور علاء الدين الخانى ٢٢٧

التوصيات التى أقرتها الحلقة

أولا – التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥١

ثانياً – التوصيات الخاصة بوزارة التربية والتعليم ٢٥٣

ثالثاً – التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى للجامعات ٢٥٤

رابعاً – التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ٢٥٥

اللوحات الخاصة بالبحوث .

١ – اللوحات الخاصة ببحث « التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر » للأستاذ حسن عبد الوهاب .

٢ – اللوحات الخاصة ببحث « ترميم الآثار » للمهندس محمد عبد الفتاح حلمى .

قائمة اللوحات

أولا — الصور التى أخذت لأعضاء الحلقة .

السادة أعضاء الحلقة فى زيارة الجامع الطولونى
بعض الأعضاء فى زيارة المتحف القبطى
بعض الأعضاء فى حفلة الغداء
الجلسة الختامية

ثانيا — الصور الخاصة ببحث « التأثيرات المعمارية بين آثار سورية ومصر » للأستاذ حسن عبد الوهاب .

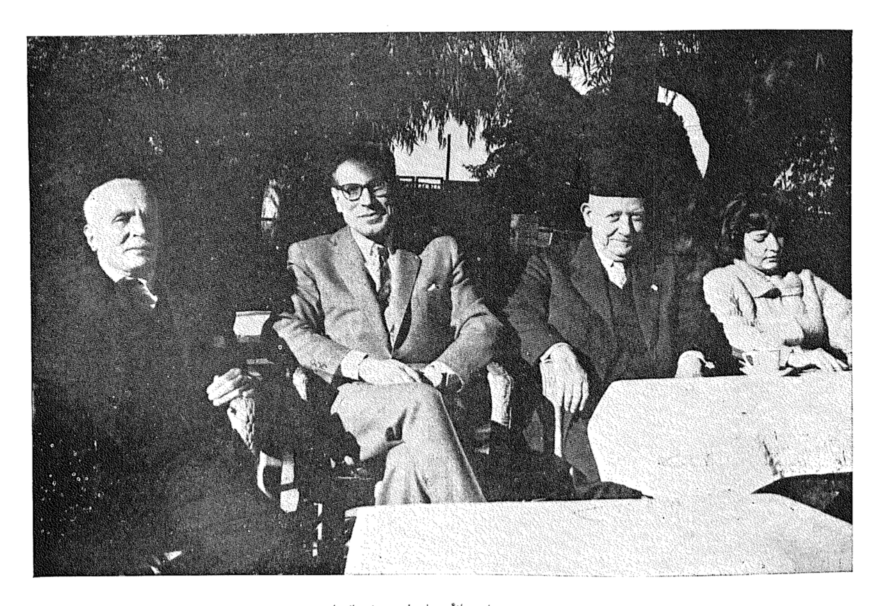
١ — شبابيك جصية من قصر الحير الغربى ببادية الشام (جنوبى غربى تدمر) سنة ١٠٩ ﻫ ٧٢٧ م
٢ — شباك جصى بالجامع الطولونى بمصر سنة ٢٦٥ ﻫ ٨٧٨ م
٣ — شباك جصى بالجامع الطولونى بمصر « « «
٤ — محراب طولونى بالجامع الأموى بدمشق (القرن الثالث الهجرى . القرن التاسع الميلادى)
٥ — محراب خشبى متنقل من مشهد السيدة رقية بمصر (سنة ٥٢٧ ﻫ ١١٣٢ م)
٦ — تفاصيل من المحراب الخشبى بالمدرسة الحلوية بحلب ، وعليه اسم صانعه ، أبو الحسن محمد ابن الحرانى (سنة ٦٤٣ ﻫ . ١٢٤٥ م)
٧ — قبة مدرسة نور الدين الشهيد بدمشق (سنة ٥٦٧ ﻫ . ١١٧٢ م)
٨ — قبة صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ ﻫ . ١١٩٥ م)
٩ — قبة عبد الرحمن ، بالدحداح بدمشق (العصر الأيوبى)
١٠ — تفاصيل من تابوت صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ ﻫ . ١١٩٥ م)
١١ — تابوت الإمام الشافعى بمصر (سنة ٥٧٤ ﻫ . ١١٧٨ م)
١٢ — تفاصيل من تابوت المشهد الحسينى بالقاهرة ، بمتحف الفن الإسلامى (حوالى سنة ٥٧٥ ﻫ . ١١٧٩ م)
١٣ — قبة الإمام الشافعى (سنة ٦٠٨ ﻫ . ١٢١١ م)
١٤ — تفاصيل من تابوت أم الملك الكامل بقبة الإمام الشافعى (سنة ٦٠٨ ﻫ . ١٢١١ م)
١٥ — باب مدفن السادات الثعالبة (سنة ٦١٣ ﻫ . ١٢١٦ م)

١٦ – مدخل المدارس الصالحية : الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤١ هـ . ١٢٤٣ م)
١٧ – قبة الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)
١٨ – قبة شجر الدر بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)
١٩ – زخارف جصية بقبة الخلفاء العباسيين بمصر (حوالى سنة ٦٤٠ هـ . ١٢٤٣ م)
٢٠ – قبة ومنارة أبو الغضنفر أسد الفائزى بالقاهرة (أواخر العصر الأيوبى)
٢١ – مصراع باب المدرسة الشاذبختية (الشيخ معروف) بحلب (سنة ٥٨٩ هـ . ١١٩٣ م)
٢٢ – مصراع باب خان خيربك بحلب (سنة ٩٢٨ هـ . ١٥١٤ م)
٢٣ – باب المدرسة السلطانية بحلب (سنة ٦١٣ – ٦٢٥ هـ . ١٢١٦ – ١٢٢٧ م)
٢٤ – العقد الغريب بمطبخ العجمى بحلب (القرن الثالث عشر الميلادى)
٢٥ – محراب مدرسة الفردوس بحلب (سنة ٦٣٣ هـ . ١٢٣٥ م)
٢٦ – باب رباط أزدمر . مصطفى باشا حاكم اليمن بشارع القادرية بالإمام الشافعى بمصر (حوالى سنة ٦٦٦ هـ . ١٢٦٧ م)
٢٧ – الإيوان الغربى ببيمارستان أرغون الكاملى بحلب (سنة ٧٥٥ هـ . ١٣٥٥ م)
٢٨ – التيجان العربية فوق العمد فى بيمارستان أرغون الكاملى بحلب(سنة ٧٥٥ هـ – ١٣٥٥ م)
٢٩ – العقود حول صحن الجامع الأموى بدمشق (سنة ٨٦ هـ . ٧٠٥ م)
٣٠ – العقود حول صحن مسجد الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل بمصر (سنة ٧٣٥ هـ . ١٣٣٥ م)
٣١ – كسوة رخامية فى باب مسجد أصلم السلحدار بمصر (سنة ٧٤٥ هـ . ١٣٤٥ م)
٣٢ – كسوة رخامية فى باب مسجد برقوق بمصر (سنة ٧٨٨ هـ . ١٣٨٦ م)
٣٣ – كسوة رخامية فى باب التربة الأرغونية بدمشق
٣٤ – طراز مكتوب بالخطين الكوفى والنسخى برقبة القبة البحرية بخانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية بالقاهرة (سنة ٨٠٣ هـ . ١٤٠٠ م)
٣٥ – طراز مكتوب بالخطين الكوفى والنسخى بالمدرسة الجقمقية بدمشق (٨٢٤ هـ . ١٤٢١ م)
٣٦ – طراز مكتوب بالخط الكوفى بمدرسة السلطان حسن بمصر (سنة ٧٥٧ – ٧٦٤ هـ)
٣٧ – طراز مكتوب بالخط الكوفى فى مسجد يلبغا بدمشق (سنة ٧٤٧ هـ . ١٣٤٧ م)
٣٨ – مدخل مسجد الفستق (المدرسة الصاحبية) بحلب (سنة ٧٥٠ هـ . ١٣٥٠ م)
٣٩ – عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى بالقاهرة (سنة ٦٦٧ هـ . ١٢٦٩ م)
٤٠ – منبر الجامع الكبير بحلب (أوائل القرن الثامن الهجرى)
٤١ – منبر مسجد حدق القهرمانة بمصر (سنة ٧٤٠ هـ . ١٣٤٠ م)
٤٢ – منبر المسجد الكبير بحماه (القرن الخامس عشر الميلادى)
٤٣ – منبر مسجد تغرى بردى بمصر (سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)
٤٤ – محراب ومنبر مسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)

٤٥ – محراب ومنبر مسجد الملكة صفية بمصر (سنة ١٠١٩ هـ . ١٦١٠ م)
٤٦ – قاشانى دمشقى بمسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)
٤٧ – قاشانى تركى بمدفن إبراهيم أغا بمسجد آق سنقر بمصر (سنة ١٠٦٢ هـ . ١٦٥١ م)
٤٨ – قبة المنوفى بالقرافة القبلية بمصر (نهاية القرن الثالث عشر الميلادى)
٤٩ – قبة خان أسعد باشا العظم بدمشق (سنة ١١٦٦ هـ . ١٧٥٢ م)
٥٠ – منارة الجامع الكبير بمعرة النعمان
٥١ – منارة الجامع الكبير بحلب
٥٢ – منارة المدرسة السفاحية بحلب (سنة ٨٢٨ هـ . ١٤٢٤ م)
٥٣ – منارة المولوية بحلب (سنة ١٢٧٨ هـ . ١٨٦١ م)
٥٣ – منارة مسجد الموازينى بحلب (سنة ٧٩٧ هـ . ١٣٩٤ م)
٥٤ – منارة الجامع الطولونى بمصر (سنة ٦٩٦ هـ . ١٢٩٦ م)
٥٥ – منارة الجامع العتيق بإسنا (سنة ٤٧٠ هـ . ١٠٧٧ م)
٥٦ – منارة مدارس الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤١ هـ)
٥٧ – منارة مدرسة سنقر السعدى حسن صدقه (سنة ٧٢١ هـ)
٥٨ – منارة خانقاه قوصون (سنة ٧٣٦ هـ)
٥٩ – منارة مدرسة الجاى اليوسفى (سنة ٧٧٤ هـ)
٦٠ – منارة مسجد آسنبغا (سنة ٧٧٢ هـ)
٦١ – منارة مسجد القاضى يحيى بشارع الأزهر (سنه ٨٤٨ هـ . ١٤٤٤ م)
٦٢ – منارتا مسجد المؤيد شيخ فوق باب زوينة (سنة ٨٢٣ هـ . ١٤٢٠ م)
٦٣ – منارة السلطان قايتباى بالأزهر (سنة ٨٧٣ هـ . ١٤٦٨ م)
٦٤ – منارة مسجد تميم نجم الرصافى (تم رصاص) بحارة السيده زينب (قبل سنة ٨٧٦ هـ)
٦٥ – منارة مسجد قايتباى بقلعة الكبش (سنة ٨٨٠ هـ . ١٤٧٥ م)
٦٦ – منارة مدرسة جاتم البهلوان بالسروجية (سنة ٨٨٣ هـ . ١٤٧٨ م)
٦٧ – قبة زين الدين يوسف (سنة ٦٩٧ هـ . ١٢٩٨ م)
٦٨ – قبة الخانقاه البندقدارية (سنة ٦٨٢ هـ . ١٢٨٥)
٦٩ – قبة تنكزبغا بصحراء السيوطى (القرافة القبلية) (سنة ٧٦٤ هـ . ١٣٦٤ م)
٧٠ – قبة الأشرف برسباى بالقرافة الشرقية (سنة ٨٣٥ هـ . ١٤٣١ م)
٧١ – قبة الأمير برسباى البجاسى بالقرافة الشرقية (سنة ٨٦١ هـ . ١٤٥٣ م)
٧٢ – قبة قانصوه أبو سعيد بالقرافة الشرقية (سنة ٩٠٤ هـ . ١٤٩٩ م)
٧٣ – قبة المدرسة الجوهرية بالجامع الأزهر (قبل سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)
٧٤ – قبة مسجد قانيباى أمير آخور بميدان صلاح الدين (سنة ٩٠٨ هـ . ١٥٠٣ م)

ثالثاً — الصور الخاصة ببحث « ترميم الآثار » للمهندس عبد الفتاح حلمى

١ — واجهة مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح
٢ — واجهة مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح
٣ — داخل مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح
٤ — داخل مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح
٥ — داخل مسجد المارداني (الصحن) قبل الإصلاح
٦ — صحن جامع المارداني بعد الإصلاح
٧ — داخل مسجد المارداني (المحراب والمنبر) قبل الإصلاح
٨ — داخل مسجد المارداني بعد الإصلاح
٩ — خانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية قبل الإصلاح
١٠ — خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح
١١ — داخل خانقاه فرج بن برقوق قبل الإصلاح
١٢ — داخل خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح
١٣ — داخل وكالة الغوري قبل الإصلاح
١٤ — داخل وكالة الغوري بعد الإصلاح
١٥ — واجهة مسجد الأشرف برسباي بالخانكة قبل الإصلاح
١٦ — واجهة مسجد الأشرف برسباي بالخانكة بعد الإصلاح
١٧ — داخل مسجد الأشرف برسباي بالخانكاه قبل الإصلاح
١٨ — داخل مسجد الأشرف برسباي بالخانكاه بعد الإصلاح
١٩ — منزلا الكريتلية وآمنة بنت سالم قبل الإصلاح
٢٠ — منزلا الكريتلية وآمنة بنت سالم بعد الإصلاح
٢١ — منارة مدرسة صرغتمش قبل فكها
٢٢ — منارة مدرسة صرغتمش بعد إعادة تركيبها
٢٣ — مسجد محمد على وقت الإصلاح
٢٤ — مسجد محمد على بعد الإصلاح



بعض حضرات الأعضاء فى حفلة الغداء



الجلسة الختامية



السادة أعضاء الحلقة فى زيارة الجامع الطولونى



بعض الأعضاء فى زيارة المتحف القبطى


التاريخ والآثار
الحلقة الدراسية الأولى

كَلِمَاتُ الافْتِتَاحِ

الأستاذ أحمد نجيب هاشم

باسم الله أفتتح هذه الحلقة وأسأله التوفيق .

سيداتى و سادتى

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم تلبية الدعوة لحضور حلقة الدراسات التاريخية والأثرية هذه التى أعدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وإذا كانت هذه الحلقة توجه اليوم عنايتها الأولى إلى دراسة التاريخ القديم والحديث للجمهورية العربية المتحدة ، وآثارها الخالدة ، فإنى أرجو أن يمتــد غداً نطاق الحلقات القادمة فتشمل دراساتها تاريخ البلاد العربية جميعا فأصلها واحد ، وتاريخها واحد ، ولغتها واحدة ، تربطها بعضها ببعض أواصر قوية من الأمانى المشتركة ، ووشائج متينة من المصالح المتبادلة . ولاشك فى أن هذه الدراسات نتيجة حتمية للوعى القومى العربى الذى يزداد على مر الأيام قوة وازدهارا . ولست فى حاجة إلى أن أذكر لحضراتكم أن الدراسات التاريخية والأثرية من الوسائل الفعالة لتقوية الروح القومية فى النفوس والنهوض بالشعوب الطموحة الوثابة إلى مكانها من العــزة والكرامة .

ونحن ، خلال هذه الحقبة الحاسمة من تاريخنا المجيد أشد مانكون احتياجاً إلى التعمق فى دراسة هــذا التاريخ ، قديمه ووسيطه وحديثه ، والتعريف به . وسترون خلال دراساتكم المثمرة هذه أنه سوف تتشعب بكم الاتجاهات ، وتتسع دوائر النقاش وحلبات الجدل ، ولكن سيتم ذلك

فى روح من أصالة الرأى ونضوج الفكر ، فالعناصر الحاقدة على الشرق العربى فى نهضته الكبرى كثيرة قوية تتربص به ، وتضيق عليه الخناق ، وتتلمس ثغرة تنفذ منها لتضرب ضرباتها الخبيثة الماكرة . ومكاننا فى الشرق العربى وواجبنا المقدس يحتمان علينا اليقظة المستمرة والسهر الدائم على الاحتفاظ بتراثنا الخالد وأعمالنا المجيدة وأمجادنا الغراء حتى تكون حافزا لنا فى بناء مستقبل مشرق لايقل روعة وجلالا عن ماضينا العظيم .

وستجدون أن ميادين البحوث التاريخية والأثرية الخاصة بالأمصار العربية متسعة ومجالاتها فسيحة الرحاب ، فبلادنا منبع الحضارة البشرية ، وقد حملت مشعل التقدم الإنسانى منذ آلاف السنين ، وسارت فى مقدمة ركب الحضارة بين أمم العالم طراً ، ولقد كانت الصلات التى ربطتنا وسائر أعضاء الأمــة العربية مستمرة متصلة الحلقات فى مختلف العصور وتباين الأحداث .

ويمكننى أن أؤكد لحضراتكم أيها السادة أنه سيكون لدراساتكم فى هذه الحلقة المباركة أثر عميق فى الدفع القومى والتوجيه العلمى — وإنى واثق أنكم ستصلون بدراساتكم إلى نتائج طيبة تكافئكم على جهودكم ومناقشاتكم المثمرة وتنير لنا السبيل خلال الأعاصير الجامحة والأحداث العاصفة التى تكاد تورد العالم اليوم موارد التهلكة .

وأنتهز هذه الفرصة فأهنىء هؤلاء السادة الدارسين المؤمنين برسالتكم المتطلعين إلى ثمار أعمالكم ودراساتكم فسوف ينتفعون فى مختلف النواحى بما ستقومون به من بحوث خلال جلسات هذه الحلقات التى حرصت على أن يحضرها عدد من المشرفين على تدريس التاريخ فى مدارسنا ومعاهدنا .

ويجمل بى أن أذكر فى هذا المقام أننى سعدت حين دخلت إلى هذه القاعة بلقاء أستاذى المؤرخ الكبير محمد شفيق غربال وتحدث لى عن هذه الحلقة وموضوعاتها فأشار أنه من محاسن الصدف أن تعقد فى وقت نسمع فيه كلمة حق فى قضية تهم العرب جميعاً ؛ كلمة تخرج من فم عالم جليل

الشأن عزيز المكانة هو المؤرخ البريطانى أرنولد توينبي ؛ فقد جاهر برأيه فى شجاعة وإيمان، وأوضح للعالم كله حق العرب فى فلسطين أرضهم المغتصبة ووطنهم المسلوب .

إنها ومضة من ومضات التاريخ الصادق ، وإشراقة من الضياء نذكرها فى افتتاح هذه الحلقة اعترافا بحسن الصنيع وتقديراً لصراحة المؤرخين المدققين .

أكرر شكرى لكم وأشكر لكل من أسهم فى الإعداد لهذه الحلقة وأتمنى لكم التوفيق والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ عبد الرحمن الرافعي

المقرر العام للجنة التاريخ والآثار

السيد وزير التربية والتعليم .

سيداتى . سادتى الأعزاء .

أحييكم أطيب تحية . وأشكر للسيد رئيس المجلس الأعلى إقامة هذه الحلقة - حلقة الدراسات التاريخية والأثرية ، وأشكر لكم تلبية الدعوة لحضورها .

إن هذه الحلقة قد أعدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وخصصها للدراسات التاريخية والأثرية . هذه الدراسات التى تعنى أول ما تعنى بتاريخ الجمهورية العربية المتحدة الحديث والقديم ، وآثارها ، وتعنى بتاريخ البلاد العربية كلها ، ثم بتاريخ الإنسانية والدول والشعوب بوجه عام .

إن الثقافة القومية والعلمية أحوج ماتكون لهذه الحلقات والندوات . التى نرجو مع الزمن أن تتحول إلى مؤتمرات دورية ، وهذه الندوات والمؤتمرات فضلا عن فوائدها العلمية — جديرة بأن تحبب إلى المواطنين تاريخ بلادهم ، وتطالع الشعب العربى بالعديد من الحقائق عن ماضيه المجيد وحاضره السعيد .

والدراسات التاريخية والأثرية بوجه عام من الوسائل الفعالة لرفع مستوى الوعى القومى وتقوية الروح الوطنية فى النفوس ، هذا إلى مزاياها العلمية والتحليلية المحققة .

والشرق العربى فى نهضته الحديثة يتطلب تعرف تاريخه القديم والحديث ، فهو فى حاجة إلى من يبصره بأمجاده القديمة ، فمنها تتولد أمجاده الحديثة - وأمجاده فى المستقبل .

وإذا كان الشرق قد تخللت تاريخه فى بعض الفترات هجعة أو نكسة . فإنها كهجعة النائم ؛ لم تلبث أن أعقبتها اليقظة ثم النهضة ، وقد استيقظ الشرق العربى فى القرن التاسع عشر ، واستمرت يقظته ثم نهضته فى القرن العشرين ، وأخذ يستعيد أمجاده القديمة ويضم اليها أمجاداً حديثة ، ولا غرو فالأمة كالفرد فى حياته وتطوره ، كلاهما كائن حى ينمو ويتطور. مع هذا الفارق بينهما . وهو أن الفرد مصيره إلى زوال. أما الأمة فهى باقية خالدة لاتنتهى حياتها أبداً. بل تتجدد فى أشخاص الأبناء والأحفاد والذرارى والأجيال . وعلى الأجيال المتعاقبة أن تعرف تاريخ الأجيال السابقة . فبها يتكون الوطن الأكبر الذى يربطهم ويؤلف بينهم جميعاً .

وهم كأفراد الأسرة الواحدة . يعرف كل واحد منهم سيرة آبائه وأجداده واحدا واحدا . ويحرص على إعزاز الأسرة التى أنجبته، وكما يحب المرء سيرة أسلافه . كذلك يعتز المواطن بتاريخ أسلافه فى الوطن ويشعر بأنه استمرار لهذا التاريخ وجزء منه .

والمرء إذا أحب أبويه . فإنه يحب قصة حياتهما ، ويتعرف تاريخ ميلادهما . والمكان الذى ولدا فيه، وظروف حياتهما ، وأدوارها ومراحلها ، وما نالاه من حظ وتوفيق . أو صادفهما من عقبات ومتاعب. وكذلك الزوج اذا أحب زوجته وشريكة حياته يحب دائماً أن يعرف قصتها فى الحياة ، أين ولدت ، وفى أى سنة رأت نور الحياة ، والمعاهد التى تعلمت فيها ، وكيف كان تثقيفها وتعليمها ، بل يحب أن يعرف أيضا طرفاً من حياة أبويها وذويها .

وكذلك المواطن إذا أحب وطنه يجعل من أول واجباته أن يعرف قصة هذا الوطن وتاريخه . فى سرائه وضرائه . وفى أفراحه وأحزانه ،فإن هذه المعرفة هى الشرارة الأولى للشعلة الوطنية .

وإذا كان القصص وسيلة من وسائل نشر المبادىء الصالحة والمعانى السامية والعواطف النبيلة . فأجدر بالتاريخ — وهو قصة واقعية — أن يكون

وسيلة للنهوض بالعقول والأفكار. ونضج القرائح . والسمو بأخلاق الجيل ومعنوياته . وتوجيه المواطن إلى المثل العليا فى الحياة القومية .

والشعب العربى كلما ازداد معرفة بتاريخ بلاده ازداد حبا لها ، وإذا أحبها أخلص لها ، وكلما أخلص المواطنون لبلادهم بذلوا كل مافى مقدورهم لإسعادها ورفعة شأنها ، وهذا هو معنى الوطنية ، ومن هنا قالوا إن التاريخ مدرسة للوطنية .

إن التاريخ العربى حقل واسع المدى فسيح الجنبات للدراسات التاريخية والأثرية . والشعب العربى كائن حى تعاقبت عليه العصور والدهور. وهو أبدا سائر إلى الأمام ، ينشد المثل العليا ويحمل للإنسانية معانى الاعتدال والحضارة والرغبة الصادقة فى المحبة والسلام .

إن الحقل واسع والميدان فسيح ، والبحوث التاريخية والأثرية فيه متشعبة النواحى ، وحسبنا للتنويه بذلك أن الحضارة البشرية قد بدأت فى الشرق العربى .

ظهرت الحضارة أول ما ظهرت فى وادى النيل ، نشأت على ضفافه منذ نحو سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، ونمت وازدهرت على تعاقب الأجيال والقرون ، والمصريون القدماء بينهم وبين العرب صلات ووشائج متناهية فى القدم ، وقد وفد كثير منهم إلى مصر القديمة على أثر هجرات من الجزيرة العربية ، وهم ينتسبون إلى الأرومة السامية ، ولذلك قالوا إن لأصول المصريين الأقدمين والعرب والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها إلى بعض ، فالمصريون عرب من قديم الأزل ، وقد امتدت عروبتهم من فجر التاريخ القديم إلى التاريخ المتوســـط إلى التاريخ الحديث .

وتاريخ الرسالات الروحية مرتبط أيضاً بتاريخ الشرق العربى ، فهو موطن الرسالات التى هى من أركان الحضارة البشرية .

فإبراهيم الخليل ، أبو الأنبياء قد نشأ عربياً فى جنوب العراق ، منذ نحو ألفى سنة قبل الميلاد ، ودعا إلى التوحيد . ورحل إلى فلسطين فمصر ثم إلى الحجاز. بيكة وبنى الكعبة فى مكة مع ابنه إسماعيل .

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً
وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم »

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »

وفى جبل سيناء كلم الله موسى تكليما .

وفى فلسطين نشأ السيد المسيح . الذى أصابه من اضطهاد الرومان والإسرائيليين ما أصابه . وعلى يده ظهرت المسيحية السمحة . الداعية إلى الإخاء والسلام . لا إلى البغى والعدوان .

وفى ظلال البيت الحرام نشأ محمد عليه الصلاة والسلام . ونزل عليه الوحى ، ودعا إلى رسالة الإسلام ، رسالة التوحيد والإيمان ، فتصدى له قومه وحاربوه ، وهاجر إلى المدينة فى السنة الأولى للهجرة (٦٢٢ ميلادية) . وبهجرته يبدأ التاريخ الهجرى .

وفى السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م) سار لفتح مكة بعد أن نقض أهلها عهد (الحديبية) فتم له فتحها . وكان لهذا الفتح أثره وفضله فى توحيد كلمة العرب .

وانتشرت الدعوة أول ما انتشرت بين سكان الجزيرة العربية . وتوحدت كلمة العرب فى عهد الرسول أولا ، ثم فى عهد الخلفاء الراشدين .

واستخلص العرب أرض العراق من أيدى الفرس ، وبلاد الشام من أيدى الروم البيزنطيين (الرومان) . ومصر من أيدى البيزنطيين أيضاً .

واستقبلت الشعوب دخول العرب هذه البلاد . لا كغزاة فاتحين . بل كمنقذين لهم من اضطهاد الفرس والروم البيزنطيين ، وخاصة لأن

هـذه الشعوب بحكم موقعها أقرب إلى العرب نسباً وأصولا وروابط اقتصادية وثقافية وروحية . بل كان معظمهم عرباً من قبل . فلا غرو أن انضموا إلى المجموعة العربية راضين مختارين . وزاد تعلقهم بها ما رأوه من عدل الخلفاء الراشدين وولاتهم . ومساواتهم بين الناس . ورفقهم بالأهلين .

ثم انتقلت الخلافة إلى بنى أمية . واتخذ معاوية بن أبى سفيان دمشق عاصمة للدولة العربية . وصارت دمشق من يومئذ أى فى القرن الأول للهجرة (السابع الميلادى) عاصمة الدولة العربية . بل عاصمة العروبة وقلبها الخفاق . وفى عهد الدولة الأموية اتسعت رقعة العروبة بانضمام شمال إفريقية إلى الدولة العربية . وانتقلت إلى القارة الأوروبية بفتح الأندلس على يد طارق بن زياد فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

سـادس :

ستسمعون فى الحلقة الحالية إلى بحوث جديدة فى مواضيع شتى من تاريخ الشرق ، وهى بحوث عميقة استغرقت شهوراً فى إعدادها ، وسنين طويلة فى التمهيد لها ودراستها . ولأصحابها الأجلاء الفضل الكبير فى تدوينها وإخراجها فى ثوبها القشيب .

وستلقى هذه البحوث فى جلسات متوالية لهذه الحلقة . ويعقب كل موضوع مناقشة لتجلية بعض النقط لمن يريد المناقشة ، أو لاستنباط النتائج منها . يعقبها إصدار قرارات وتوصيات . وميزة هذه البحوث أنها علمية وعملية . اقترنت بالعديد من الاقتراحات لتحقيق ما ورد فيها من مختلف الرغبات .

وستطبع المحاضرات والتوصيات فى كتاب مستقل إن شاء الله يتولى المجلس الأعلى إخراجه وتوزيعه .

وسيوالى أعضاء لجنة التاريخ والآثار بالإقليم الشمالى والإقليم الجنوبى إعداد موضوعات أخرى للحلقات أو المؤتمرات القادمة بعون الله .

وشكراً للسيد رئيس المجلس الأعلى . وشكراً لكم أيها السادة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور نور الدين حاطوم

السيد وزير التربية والتعليم .

سيداتى آنساتى سادتى .

يشرفنى باسم إخوانى أعضاء لجنة التاريخ والآثار فى الإقليم السورى أن أتقدم بجزيل الشكر إلى سيادة الوزير ، رئيس المجلس الأعلى على هذه الفرصة الثمينة التى أتاحها لنا للاجتماع إلى هذه النخبة المختارة من رجال التاريخ والآثار فى إقليمنا المصرى العزيز ، وإنها لمناسبة سعيدة أن نتحدث فيها مع إخواننا فى مختلف الموضوعات التاريخية والأثرية التى تهمنا وتشغلنا معاً ، لا سيما وأن الجمهورية العربية المتحدة تجتاز مرحلة حاسمة فى تاريخها الحديث وتريد أن تنشىء الحياة الجديدة على أسس مستمدة من تاريخنا العريق ومن واقع حياتنا الحاضرة ، ومن أجدر من المؤرخين والآثاريين ، فى عهد البناء والإنشاء بتناول ماضينا الحافل بالدرس والتمحيص والكشف عن حقائقه وربطه بحاضرنا الذى نريد له مستقبلا أفضل وعالماً أمثل .

إن الصلات الوشيجة التى تربط الشام بمصر قديمة قدم التاريخ ،ومتنوعة كل التنوع ، وغير قاصرة على ناحية معينة من النواحى ، وإنا لنلمس آثارها الفكرية فى تبادل العلماء والفقهاء والقضاة وما إلى ذلك من قيم عليا قربت الإقليمين وربطت بين أبنائهما بروابط متينة ظلت على الدهر تعمل عملها فى الأفئدة والقلوب فتطبعها بطابع الإخاء والحب والولاء .

وما لقاؤنا اليوم إلا ظاهرة من هذه الظاهرات التى كانت تجمع العاملين فى حقل الفكر منذ القديم بين رجال الإقليمين . وإنه ليسعدنا حقاً أن يكون

هذا اللقاء بين مؤرخى البلدين فى هذا الشهر المبارك . شهر شباط (فبراير) الذى تمت فيه وحدة سورية ومصر بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

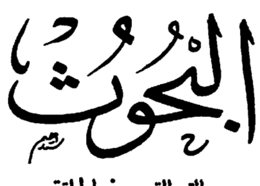
وإذا دعت أعمال لجنتى التاريخ والآثار فى القاهرة ودمشق إلى ضرورة لقائنا الودى وتعاوننا الأخوى فى حلقة الدراسات التاريخية والأثرية التى ندشن أعمالها اليوم لنتبادل الرأى فى القضايا التى تهم تاريخنا وإقليمنا ومؤرخينا ، ولتنظيم الجهد العلمى والإفادة من الكفايات والاختصاصات ، فما لا شك فيه أن هنالك أموراً عديدة تشغل المؤرخين العرب فى كل البلاد العربية وتستحق البحث والدرس والعناية . وما نعتقد إلا أن حلقتنا الدراسية هذه ستمهد إلى مؤتمر عام يضم المؤرخين العرب من كل بلد عربى للبحث فى القضايا التاريخية على صعيد أوسع وأعم .

إن العالم العربى اليوم فى نهضة عامة شاملة مهما اختلفت مظاهر هذه النهضة قوة وضعفا بين بلد وآخر . وإن من شروط كل نهضة قومية الحرص على المقومات الأساسية فى الأمة ودوام استمرارها وخلودها . وإن من حق المؤرخين العرب أن يسهموا فى هذه النهضة إسهاما فعالاً . فلقد آن أن نعى تاريخنا ونسجله بأيدينا وبنظرتنا العربية المستنيرة بنور العلم الحديث وطرقه القويمة فى البحث والدرس والتأليف . وإن من واجبنا أن نعمل على كل ما يساعد السير فى هذا الاتجاه . فلقد تأثر تاريخنا العربى بمؤثرات مختلفة شوهت حقائقه وفسرته تفاسير خاطئة إن لم تكن مغرضة وإن من واجب المؤرخ العربى الكشف عن حقيقتنا التاريخية الأصيلة التى ترد التهم وتدفع الباطل والريب .

وإن لنا فى حلقتنا هذه ما يشجع على تناول القضايا التاريخية والأثرية التى تهم تاريخ الإقليمين بصورة خاصة والتاريخ العربى والإسلامى بصورة عامة فى سبيل الوصول إلى الكشف عن كثير من الحقائق التى ما زالت مجهولة أو غامضة عبر تاريخنا المديد .

ونعتقد أن وعى الأمة لتاريخها وعياً أكيدا يتساوق خير تساوق مع استمرار هذا التاريخ وتماسكه وارتباط حلقاته . ولنا وطيد الأمل فى أن تأتى أعمال حركتنا التاريخية والأثرية بما يعرف المواطن العربى بحقيقة تاريخه ليعرف منها حقيقة أمته بين الأمم وليسعى جاهداً إلى اللحاق بالركب الحضارى ومسايرته بكل ما أوتى من علم وإيمان وعزم .

والله الموفق .



التى ألقيت فى الحلقة



الدكتور أحمد فخرى

١ —

منهج دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم
ومنهج تاريخ الحضارة



منهج دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم ومنهج تاريخ الحضارة

إذا تصفحنا مناهج الدراسة فى الجامعات فى أكثر بلاد العالم على اختلاف مشاربها نجد بين مناهج الدراسة فى كليات الآداب مادتى تاريخ الحضارة وتاريخ أو حضارات بلاد الشرق الأدنى القديم لأن أولاهما ضرورية لتثقيف الطالب لأنها تهدف إلى دراسة تاريخ الإنسان بوجه عام منذ نشأته وأصول الحضارات المختلفة وتوزيع الأجناس ، وتطور المدنيات التى ظهرت فى هذا العالم منذ أقدم العصور حتى قبيل العصر الحاضر وأثر بعضها على بعض . أما تاريخ الشرق الأدنى القديم فهو يعنى بدراسة ما يظهر من مدنيات هامة فى بلاد الشرق الأدنى ، ومهما اختلفت تلك المناهج فى التفصيل فإنها تشمل مصر والعراق وإيران وخيتا أو ما ظهر فى بلاد الشام من مدنيات وبخاصة فى فلسطين وعلى الشاطئ اللبنانى . ولا حاجة إلى القول بأن بعض الجامعات المهتمة بالدراسات الشرقية تقدم بعض مناهج مفصلة لبعض الحضارات ولغاتها القديمة ، ولكنى لا أقصد إلا الجامعات التى تقدم منهج مادة تاريخ الحضارة أو مادة تاريخ الشرق الأدنى القديم ، كدراسة عامة لتثقيف طلبة كليات الآداب بصفة عامة أو طلبة أقسام التاريخ والجغرافيا والاجتماع والدراسات القديمة واللغات الشرقية بصفة خاصة .

وهناك نقطة أخرى . لقد عنيت أيضاً الجامعات الكبرى فى أوروبا وأمريكا بدراسة مدنيات الشرق الأقصى وأقصد بها ما ظهر فى بلاد الهند وبلاد جنوبى شرقى آسيا (سيام وبورما وكمبوديا وكوريا وإندونيسيا وغيرها) والصين واليابان ، ولكن جامعاتنا ومعاهدنا فى الجمهورية العربية المتحدة لم تعن حتى الآن بهذه الدراسات ولم تتخذ أى خطوة للبدء بها ، رغم أهمية هذه المدنيات لدراسة التقدم الإنسانى .

ولست فى حاجة إلى التنويه بأهمية مثل هذه الدراسات فقد انتهى ذلك العصر الذى كان يستطيع فيه أى إنسان أن يدرس تاريخ أو حضارة أى شعب من الشعوب دون إلمامه ولو إلماماً عابراً بما كان يجرى فى الحضارات الأخرى المعاصرة . فما من حضارة أو مدنية من المدنيات إلا وكانت على صلة بغيرها ، فأخذت وأعطت ، ولهذا يجب علينا قبل كل شئ أن نبدأ بدراسة عامة للحضارات القديمة وبعد ذلك يستطيع الطالب أن يتخصص فى الحضارة التى يريدها .

*

ويجتاز العالم فى أيامنا الحالية فترة تقارب كبيرة بين الشعوب ساعدت عليها وسائل الانتقال والاتصال التى تطورت تطوراً كبيراً فى السنين الأخيرة ، ولهذا أصبح من الواجبات الأساسية الملقاة على عاتقنا أن نعد أبناءنا فى الجامعات لمقابلة هذا التطور الجديد فى صلات الشعوب فإن معرفة تاريخ أى شعب ودراسة حضارته وديانته تساعد كثيراً على فهم هذا الشعب وتفسر لنا اتجاهاته فى تفكيره ، وبالتالى تساعد على التقارب بين الشعوب والتفاهم بينها وهو ما ينشده كل محب للسلام .

والآن دعنا نلقى نظرة على مناهج الدراسة بكليات الآداب فى جامعاتنا الأربع وهى جامعات القاهرة والإسكندرية ودمشق وعين شمس لنعرف نصيب دراسة تاريخ الشرق القديم فى كل منها وما الذى نستطيع أن نحققه من هذه المناهج .

ففى كلية الآداب بجامعة القاهرة لا يدرس تاريخ الشرق القديم إلا لمدة فصل دراسى واحد بين المواد التى تدرس لكل من قسم التاريخ وقسم الجغرافيا وقسم الوثائق والمكتبات وقسم اللغات الشرقية ، كما تدرس أيضاً هذه المادة لطلبة السنة الثانية بقسم الآثار ، أما تاريخ الحضارة فلا يدرس فى آداب القاهرة إلا لطلبة السنة الأولى بقسم الآثار فقط ولمدة فصل دراسى واحد ، ومعنى ذلك أن الوقت الذى تستغرقه دراسة جميع حضارات بلاد الشرق القديم فى الأقسام القليلة التى أمكنها أن تفهم أهميته لا يتجاوز عشرة أسابيع فقط فى جميع سنوات الدراسة أى نحو أربعين ساعة دراسية فقط ولا داعى إلى التعقيب الكثير على ذلك بل يجب أن نكون صريحين ونعترف بأن هذه الساعات لا تكفى لدراسة حضارة واحدة من تلك الحضارات إذا أردنا أن تكون دراسة مثمرة .

ولنترك الآن جامعة القاهرة إلى جامعة عين شمس فنجد أنه يوجد فى قسم اللغات الشرقية وآدابها درسان أسبوعياً لمادة حضارة الشرق القديم لفصل دراسى واحد فى السنة الأولى فقط كما نجد فى مناهج قسم التاريخ أنه توجد مادة معالم تاريخ الشرق القديم أربع ساعات أسبوعياً لمدة فصل دراسى واحد فى السنة الأولى وفى كلية البنات يدرس تاريخ الشرق الأدنى القديم ٣ ساعات أسبوعياً فى الفصل الدراسى الأول فقط ، أما فى جامعة الإسكندرية فإن تاريخ الشرق الأدنى القديم يدرس فى الفصل الدراسى الأول لطلبة السنة الثانية ٤ ساعات أسبوعياً ، وكذلك يدرس

فى السنة الثالثة ٤ ساعات فى كل من الفصلين الدراسيين ، كما يدرس لفصل دراسى واحد فى السنة الرابعة . أما فى جامعة دمشق فنجد أن مادة تاريخ الحضارة تدرس فى الفصلين الدراسيين فى السنة الأولى لمدة ساعتين كما تدرس مادة الشرق القديم فى السنة الثانية فى الفصلين الدراسيين ٤ ساعات أسبوعياً .

*

من ذلك العرض السريع نرى أن دراسة تاريخ الشرق القديم تكاد تكون مهملة فى جامعتى القاهرة وعين شمس إذ أنها لا تدرس إلا لمدة فصل دراسى واحد فى السنة الأولى ، وأنه معتنى بها بعض الشىء فى جامعتى الإسكندرية ودمشق ولكن هاتين الجامعتين تقتصران على تدريس هذه المادة فى قسم التاريخ فقط . ومما يحزن النفس حقا أننا هنا فى بلاد الشرق العربى لا نهتم بدراسة هذه الحضارات ويتخرج أبناؤنا من الجامعات المختلفة وهم لا يكادون يعرفون شيئا على الإطلاق عن أصول الحضارات التى نشأت فى موطنهم وكانت الأساس الذى قام عليه صرح التقدم الإنسانى ، إذ أن خريجى جميع الكليات العملية لا صلة لهم بتلك الدراسات ، بل وخريجو الكليات النظرية أيضا اللهم إلا قسما واحدا من أقسام كليات الآداب وهو قسم التاريخ. فإذا رجعنا إلى أبعد من ذلك وتساءلنا عن نصيب دراسة تاريخ الشرق القديم فى مرحلة الدراسة الثانوية فإننا نجد نفس الإهمال ، لأن هذه المادة لا تدرس إلا للتلاميذ الذين اختاروا التاريخ كمادة تخصص لهم ، وعلى هؤلاء الطلبة أن يقرءوا كتابا معينا فى تلك المادة .

فإذا انتقلنا خطوة أخرى وتساءلنا عن الكتب التى ألفت أو ترجمت لتقابل احتياجات الطلبة فى هذه المادة فإنا لا نجد إلا العدد الضئيل غير الوافى الذى لا يمكننا أن نصفه بأنه يكفى لسد حاجة الطالب الشرقى .

لقد أحسست كثيراً بهذا النقص منذ ثلاث سنوات وساءنى أن يتخرج طالب قسم التاريخ بجامعة القاهرة دون أن يلم إلماماً كافياً — ولو إلى حد محدود — بحضارة بلاده هو قبل أى شىء آخر ، فلهذا قسمت المنهج إلى أربعة أقسام جعلت القسم الأول منه عرضاً تاريخياً لكل من حضارتى مصر والعراق والمقارنة بينهما وذكر مميزات كل منهما وأثره على الآخر ، وجعلت القسم الثانى منه عن تاريخ سورية القديم والدور الذى لعبته مدنياتها المختلفة فى حضارات العالم ، والقسم الثالث عن حضارات جنوبى الجزيرة العربية أى عن حضارات اليمن قبل الإسلام ، والجزء الرابع عن إيران فى أقدم عصورها حتى ظهور الأخمينيين ، لقد أردت بهذا المنهج أن أسد شيئاً من النقص لأن احتياجات الطالب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة تحتم عليه قبل كل شىء أن يلم بالحضارات التى تتصل به اتصالا مباشراً ولها أثر مباشر أيضاً على تراثه الثقافى والاجتماعى ، وقد اضطررت لجعله مختصراً ليتلاءم مع الوقت المحدد وهو فصل دراسى واحد .

هذه هى المصاعب التى تواجهنا وهى تتلخص فيما يأتى : —

١ — عدم العناية بتدريس كل من مادتى تاريخ الحضارة وتاريخ الشرق القديم مع أنهما مادتان ضروريتان لثقافة كل طالب فى أى قسم من أقسام كليات الآداب ، بل وضرورية أيضاً للكثير من الكليات النظرية وبخاصة مادة تاريخ الحضارة ، ولهذا تتحتم زيادة الفصول الدراسية المقررة لها حتى يمكن إعطاء منهج فيه شيء من العمق وبعض التفصيلات الضرورية .

٢ — وضع منهج يتلاءم مع احتياجات الطالب العربى لكى يلم بتاريخ وحضارة بلاده وماقدمته هذه البلاد للمدنية الإنسانية . وليس معنى ذلك أن نهمل الإلمام بالحضارات الأخرى بل يتحتم علينا الإلمام بها إلى جانب دراسة الحضارات التى ظهرت فى العالم العربى ، أى فى وادى النيل وبلاد مابين النهرين وبلاد الشام والجزيرة العربية وشمال إفريقيا .

٣ — إذا فحصنا المادة العلمية التى تعطى فى كل من الجامعات الأربع واطلعنا على المذكرات أو المراجع نجد اختلافاً كبيراً فيما بينها ، بل إن بعض الجامعات يكتفى بتدريس حضارة واحدة فقط وإهمال الحضارات الأخرى إهمالا تاماً على اعتبار أنها إحــدى حضارات الشرق الأدنى القديم . بل وصل الأمر فى إحدى الجامعات إلى أن المادة التى أعطيت للطلبة لم تكن لها صلة بتاريخ الشرق القديم بل اقتصرت على تاريخ مصر فى صدر الإسلام . لأن القائمين بالأمر لم يجدوا من يقوم بتدريس هذه المادة فطلبوا من أحد الزملاء تدريسها فأبى أن يدرس مادة غير مختص فيها فطلبوا منه تدريس مايشاء حتى لايبقى الطلبة بدون دروس .

فلهذا أتقدم بعرض هـــذه المشكلات فى اجتماعنا الحاضر متقدماً بالاقتراحات الآتية : —

١— التقدم إلى المجلس باقتراح بمطالبة جميع كليات الآداب فى جامعاتنا ومعاهدنا العالية بإدخال مادة تاريخ الحضارة فى مناهجها لتدريسها مدة فترتين دراسيتين فى السنة الأولى لتثقيف الطلبة تثقيفاً عاماً وتدريس حضارات الشرق القديم للفترتين الدراسيتين فى السنة الثانية لأقسام التاريخ والجغرافيا والآثار والفلسفة والاجتماع واللغات الشرقية واللغة العربية ومن يشاء من الأقسام الأخرى ، وتدريسها أيضاً فى السنة الثالثة لأقسام التاريخ والآثار واللغات الشرقية أربع ساعات أسبوعياً .

٢ — وضع مناهج موحدة تسد حاجة الطالب العربى ، ووضع مؤلفات باللغة العربية يشترك فى تأليفها المختصون فى هذه الدراسات ليستعين بها من يشاء من الأساتذة :

•

وإنى أقدم مع هذا منهجين أحدهما لمادة تاريخ الحضارة والثانى لمادة تاريخ الشرق القديم لمناقشتهما وإدخال التعديلات اللازمة عليهما — علماً بأنه يكفى أن يكون كل كتاب منهما ٥٧٠—٦٢٠ صفحة من القطع المتوسط عدا ذلك العدد الكافى من الخرائط والرسوم والصور الفوتوغرافية اللازمة .

منهج حضارات الشرق الأدنى القديم

١ – مقدمة عن الشرق الأدنى القديم :

حدود بلاد الشرق الأدنى – أهم مراكز حضاراته – الطبيعة الجغرافية للمنطقة – طرق التجارة والهجرات بين بلاده .

*

٢ – مصر ، منذ البداية حتى ظهور الدولة الحديثة :

نشأة الحضارة فى وادى النيل – الهجرات المختلفة إلى مصر – مصادر التاريخ المصرى – حضارات عصر ما قبل الأسرات – العصر العتيق – مختصر تاريخ الدولة القديمة – الصلة بين مصر وجاراتها – الملك ونظام الدولة – الدين – الأهرام والمعابد – الحياة المنزلية – الصناعات المختلفة – الثورة الاجتماعية – عصر الفترة الأولى – الصراع بين أهناسيا وطيبة – الدولة الوسطى – تاريخها السياسى – الصلات التجارية والثقافية بين مصر وغربى آسيا – الصلات التجارية والثقافية بين مصر وبلاد كوش – عصر الفترة الثانية – الهكسوس فى مصر –

*

٣ – بلاد الرافدين حتى سقوط أسرة حمورابى :

جغرافية بلاد الرافدين وأثرها على تاريخه – أقدم الحضارات – عصر تل العبيد – عصر الوركاء – عصر

جمدة نصر – السومريون – أسرات ماقبل الطوفان – بعض المدن السومرية وأهم ماعثر عليه فيها – الأكديون – سرجون – الجوتيون – جوديا وعصره – البابليون – حمورابي وعصره – قانون حمورابي – الشعوب الهندو أوروبية – الكاسيون – الديانة – الأساطير – الآداب – العمارة – الزقورات – الفنون .

*

٤ – مصر فى عهد الدولة الحديثة :

أحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة – تحوتمس الأول وحروبه فى الشرق والجنوب – حتشپسوت – تحوتمس الثالث فى آسيا – أمنحوتپ الثالث – إخناتون وعصره – رسائل العمارنه – غربى آسيا ومدنيته – الأسرة التاسعة عشرة – سيتى الأول – رمسيس الثانى وحروبه – ظهور الأسرة العشرين رمسيس الثالث وحروبه مع شعوب البحر – نهاية الدولة الحديثة – الحياة الاجتماعية – الفنون – معابد الدولة الحديثة – الأدب – الطب – التحنيط – الفلك – الصناعات المختلفة .

*

٥ – سورية وفلسطين وغربى آسيا :

مملكة مارى – الهجرات الهند وأوروبية – الميتانيون – الحوريون – الكاسيون – الحيثيون – عيلام أوجاريت – الكنعانيون – الأموريون – الفينيقيون – العبرانيون – الأراميون .

*

٦ — الأشوريون :

نظرة عامة فى حالة بلاد الشرق القديم عند ظهور دولة أشور — تيجلات بلسر الأول — أشور ناصر بال — شلمنصر الثالث — تيجلات بلسر الثالث وحروبه — سرجون الثانى — سنحريب — أسرحدون — أشور بانيبال — الجيش والفنون الحربية فى دولة أشور — العمارة — الفنون — الأدب .

*

٧ — مصر منذ نهاية الدولة الحديثة حتى ظهور الإسكندر :

أسرة الكهنة — اضمحلال نفوذ مصر فى آسيا — الأسرة الثانية والعشرون — تأسيس مملكة كوش فى نبتا — بعنخى فى مصر — الصراع بين مصر وأشور — الأسرة السادسة والعشرون — الصلات التجارية والثقافية بين مصر واليونان — الفرس فى مصر — الإسكندر الأكبر .

*

٨ — الكلدانيون والأخمينيون :

سقوط نينوى — نبوخذ نصر ومدنية بابل — ملوك الكلدان — مدينة بابل وقصورها ومعابدها — الميديون — ظهور الفرس واستيلاء قورش على بابل — الامبراطورية الفارسية — الصراع بين الفرس واليونان — دارا الثالث والإسكندر الأكبر — الديانة الفارسية — الفنون الفارسية فى أيام الأخمينيين

٩ ـ بلاد العرب قبل الإسلام :

شبه الجزيرة العربية وموقعها الجغرافى ـ جغرافية بلاد العرب ـ أقدم الصلات والهجرات العربية من شبه الجزيرة إلى البلاد المجاورة ـ حضارة السبئيين فى اليمن ـ ملوك سبأ ـ معابد مأرب ـ سد مأرب ـ المعينيون ـ معابد المعينيين ـ الحميريون ـ الأحباش فى اليمن ـ المسيحية واليهودية فى بلاد اليمن ـ الثموديون ـ اللحيانيون ـ الأنباط ـ ديانات العرب قبل الإسلام ـ بعض نواحى الحياة الاجتماعية ـ الفنون

*

١٠ ـ فضل حضارات بلاد الشرق القديم على الحضارات الأخرى :

الشرق مهد المدنيات ـ تطور حياة الإنسان فى أرجائه ـ الزراعة ـ الكتابة ـ الأبجدية ـ نظم الحكم ـ الديانات ـ الأدب ـ الطب ـ الكيمياء ـ الفلك ـ العلوم الرياضية ـ القوانين ـ المعادن ـ الصناعات المختلفة ... الخ .

منهج تاريخ الحضارة

١ — تطور الحضارة الإنسانية :

نشأة الإنسان — حياته فى العصر الحجرى القديم — الإنسان فى مراحل التقدم — أجناس العالم المختلفة ومناطق انتشارها المجتمع والفرد .

•

٢ — مصر :

أصل حضارتها — طبيعة أرضها — الهجرات المختلفة إلى وادى النيل — مختصر تاريخ مصر على مدى العصور — الدولة والموظفون — الحياة المنزلية—الصناعات المختلفة — الدين والمعابد — الأدب — الفنون — فضل الحضارة المصرية على العالم .

•

٣ — بلاد الرافدين :

بلاد الرافدين فى أقدم العصور — طبيعتها الجغرافية — السومريون — بابل — أشور — الكلدانيون — الديانات القديمة — القانون — الأدب — الفنون — فضل حضارات بلاد الرافدين على حضارات العالم .

•

٤ — بلاد غربى آسيا :

نظرة عامة فى تاريخ المنطقة وصلتها بحضارتى مصر وبلاد الرافدين — مملكة مارى — الشعوب الهندو أوروبية — الميتانيون — الكاسيون — الحوريون — خيتا وحضارتها — مدن الشاطىء السورى — رأس شمرة — جبيل — الفينيقيون — بلاد أمورو — الكنعانيون — العبرانيون — الآراميون — إيران — الإمبراطورية الفارسية .

*

٥ — شبه الجزيرة العربية والهجرات السامية :

الجزيرة العربية — طبيعتها وموقعها — أقدم الهجرات المعروفة — السبئيون — المعينيون — الحميريون — الأنباط الثموديون — اللحيانيون .

*

٦ — الحضارات الإفريقية :

طبيعة القارة الإفريقية — طرق الهجرات — شمال إفريقيا — وادى النيل الكوشيون — إثيوبيا — حضارات شرق إفريقيا — وسط إفريقيا — غربى افريقيا .

*

٧ — حضارات الشرق الأقصى :

وادى السند — الصين — اليابان — جنوبى شرق آسيا .

*

٨ – حوض البحر الأبيض المتوسط :

كريت – بلاد اليونان – الشعوب الجرمانية – الرومان – ظهور المسيحية .

•

٩ – حضارات القارة الأمريكية :

الهجرات الأولى – حضارات أمريكا الشمالية – المايا – الازتك – الإنكا – اكتشاف الأمريكتين – استيطان القارة الأمريكية .

•

١٠– العصور الوسطى :

الإسلام – الدول الإسلامية – أوروبا – الكنيسة – الحروب الصليبية – عصر النهضة الأوروبية .

•

١١– بين أوروبا والبلاد الشرقية :

عصر الاكتشافات – البرتغاليون – الهند – الصين – الترك والبلاد الاسلامية .

•

١٢– القرن الثامن عشر :

الدول الأوروبية الناهضة – التجارة – الدول الاستعمارية وأطماعها – الهند – الصين – البلاد العربية .

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

٢ —

مشروع إنقاذ آثار النوبة
وآخر الأبحاث التي تجري فيها

مشروع إنقاذ آثار النوبة
وآخر الأبحاث التي تجرى فيها

يعتقد كثير من الناس أن مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة يقترن بالتفكير في بناء السد العالي ، ولكن الحقيقة أن هذا المشروع بدأ منذ أن فكر المصريون في إنشاء سد أسوان أي منذ عام ١٨٩٨ . وسارعت مصلحة الآثار في ذلك الحين بإرسال البعثات للتنقيب عما في باطن الأرض ولتقوية المعابد المشيدة والتي ستغمرها مياه الخزان ، واستمرت أعمال البحث والتقوية قبل التعلية الأولى للسد (١٩٠٧ – ١٩١٢) ثم التعلية الثانية (١٩٢٩ – ١٩٣٤) ، وهكذا استطاعت المصلحة من تأدية واجبها نحو إنقاذ جميع المناطق الأثرية التي غمرتها مياه سد أسوان والتي تقع تحت منسوب المياة الذي يرتفع إلى ١٢١ متر فوق سطح البحر .

وليس من شك في أن آثار بلاد النوبة ومشروع إنقاذها ما كان ليأخذ هذه الصورة من الأهمية إلا بعد التفكير في إنشاء السد العالي الذي سيجعل منسوب المياه يرتفع طوال العام إلى ما يقرب من ١٨٠ متر فوق سطح البحر ، ومعنى هذا أن المناطق الواقعة إلى الجنوب منه ستختفي إلى الأبد ، وهكذا أصبحنا نواجه مشكلة ضخمة يجب أن نبحث لها عن حل يتناولها من أساسها ويعالجها من جميع نواحيها . وسارعت مصلحة الآثار بإيفاد بعثة من

علماء الآثار المصريين إلى بلاد النوبة بدأت عملها فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ الذى يتلخص فى بحث الأهداف الآتية :

١ — حصر جميع الأماكن الأثرية فى بلاد النوبة التى ستغمرها المياه .

٢ — حصر الأماكن التى يجب أن تسجل آثارها تسجيلا علمياً وهندسياً.

٣ — حصر الأماكن التى يجب أن تجرى فيها أعمال الحفر والتنقيب .

٤ — النظر فى احتمال إنقاذ بعض الآثار القائمة سواء بنقلها كاملة أو بنقل أجزاء منها .

٥ — إعداد برنامج للعمل تحدد مدته والاعتمادات اللازمة له .

وقامت البعثة بمهمتها وقدمت تقريرها الذى نشر فى يونية سنة ١٩٥٥ بلغات ثلاث هى العربية والإنجليزية والفرنسية تحت عنوان :

« تقرير عن آثار النوبة المعرضة لأن تغمرها مياه السد العالى »

*

وفى نفس الوقت أى فى عام ١٩٥٥ أنشىء مركز لتسجيل الآثار بالاتفاق مع منظمة اليونسكو على أن تقوم هذه المنظمة بإمداده بالمعونة المادية والفنية ، وبدأ هذا المركز عمله فوراً فى تسجيل آثار معبد أبى سمبل .

مرت الأيام تباعاً ووضح لنا تماماً أن طاقتنا الفنية والعلمية والمادية لا تساعدنا على القيام بمشروع الإنقاذ الذى يشمل نقل المعابد والمقاصير والمقابر وحمايتها ، كما يشمل أيضا القيام بأعمال التنقيب العلمى ، ولهذا وجدت حكومة الجمهورية العربية المتحدة نفسها مضطرة إلى الالتجاء إلى منظمة دولية كمنظمة اليونسكو للحصول على هذه المساعدات العلمية والفنية والمادية ، وفى ٦ إبريل عام ١٩٥٩ أرسلت وزارة الثقافة والإرشاد القومى خطابا إلى هذه المنظمة تطلب هذه المساعدات بحيث تشمل :—

١ — إيفاد بعثات علمية للتنقيب بالمناطق الأثرية .

٢ — تصوير بلاد النوبة بطريقة « الفوتوجرامترى » للحصول على خرائط دقيقة تحدد المناطق الأثرية غير المعروفه وإجراء التنقيبات فيها .

٣ — إيفاد بعثات للدراسات الجيولوجيه والأتنولوجية .

٤ — استكمال تسجيل المعابد والمقابر والمقاصير والنقوش المنحوتة فى الصخر على طول شاطىء النيل .

٥ — نقل المعابد المشيدة ثم إعادة تشييدها خارج المنطقة التى ستغمرها المياه .

٦ — نشر بعض أجزاء من المعابد المنحوتة فى الصخر وإعادة بنائها فى مكان يبعد عن المنطقة التى ستغمرها المياه .

٧ — حماية المعابد المنحوتة فى الصخر والتى يتعذر نقلها من أماكنها مثل معبدى أبى سمبل .

ووعدت الحكومة فى كتابها السالف الذكر بتقديم كل التسهيلات للبعثات الأجنبية سواء فى الإقامة أو بإعفاء مرتباتهم والمبالغ التى سيصرفونها على أعمال الحفر من الضرائب ، كما وعدت بأنها ستمنح هذه البعثات مالا يقل عن نصف الآثار المكتشفة لكى تحتفظ بها فى متاحفها الأثرية الخاصة بها كما أبدت الحكومة استعدادها بمنح الهيئات التى ستسهم إسهاماً فعالا فى تحقيق هذا المشروع بعض الآثار الهامة التى توجد فى مخازن الآثار بالإقليم الجنوبى ، وكذلك بعض معابد بلاد النوبة وهى :

١ — معبد الدر .

٢ — معبد الليسيه .

٣ — معبد دندور .

٤ — معبد دابود .

٥ — معبد طافة .

استجابت منظمة اليونسكو لطلب حكومة الجمهورية العربية المتحدة وعرض مديرها الخطاب السالف الذكر على المجلس التنفيذى للمنظمة فى دورته الرابعة والخمسين التى عقدت فى باريس فى شهر يونية عام ١٩٥٩، ونالت الفكرة التأييد الجماعى من مندوبى الدول الممثلة فى المجلس ، وكان القرار أن يترك المجلس لمدير عام اليونسكو طريقة وضع خطة دولية لإنقاذ آثار بلاد النوبه ومعابدها ، على أن تعرض هذه الخطة على المجلس فى دورته الخامسة والخمسين فى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ .

وهكذا انتقل مشروع إنقـــاذ آثار بلاد النوبة إلى المجال الدولى وأصبحت رسالته من الرسائل التى تضطلع بها دول العالم أجمع ، ولاغرابة فى ذلك إذ أن المحافظة على التراث البشرى القديم مهمة يجب أن يضطلع بها العالم بأجمعه ، وحضارة المصريين القدماء هى من أهم حضارات الإنسان القديم ، ولذلك يجب أن توضع رسالة إنقاذ مخلفاتها أمانة فى يد العالم المتمدين .

ونستطيع الآن ونحن فى مستهل عام ١٩٦١ أن نقول إن جميع النواحى العلمية والهندسية الخاصة بإنقاذ آثار بلاد النوبة سواء منها مازال مطمورا فى باطن الأرض أو المشيد والمنقور فى التلال الصخرية ، نستطيع أن نقول إن كل هذه النواحى قد درست دراسة تامة فى اللجنة الاستشارية الدولية التى كونتها وزارة الثقافة والإرشاد القومى بقرارها الوزارى رقم ٦٣ الصادر فى فبراير سنة ١٩٦٠ وعقدت هذه اللجنة جلستين الأولى فى ٢٣ مايو سنة ١٩٦٠ والثانية فى ٨ يناير سنة ١٩٦١ ، وفيما يلى توصيات هذه اللجنة : —

أولا :

بعثة جس ومسح للمناطق لتحديد الأماكن التى لاتزال تحوى آثارا وتحتاج إلى عملية تنقيب علمى . ولقد بدأت هذه البعثة عملها منذ أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٠ ويشرف عليها الأستاذ والتر إمرى أستاذ الدراسات المصرية بجامعة لندن ، كما قامت مصلحة الآثار بتزويد هذه البعثة بعائمة

كبيرة وجرار لتسهيل مهمتها ولضمان تحركها من الجنوب إلى الشمال مبتدئة من ادندان إلى الشمال .

*

ثانياً :

بعثة لتحديد مناطق عصور ما قبل التاريخ ، إذ كان الأستاذ مصطفى عامر قد سبق أن قدم تقريراً ضافياً فى هذا الموضوع طالب فيه بتوجيه الجهود نحو هذه الناحية التى لم يسبق لأحد أن قام بدراستها من قبل ولذلك فقد طالب بما يأتى :

ا — القيام ببحوث دقيقة فى مدرجات نهر النيل وفى الوديان الجافة ، وكذلك أن يجرى بحث منظم لرواسب العصر الحجرى القديم الأعلى .

ب — القيام بالكشف عن بقايا الإنسان الأول الذى عاش فى بلاد النوبة إبان العصر الباليوليثى .

حـ — القيام بالتنقيب العلمى فى المناطق الأثرية التى ترجع إلى العصر الحجرى الحديث .

د — القيام بجمع ودراسة الرسوم المنقوشة فوق الصخور العالية سواء المحاذية لشاطىء النيل أو فى الوديان الجانبية .

وطلبت اللجنة الاستشارية إلى الدكتور « برسو » ، أحد أعضائها والمتخصص فى دراسات ماقبل التاريخ ، العمل على تجهيز بعثة كاملة من متخصصين من بلاد مختلفة على أن تقوم هذه البعثة فى أقرب فرصة بعملها ببلاد النوبة تحت إشراف مصلحة الآثار .

*

ثالثاً :

بعثة لتسجيل النقوش التاريخيــة (Epigraphy) ، ولقد رأت اللجنة أن هناك بعض الصعوبات فى تكوين بعثة دولية (أى من علماء ينتسبون إلى جنسيات مختلفة) إذ أن العروض التى قدمت للقيام بهذه الناحية العلمية كانت عروضاً برغبات معلقة لم تحاول أصحابها تنفيذها ، ولذلك عهدت إلى سكرتير اللجنة المسيو كريستوف حث أصحاب العروض على تنفيذ ما وعدوا به وتكوين بعثة على وجه السرعة لبدء تسجيل النقوش تحت إشراف مركز تسجيل الآثار .

*

رابعاً :

وزعت مناطق التنقيب العلمى فى بلاد النوبة بين الهيئات التالية :

ا ــ المعهد الشرقى لجامعة شيكاغو

يقوم بالحفر فى المناطق الممتدة على شاطئ النيل شرقاً وغرباً فيما بين دهميت وكلابشه ، وبدأ الحفر فعلا منذ أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٠ .

ب ــ بعثة جامعتى ييل وينسلفينيا

تقوم بالحفر فى المنطقة الواقعة غرب النيل فيما بين توشكه وأرمنه ، وستبدأ عملها فى أوائل فبراير سنة ١٩٦١ .

حـ ــ المعهد الفرنسى للآثار الشرقية

يقوم بالحفر فى منطقة وادى السبوع على أن تشمل تنقيباته المناطق غربى وشرقى النيل ، وقد بدأ التنقيب فى عام ١٩٦٠ ولا زال العمل جاريا وستبدأ البعثة عملها فى هذا الموسم فى أواخر يناير سنة ١٩٦١ .

د – بعثة الاتحاد السوفيتى

تقوم بالحفر فى المنطقة الواقعة بين الدكة ووادى العلاقى ، ولم تبدأ عملها بعد .

هـ – بعثة جامعة ميلانو

تقوم بالحفر فى منطقتى سباجوره وأخمندى .

و – جمعية الآثار بلندن

تقوم بالتنقيب فى منطقة قصر ابريم سواء القلعة أو الجبانة ، وستبدأ عملها فى منتصف شهر فبراير سنة ١٩٦١ .

ز – المعهد الألمانى للدراسات الشرقية بالقاهرة

قام بالتنقيب منذ عام ١٩٥٩ فى منطقة عمدا ولازالت أعماله قائمة هناك، وينوى الحفر فى جبانة جبل عدا فى المستقبل القريب .

ح – جامعة القاهرة (قسم الآثار المصرية)

قامت البعثة بالحفر فى عام ١٩٦٠ فى جبانة منطقة عنيبه وتقوم حاليا (منذ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠) بتكملة أعمالها فى المنطقة .

ط – جامعة الإسكندرية (قسم التاريخ والآثار)

قامت البعثة بالحفر فى عام ١٩٥٩ فى قلعة جبل عدا وتنوى الاستمرار فى العمل للمرة الثانية فى يناير سنة ١٩٦١ .

ى – البعثة النمساوية

سوف تقوم بالحفر فى عام ١٩٦٢ فى منطقة السبالة .

ك – البعثة الهولندية

سوف تقوم بالحفر فى عام ١٩٦٢ فى المنطقة بين كورسكو وقصر ابريم .

ل — بعثة معهد تورينو

سوف تقوم بالحفر فى عام ١٩٦٢ فى منطقة توماس .

م — البعثة الأسبانية

سوف تقوم بالحفر فى عام ١٩٦٢ فى منطقة الشيخ داود .

وتعتقد اللجنة أن أعمال الجس سوف تسفر عن اكتشاف بعض المناطق الجديدة التى يمكن وضعها تحت تصرف بعض البعثات الأخرى التى تطلب المشاركة فى أعمال الحفر

*

خامساً :

أما فيما يتعلق بأعمال التسجيل فليس من شك فى أن مركز التسجيل يؤدى مهمته العلمية فيها على أحسن وجه ، ولقد تم تسجيل كثير من المعابد وأهمها معبدى أبى سمبل ، ومعبد كلابشه ، ودابود ، وطافا ، وقرطاسى ، ويسير العمل الآن لإتمام تسجيل نقوش ومناظر معبد عمدا . إلا أنه نظراً لورود عروض مختلفة من عدة دول منها فرنسا لتسجيل معبد وادى السبوع ، وأمريكا لتسجيل معبد بيت الوالى ، وروسيا لتسجيل معبد الدكة ، هذا غير بعض العروض الأخرى من بلجيكا والمكسيك وألمانيا الاتحادية وسويسرا ، ومن أجل ذلك أوصت اللجنة بالموافقة على العرضين اللذين تقدمت بهما كل من فرنسا وأمريكا وقد بدأت عمليات التسجيل فعلا ، كما أوصت بقبول العروض الأخرى على أن يقوم مركز تسجيل الآثار بتنسيق الأعمال فيما بينها ، هـذا مع التمسك بأن تتبع أعمال تسجيل المعابد نفس النظام المتبع فى مركز تسجيل الآثار .

سادساً :

وإذا كان مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة يشتمل على معضلات شتى ، فليس من شك فى أن معابد هذه المنطقة وطريقة نقلها تأتى فى مقدمة هذه المعضلات ، وذلك لأن هناك سبعة عشر معبداً ومقصورة ، معظمها منقورة فى الصخر الرملى الذى يتميز بصلابته من ناحية وسهولة تفتت حبيباته من ناحية أخرى . ولقد عنى اليونسكو ببحث هذه المعضلة وأرسل أكثر من خبير ليقدم نصائحه إلى الحكومة المصرية فى هذا الشأن .

وفيما يلى صورة لأهم النتائج التى أسفرت عنها البحوث المختلفة التى أجريت فى هذا الموضوع : —

ا — معبدا « أبو سمبل »

يعتبر بحق رجال الآثار والفنون هذين المعبدين درة معابد النوبة ، بل إن معبد « أبى سمبل » الكبير يعتبر من بين المعابد الفريدة فى نوعها ، فلم يسبق للإنسان فى العصور القديمة أن نقر فى باطن الصخر معبداً ضخما فى مثل ضخامة هذا المعبد مع مراعاة التناسق التام والانسجام الكامل بين عناصر الأثر والبيئة المحيطة به ، ومن أجل ذلك أصبح من الواجب محاولة الإبقاء على هذين المعبدين فى مكانهما مع المحافظة عليهما .

وهناك مشروعان لدى منظمة اليونسكو يهدف كل منهما إلى المحافظة على المعبدين مع الإبقاء على البيئة الجغرافية التى تلعب دوراً رئيسياً فى روعتهما وجمالها .

المشروع الأول تقدم به « أندريه كوين » على أساس إنشاء ستار منيع حول المعبدين فى الأماكن التى تربطه بالصخر الطبيعى المحيط به على أن يتكون هذا الستار من حقن الصخور بمادة تمنع تسرب المياه الخارجية إلى داخل المعبدين ثم تشييد سد عال إلى الشرق من المعبدين وترتفع أمامها إلى أعلى من مستوى مياه السد العالى على أن يشيد هذا السد من خرسانة وطين

ويكون على هيئة نصف دائرة . وتقام محطات قوية لمضخات ترفع مياه الرشح التى لا بد وأن تتسرب إلى داخل المعبد مع إنشاء السد من الخرسانة وإقامة ستار من مواد عازلة . وهذا المشروع سوف يتكلف حوالى ٣٥ مليون جنيه مع اعتماد يزيد على ١٠٠ الف جنيه سنوياً لتشغيل محطات المضخات وترميم السد . ومع سهولة تنفيذ هذا المشروع فهناك خطر داهم يهدد باستمرار هذين المعبدين يتلخص فى أنهما سوف يكونان فى منخفض تحيط به المياه من كل جانب مما يجعل نسبة الرطوبة عالية على مدار السنة وخاصة فى شهور الصيف مما يؤثر على النقوش الملونة والمناظر الجميلة ، هذا غير خطر آخر وهو أنه إذا حدث وأن تعطلت المضخات لفترة أسبوعين فإن مياه المرشح سوف تملأ المعبدين ، ولا يمكن إعادة تصريفها إلا فى مدة تزيد على أربعة أشهر .

أما المشروع الآخر فقد قدمه « بيير جازولا » ويتلخص فى القيام بنقل قمة الجبل التى تعلو المعبدين ، ثم فصل كل منهما عن التل الصخرى ووضع كل فى صندوق هائل من الخرسانة المسلحة ، ثم محاولة رفعهما إلى أعلى بالاستعانة بروافع ميكانيكية من نوع معين تشبه تلك التى تستعمل فى رفع السيارات ، على أن يكون تشغيلها بواسطة دفع هيدروليكى مع استغلال الدراسات الإلكترونية الحديثة لضمان تحرك الروافع الكثيرة دفعة واحدة على أن يكون تحركها إلى أعلى بمقدار ضئيل لا يزيد على المليمترين فى كل دفعة وإذا ما ارتفع المعبد إلى قمة التل الصخرى أى إلى المستوى الذى يعلو ١٨٠ متر فوق سطح البحر فيمكن بعدئذ أن يتحرك المعبد ليستقر فوق سطح التل ، ويعاد تشكيل المنطقة المحيطة به بحيث تبدو مطابقة فى مظهرها ماهى عليه الآن .

وهذا المشروع وإن كان يبدو خياليا ، إذ أن المعبد الكبير يزن مايقرب من ٢٥٠,٠٠٠ طن ، هذا غير زنة الصندوق الهائل من الخرسانة المسلحة الذى سوف يوضع فيه المعبد والذى سوف يصل فى وزنه إلى ٥٠,٠٠٠ طن ،

فإن البحوث العلمية التي قام بها عدد من الخبراء العالميين أثبتت أن فى الاستطاعة تنفيذه اعتماداً على الأمثلة الكثيرة التي طبقت فى مشروعات مماثلة ، وإن اختلفت من حيث زنة المبنى ، فإن أكبر مبنى نقل بهذه الطريقة لا يزيد فى وزنه على ٣٠,٠٠٠ طن .

وهذا المشروع قدرت تكاليفه بمبلغ ٢٥ مليون جنيه ، مع عدم الحاجة إلى اعتمادات أخرى سواء للصيانة أو لمحطات نضح المياه .

*

ب – معابد فيلا :

وفيلا كما نعلم جميعا هى إحدى الجزر الصغيرة فى مجرى النيل وتقع على مسافة أربعة كيلومترات إلى الجنوب من سد أسوان ، وتحوى معابد مختلفة أهمها وأكبرها معبد الإلهة إيزيس الذى يعتبر تحفة فنية كما تعتبر نقوشه ورسومه ذخيرة لا تنضب بالنسبة إلى الدراسات الدينيـة واللغوية للعصر البطلمى والرومانى ، ونظراً لأن هذه الجزيرة بمعابدها سوف لا تتأثر بمياه السد العالى إلا أن هناك خطورة كبيرة سوف تهدد آثارها ، وذلك لأن منسوب المياه فى المنطقة الواقعة بين سد أسوان والسد العالى سوف تتذبذب يوميا بين ١٠٧ و ١١٠ متر ، ولما كانت الجزيرة على مستوى ١٠٤ متر ، فسينتج عن ذلك أن المياه تنخفض وترتفع يوميا بمقدار يتراوح بين ٣ و ٦ أمتار ، وهذا التغيير وحده فى منسوب المياه سوف يصيب أبنيـة المعابد بأكبر الأضرار .

ولقد استقر الرأى على الأخـذ بالمشروع الذى وضعه المهندس عثمان رستم ، والذى درسته بعثة من خبراء هولنديين وأقرت صلاحيته للتنفيذ ، ويتلخص هذا المشروع فى إقامة سدود تربط بين هذه الجزيرة وجزيرتين

متجاورتين بحيث تصبح آثارها بمنأى عن مياه سد أسوان ، وترجع إلى سابق عهدها بحيث يمكن زيارتها طوال أيام السنة .

•

أما فيما يتعلق بالمعابد الأخرى فقد قامت مصلحة الآثار بفك أحجار ثلاثة منها وهى معابد : «طافا»، و«دابود» ، و«قرطاسى»،وستقوم فى القريب العاجل بفك أحجار معبد «عمدا»،وهى جميعا من المعابد المشيدة ، كما تقدمت ألمانيا الاتحادية باستعدادها لفك أحجار معبد« كلابشه» وهو من أضخم وأجمل معابد النوبة ، ثم تقدمت أخيراً روسيا باقتراح يهدف هو الآخر إلى استعدادها للقيام بفك أحجار « معبد الدكة » .

إلا أن المشكلة المعقدة هى التى تقابلنا بالنسبة إلى المعابد المنقورة فى الصخر أمثال معبد « بيت الوالى » ومعبد « جرف حسين » ، و«وادى السبوع » ، و«الليسيه » ، و«الدر » ، و« هياكل ابريم » ، و« مقبرة ، نبنوت » ، بعنيبه ، ومعبد « أبو عوده » ، ومعبد « جبل الشمس » .

ولقد تقدم المسيو بييرجا زولا بمشروع يهدف إلى نشر الأجزاء المهمة من هذه المعابد ، وإعادة بنائها فى مكان آخر ، وسوف يقوم فى القريب العاجل بتجربة من هـــذا النوع فى مقبرة « نبنوت » المنقورة فى الصخر والتى انتشرت النقوش والمناظر المنحوته فوق سطوح جدرانها ، ويتوقف على نجاح هـــذه التجربة المصير الذى ينتظر جميع المعابد المنقورة فى الصخر .

•

هذه هى نبذة مختصرة عن الأعمال العلمية التى تجرى حاليا أو ستجرى فى المستقبل القريب فى بلاد النوبة المصرية ، وهى أعمال تهدف إلى إنقاذ جزء من تراثنا القومى بل ومن تراث يخص البشرية أجمعها ، وننظر إلى

العالم المتمدين نرقب مدى ما سوف يقدمه من معاونة جدية لإنقاذ هذا التراث ، ونرجو أن يحاول هذا العالم الذى نعيش فيه أن ينسى ولو لفترة قصيرة أحقاده ويبرهن على أن الثقافة والحضارة التى يتمتع بها الإنسان الحديث هى فى الواقع ليست إلا الثمار الذى يجنيه من شجرة الحضارة العريقة التى زرعها المصرى القديم منذ آلاف السنين .

وفقنا الله لمـا فيه الخير للجميع .

— ٣

الدكتور ابراهيم نصحي

الألقاب الفخرية في مصر في عهد البطالمة

الألقاب الفخرية في مصر في عهد البطالمة[1]

يبدو أن الألقاب الفخرية من مستلزمات النظام الملكى فى الغرب وفى الشرق قديماً وحديثاً سواء بسواء ، فقد كان الفراعنة يمنحون الشخصيات البارزة فى مصر القديمة عدداً من الألقاب الفخرية يعنينا هنا منها بوجه خاص لقبان وهما « قريب الملك » (نسوت — رخ Nsut - rekh) و « الصديق الأوحد » (سمر — وع Smer - wa') . ويقال إنه قبل إنشاء معبد هليوبوليس تشاور سنوسرت الأول مع « أصدقائه[1] » .

وكان لقب «قريب الملك» (Syngenes) يستخدم أيضاً فى البلاط الفارسى ، ويبدو أنه كان مقصوراً أول الأمر على أسمى أفراد الأرستقراطية الذين كانوا ينتمون إلى « الأسر السبع » المشهورة[2] . ويحدثنا ديودوروس[3] بأن جيش دارا الثالث فى موقعة جاوجميلا (٣٣١ ق . م) كان يضم قوة بها ألف فارس من « أقرباء الملك » . وإذا صح ذلك فإن معناه أن لقب « قريب الملك » أصبح يمنح كذلك لأبرز الفرسان . ويبين أيضاً مما يرويه كزنفون[4] أن لقب « النظراء » (homotimoi) ترجمة إغريقية للقب فارسى كانت تحمله فئة ممتازة من المشاة كاملى العدة .

وفى الدول الإغريقية ، سواء فى العصر الكلاسيكى أم « الهيلينستى » ، كان كثيراً مايوصف المقربون إلى الملك أو الطاغية بأنهم « أصدقاؤه » ،

(1) Moret, Roy. Phar., p. 131.
(2) Atkinson, Aegyptus, 32, 1952, pp. 212-3.
(3) Diod., XVII, 59.
(4) Xen., Cyrop. II, 1, 3, ; VII, 5, 7.

إذ يحدثنا أرسطو[1] بانه بعد سقوط أسرة پايسيستراتوس سمح الأثينيون أول الأمر « لأصدقاء الطغاة » بالبقاء فى المدينة ثم عادوا فنفوهم فى العام الرابع . ويروى ديودوروس[2] أنه عندما ثار أهل سيراقوسة فى ٤٠٤/٤٠٣ ق . م . على ديونيسيوس اجتمع « بأصدقائه » للتشاور معهم .

وفى مقدونيا ، نعرف أنه على الأقل منذ عهد أرخلاوس (٤١٣–٣٩٩ ق . م .) كان بعض النبلاء يُختارون لصحبة الملك ويُدعون « رفاق الملك » (hetairoi basileos) . ويروى ديودوروس[3] أنه فى عام ٣٣٦ ق . م . فى أثناء الأحتفال بزواج كليوپترة ابنة فيليب الثانى تقدمه « أصدقاؤه » فى دخول المسرح ، وأنه قبل أن يغزو الإسكندر بلاد الفرس عقد مجلسا من كبار ضباطه وأبرز « أصدقائه »[4] . ومما يستحق الذكر أن أريانوس يطلق وصفى « رفاق » (Hetairoi) و« أصدقاء » (Philoi) على الأشخاص أنفسهم فى الفقرة نفسها[5] . ومـع أن پوليبيوس يقول بالنص إن أجاثوكلس كان « صديق » بطلميوس الرابع[6] فإن أثينايوس عند حـديثه عن أجاثوكلس يذكر أن پوليبيوس يصف ذلك الرجـل بأنه كان « رفيق الملك »[7] . وإذا كان يبين مما أوردناه أن أصفياء الملك كانوا يوصفون تارة بأنهم رفاق الملك وتارة بأنهم اصدقاؤه فإن هذا لايستتبع حتما أن الوصفين كانا مترادفين . ويرى كورتنبويتل (Kortenbeutel) بحق أنه على حين أن كلمة « رفاق » كانت دون شك الوصف القديم فإنه من المحتمل أنه منذ عهد « خلفاء » الإسكندر أصبحت كلمة « أصدقاء » تستعمل بدلا منها فى وصف أصفياء الملك[8] . وهذا التطور يبدو لنا طبيعياً بل محتوما ،

---

(1) Arist. Rep. Athen., 22, 4.
(2) Diod., XIV, 8, 4-6.
(3) Diod. XVI, 9, 4.
(4) Diod., XVII, 31, 6.
(5) Arr. I, 25, 4.
(6) Polyb. XIV, 11.
(7) Athen., VI, 59.
(8) Real-Encycl., XX, 1941, Col. 96, s.v. Philos.

وذلك لأنه لما كان ملوك مقدونيا يختارون كبار مساعديهم وأقرانهم من أفراد الأرستقراطية القديمة فى البلاد ، الذين كان كل منهم يعتبر نفسه جديراً بالعرش ، فإنه كان من الطبيعى والمستنسب وصف هؤلاء الأشخاص « بالرفاق » (hetairoi) بسبب ماتنطوى عليه هذه الكلمة من تصوير الحقيقة الواقعة ، حقيقة أن الملك كان صاحب المكان الأول بين فئة متساوية من الأقران (primus inter pares). لكن عندما أسس خلفاءالإسكندرممالكهم فى بلاد أجنبية حيث لم يوجد من الأرستقراطية المقدونية التقليدية إلا قلة كانت أقل من أن تؤلف طبقة أرستقراطية،واضطر « الخلفاء» إلى تكوين الطبقات الارستقراطية مما توافر لديهم من العناصر المقدونية والأغريقية كان الفارق شاسعا فى المكانة والأصل بين « الخلفاء » وأتباعهم . وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال أن الملك لم يعد يعتبر نفسه صاحب المكان الأول بين فئة متساوية من الأقران،ومن ثم كان من العسير عليه أن يرفع هذه الطبقة إلى مصافه . ويبدو لنا أنه وسط هذه الظروف استبدل بكلمة « الرفاق » كلمة « الأصدقاء » عند وصف أصفياء الملك .

ويروى أريانوس أنه فى عام ٣٢٤ ق.م عبر كالينس (Callines) للإسكندرعمايشكو منه المقدونيون بقوله : «هذا يا مولاى مايضيق به المقدونيون وهوأنكم جعلتم من الفرس « أقاربكم » (Syngeneis) فهم يدعون الآن « أقارب الإسكندر » ويسمح لهم بتقبيلكم فى حين أنه لم يتمتع مقدونى بهذا الامتياز » . وعند سماع ذلك رد الإسكندر قائلا : «إننى أعتبركم جميعاً أقاربى ومنذ الآن سأدعوكم على هذا النحو » . وما أن فرغ من حديثه حتى اقترب منه كالينس وقبله وحذا حذوه كل من أراد[1] .

وهكذا يتضح لنا أن الإسكندر خلع لقب « الأقرباء » أولا على الفرس وفيما بعد على المقدونيين من رفاقه لكنه قصر لقب « الحرس الخاص »

(1) Arr. VII, 11, 6-7.

(Somatophylax) على كبار رفاقه المقدونيين . ويمكننا أن نستخلص مما أسلفناه أنه بعد القضاء على الإمبراطورية الفارسية كان يوجد فى البلاط المقدونى ثلاثة ألقاب وهى : الأقرباء (syngeneis) ورجال الحرس الخاص (Somatophylakes) والرفاق (hetairoi) .

وكما تشاور الإسكندر مع أصدقائه قبل قيامه بالحملة ضد الفرس، تشاور أنتيبا تروس وكراتروس مع أصدقائهما حول مايتخذ من إجراء ضد پرديكاس ، وكذلك تشاور پرديكاس مع أصدقائه قبل غزو مصر[1] ، وكذلك فعل پوليپرخون فى ٣١٩ ق.م قبل الاشتباك مع خصومه الذين تحالفوا عليه[2] . وهكذا يبدو أنه سواء فى عهد الإسكندر أم فى عهد « الخلفاء » كان الرفاق أو الأصدقاء مستشارى الملك .

ويرى برادفورد ولز أن « أصدقاء » الملك كانوا يؤلفون مجلسه الاستشارى فى السلم وهيئة أركان حربه فى الحرب ، وأنه فيما بعد أصبح هذا الاصطلاح لقبا فخريا [3]. ويرى كورتنبويتل أنه فى الممالك الهيلينستية حدث بالتدريج تغيير جوهرى . ففى البداية كان « الأصدقاء » يقومون بدور المستشارين، لكن منذ عهد بطلميوس الخامس كان إضافة « من الأصدقاء » (ton philon) إلى اسم شخص لاتعنى إلا لقباً [4]. وبعد أن تدلل كاتلين أتكينسون على أن الأصدقاء الأول ((protoi philoi) لأنطيوخوس الثالث كانوا مستشاريه تمضى فتقول « إن كثيرا من المشكلات تحل نفسها بنفسها فوراً إذا قبلنا الاحتمال بأن الأقرباء ونظراء الأقرباء كانوا يمثلون مرتبة واحدة أو عدة مراتب فيما يحتمل . أما « كبار رجال الحرس الخاص » (archisomatophylakes) وأترابهم فإنهم يمثلون مناصب فى البلاط ، وإن « الأصدقاء » بطبقاتهم الثلاثة (وهى تقصد « الأصدقاء » و « نظراء

---

(1) Diod., XVIII, 25,6.
(2) Diod. XVIII, 55, 1.
(3) Welles, C.B., Royal Corresp. 1934, New Haven, p. 44, No. 6.
(4) Kortenbeutel, loc. cit.

«الأصدقاء الأول » و « والأصدقاء الأول ») كانوا مستشارين اختارهم الملك شخصيا من كل طبقات المجتمع وفق نزوته أو عدم خبرته » .[١]

إن مجمل رأى هؤلاء الباحثين أنه كان يطلق على فئة من الناس « أصدقاء الملك » وأن هذه الفئة كانت أول الأمر محدودة العدد وكان الملك يستشيرها فى المشكلات التى تواجهه فكانت عبارة « صديق الملك» تحمل عندئذ معنى مستشار الملك ، لكن فيما بعد اتسعت دائرة الأصدقاء وفقدت العبارة معنى الاستشارة .

ونحن نسلم بأنه فى الدول الهيلنستية كان أصدقاء الملك أول الأمر مستشاريه، مثل ما كانت الحال فى عهد الإسكندر والخلفاء ، ولكننا نرى أنه لما كانت كلمة صديق غير مرادفة لكلمة مستشار فإن خلع صفة « صديق »على فئة معينة من الناس حتى وإن كانت تشغل مناصب معينة للاستشارة ، وهو ما لم تكن عليه الحال هنا ، يدل على أن هذه الصفة لم تكن إلا لقبا فخريا . ونرى أيضاً أنه إذا كان هذا اللقب ينم فى الأصل عن الاستشارة ، فإنه على مر الأيام واتساع دائرة الأشخاص الذين يحماونه لم يكن ينم عن ذلك على الإطلاق . وهذا ينقلنا إلى المشكلة الحقيقية ، ومؤداها هل البطالمة الأوائل أم الأواخر هم الذين أنشئوا الألقاب الفخرية فى دولتهم .

فى ضوء التفسير الذى قدمناه ليس فى رأى ولز مايتعارض مع القول بأن البطالمة الأوائل هم الذين أنشأوا الألقاب الفخرية ، وهو الرأى الذى تؤيده أتكنسون . ويرى كورتنبويتل أن الأدلة التى لدينا من بداية عصر البطالمة قليلة ومع ذلك يصعب أن نتصور أنه لم تحط بالملك فئة من الأصدقاء[٢] . وفى رأى بوشيه لكلرك أنه إذا كان يضعف الرأى القائل بأن الألقاب أنشئت فى عهد البطالمة الأوائل افتقاره إلى ما يؤيده من الأدلة المستمدة من النقوش والأوراق البردية ، فإنه يضعف الرأى المناهض القائل بأن بطلميوس الخامس هو الذى

---

(1) Aegyptus, 32, 1952, p. 211.
(2) Kortenbeutel, loc. cit.

أنشأ هذه الألقاب اعتراضات أجل شأناً ، إذ لم يكن فى وسع ملك صبى مثل بطلميوس الخامس بعد ما عاناه من وصاية منكودة ومن ذل الحماية الرومانية أن يضفى على مجموعة من الألقاب تبتدع دفعة واحدة مجداً كان هو نفسه يفتقر اليه . ويمكن التساؤل ألم يكن لسلفيه العظيمين بطلميوس الثانى والثالث أصدقاء أى مستشارون كانوا يعتبرون الألفة مع الملك شرفاً [1] ؟ ومن ناحية أخرى نجد أن جماعة من أبرز الباحثين لا يزالون يتمسكون بوجهة النظر التى أبداها ماهافى (Mahaffy) وشتراك (Strack) منذ حوالى نصف قرن ، وفحواها أنه نظراً لقلة الأدلة عن الألقاب الفخرية فى عهد البطالمة الأربعة الأوائل يجب أن يعزى إنشاؤها إلى بطلميوس الخامس.

وقبل أن ننصر رأياً على آخر يجمل بنا أن نستعرض أولا الأدلة التى لدينا من الشطر الأول من عصر البطالمة . يحدثنا پلوتارخ بأن بطلميوس الأول كان يزور « أصدقاءه » ويتمتع بضيافتهم [2] . ويدعو ديودوروس القائدين كيلس [3] (Killes) ونيكانور [4] (Nicanor) « صديقى » بطلميوس الأول . ويصف استرابون المعمارى سوستراتوس من كنيدوس بأنه « صديق الملكين » [5] أى صديق بطلميوس الأول والثانى . ويذكر الشارح القديم لأشعار كاليماخوس ، أن مرتزقة الغال الذين ثاروا وأخضعهم بطلميوس الثانى فيلادلفوس كان قد أرسلهم اليه شخص يدعى انتيجونوس كان « صديق فيلادلفوس » (Antigonos tis philos tou Philadelphou) [6] . وفى نقش من ساموس من عهد بطلميوس الثانى وصف پلوپس بن اسكندر بأنه «صديق

(1) Bouché-Leclercq, Hist. des Lagides, III, P. 109.
(2) Plut., Apopth.
(3) Diod. XIX, 93, 1-2 ; Plut., Demetr., 6 ; R. — E. suppl. 4, 1924, Coll. 902-3 ; Peremans, Prosop. Ptol. II, No. 2164.
(4) Diod. XVIII, 43, 2 ; R. — E., 17, 1936, Col. 269, No. 6 ; Peremans, P.P. II, No. 2169.
(5) Strabo. XVII, 1, 6, 791.
(6) Callim., In Del., 171.

الملك »[1]. وفى نقش من ميليتوس (ملطية) من عام ٢٦٢ – ٢٦١ ق. م. يقول بطلميوس الثانى للملطيين إنه علم بعواطفهم الطيبة من ابنه وكاليكراتس و « الأصدقاء الآخرين » (hoi alloi philoi) [2]. ونعرف من إحدى[3] برديات زينون التى ترجع إلى عام ٢٥٧ ق. م. أن زويلوس قبل أن يطلب إلى أپولونيوس وزير مالية بطلميوس الثانى السماح له ببناء سيرابيوم فى مدينة لم يرد ذكرها فى البردية اتصل « بأصدقاء » الملك. وإذا صح أن النقش[4] الذى ذُكر فيه ليونيداس بن فيلوتاس يرجع إلى عام ٢٥٥ ق.م.[5] فإنه يمدنا بمثل طريف لأب وابنه كانا فى عداد « الأصدقاء الأول » فى عهد بطلميوس الثانى. ويقول المؤرخ اليهودى يوسف إنه فى المراسلات التى تبودلت بين بطلميوس الثانى والعازار كبير كهنة أورشليم وصف الملك مبعوثيه بأنهم « أجل الأصدقاء » (timiotatoi ton philon) ووصف أحدهم، وكان يدعى أندرياس، بأنه « كبير رجال الحرس الخاص » (archisomatophylax) [6].

ويصف هيرنيموس شخصاً يدعى أنطيوخوس عينه بطلميوس الثالث حاكماً على كيليكيا بأنه « صديق » الملك[7]. وفى أربع برديات من عهد بطلميوس الثالث، الأولى[8] من عام ٢٣٠ – ٢٢٩ والثانية[9] من عام ٢٢٧ – ٢٢٦ والثالثة[10] والرابعة[11] من عام ٢٢٥ وصف خريسيپوس وزير المالية بأنه « كبير رجال الحرس الخاص ». وإغداق هذا اللقب على

(1) S.E.G., I, 364.
(2) Welles, Roy. Corr., 14, 9.
(3) P.C. — Z. I, No. 59034.
(4) S.B. 6665.
(5) Cf. Breccia, B.S.A.A., 19, 1923, p. 123. No. 1.
(6) Joseph., Antiq. Jud., XII, 2, 4-5.
(7) Hieronym., In Dan., XI, 7.
(8) P. Petr. III, 53 (1), 11. 3-4.
(9) P.C.Z. 10250.
(10) P. Grenf. II, 14 b, 1. 2.
(11) P. Petr. III, 53 (m) 11. 2-3.

خريسيپوس "Chrysippus" قد حدا بڤيلكن إلى التسليم باحتمال وجود سلسلة الألقاب الفخرية فى بلاط البطالمة قبل عصر بطلميوس الخامس الذى يجوز أنه لم يفعل أكثر من التوسع فى منح الألقاب لرجال الحكومة بوجه عام(١) .

ونحن نرى ألا مفر من التسليم بأن أدلة القرن الثالث ق . م . طفيفة إذا ما قورنت بأدلة القرنين الثانى والأول ، وفضلا عن ذلك فإنها لا تمدنا بسلسلة الألقاب كاملة على نحو ما نجده فى القرنين الأخيرين . ومع ذلك فإن تلك الأدلة على ندرتها ترينا أن لقبين على الأقل — إن لم يكن ثلاثة — كانا يستعملان قبل عصر بطلميوس الخامس . وإذا سلمنا جدلا بأن الكتاب القدماء لم يستخدموا كلمة « صديق » باعتبارها اصطلاحاً ينم عن لقب فخرى ، وبأن النقش الذى ذكر فيه ليونيداس بن فيلوتاس لا يرجع إلى منتصف القرن الثالث ق . م . فكيف يمكن تفسير هذا الاصطلاح فى النقشين الآخرين اللذين يسلم بأنهما من عهد بطليموس الثانى ؟ لا جدال فى أنه لا يمكننا التغاضى عن الدليل الذى نستمده من هذين النقشين بينما نقبل الدليل المستمد من النقوش المتأخرة . وبالإضافة إلى ذلك كيف نفسر لقب خريسيپوس ؟ يجب أن نذكر أولا أن اصطلاح « كبير رجال الحرس الخاص » كان يعنى أول الأمر وظيفة فعلية فى الحرس الملكى لكنه غدا بعد ذلك لقباً فخرياً يمنح لمختلف أنواع الموظفين الذين لم يؤلفوا يوماً جزءاً من ذلك الحرس . والواقع أنه من العسير أن نقرر فى كل حالة يرد فيها هذا الاصطلاح إذا كان المقصود لقباً أم وظيفة فعلية، لكن من المرجح أن إضافة عبارة « من كبار رجال الحرس الخاص » إلى اسم شخص تدل على لقب فخرى . ونلقى الصعوبة نفسها مع اصطلاح آخر وهو اصطلاح « رجال الحرس الخاص » الذى يعنى أحياناً منصباً وأحياناً لقباً فخرياً (٢) . وإذا كان خريسيپوس لم ينتم

(1) Wilcken, Grundzüge, p. 7

(2) Peremans, P.P. II, p. XIII.

يوماً إلى الحرس الملكى فلا شك فى أنه يكون لدينا فى هذه الحالة دليل على لقب فخرى آخر من القرن الثالث ق . م . وإذا كان خريسيپوس قد شغل فعلا منصباً فى الحرس الملكى واستمر يحمل اللقب الذى ينم عن ذلك بعد أن أصبح وزيراً للمالية فإننا نرى أن هذا يدل على شيئين : وأحدهما أن استمراره فى حمل لقب « كبير رجال الحرس الخاص » بعد ترك الحرس الملكى وتولى منصب آخر يشير إلى مرحلة انتقال نحو إطلاق هذا اللقب على أشخاص لم يشغلوا منصباً فى الحرس الملكى على الإطلاق . والآخر أنه لا يمكن اعتبار وصف خريسيپوس بأنه « كبير رجال الحرس الخاص » بعد ما أصبح وزيراً للمالية إلا أنه لقب فخرى . وجملة القول أنه يبين لنا أننا نجد هنا فى الحالين دليلا على وجود لقب فخرى آخر من القرن الثالث ق . م .

إن لحجج بوشيه لكلرك من الوزن مالا يمكن إغفاله، وكما قال كورتنبويتل لا يمكن أن نتصور أن البطالمة الأوائل عاشوا وحيدين لا تحيط بهم نخبة من الأصفياء ولا سيما أنه كان للإسكندر وكل الخلفاء مثل هؤلاء الأصدقاء . ولكن كيف يمكن تفسير ندرة الأدلة المستمدة من النقوش والوثائق البردية عن الألقاب الفخرية فى عهد البطالمة الأوائل ؟ هناك حقيقة مسلم بها وهى أن النقوش والوثائق البردية الإغريقية التى ترجع إلى النصف القرن الأول من حكم البطالمة ، وهى الفترة التى يحتمل أن تكون الألقاب قد أنشئت فيها ، قليلة حتى أننا نفتقر افتقارا شديدا إلى أدلة من هذه الفترة عن سائر النظم البطلمية ، ومن ثم لا نعجب إن كانت الأدلة التى لدينا من هذه الفترة عن الألقاب الفخرية قليلة . أما قلة الأدلة عن الألقـــاب طوال القرن الثالث قبل الميلاد فإنها يمكن أن تعزى إلى أحد أمرين أو كليهما معا، واحدهما الصدفة والآخر الاحتمال بأنه فى عهد البطالمة الأوائل كان منح الألقاب محدوداً مثل ما كانت الحال فى عهد الإسكندر الأكبر عندما قصر لقب « رجال الحرس الخاص » على سبعة فقط إلى أن أدمج پيوكستاس فى عداد تلك الفئة الممتازة فأصبح عددها ثمانية . وفضلا عن ذلك فإن النقوش والبرديات لم تـــكن

قوائم ولا نشرات رسمية صادرة من القصر الملكى أو الدوائر الحكومية ومن ثم كان يتعين دائما قرن الأسماء الواردة فيها بألقاب أصحابها الفخرية . ولما كنا نعرف عن يقين أنه حتى بعد عهد بطلميوس الخامس كثيراً ما أغفلت النقوش والبرديات ذكر ألقاب أشخاص حدثتنا نقوش وبرديات أخرى أقدم منها عهداً بأنهم كانوا يحملون ألقاباً فخرية ، فلا عجب أن كان إغفال ذكر الألقاب أكثر وأعم فى برديات ونقوش الفترة التى يرجح أن تكون الألقاب أنشئت فيها واقتصد فى منحها اقتصادا شديداً ، وتبعاً لذلك كان عامة الناس قليلى الألفة بها .

ويمكن أن نتساءل : إذا صح أن بطلميوس الخامس هو الذى أنشأ فعلا الألقاب الفخرية فى مصر البطلمية فكيف تأتى أن الكتاب القدماء أغفلوا الإشارة إلى هذا الحدث الجديد ؟ وكيف يمكن أن نقبل الرأى القائل بأن بطلميوس الخامس أنشأ الألقاب الفخرية تقليداً للبلاط السليوكى مع أنه لايوجد دليل على وجود كل هذة الألقاب فى ذلك البلاط على نحو ما لاحظ ديتنبرجر (Dittenbreger) [1] .

إزاء كل الاعتبارات التى أوردناها نرى أن إنشاء الألقاب الرئيسية على الأقل يجب أن يعزى إلى البطالمة الأوائل الذين يبدو أنهم كانوا شديدى الاقتصاد فى منحها لكن على مر الزمن زيد عدد الألقاب واتسعت دائرة الأشخاص الذين كانت تغدق عليهم . وعندما أنشأ بطلميوس الأول أو على الأكثر بطلميوس الثانى الأرستقراطية الجديدة لاشك فى أنها كانت تتــألف من مستشاريه وكبار ساعديه الذين كان يدعوهم أصدقاءه ، وكذلك من «حرسه الخاص» . ولكى يرفع الملك بقايا الأرستقراطية المقدونية القديمة فوق مصاف الأرستقراطية المصطنعة الجديدة لا يبعــد أن يكون قد أضفى على أفرادها لقب « أقارب الملك » (Syngeneis) لأنهم كانوا إلى حد أقاربه بالقياس إلى الآخرين .

(1) O.G.I.S., I,p. 182.

وكما تصور قلة الأدلة من القرن الثالث ، فيما يحتمل ، اقتصاد البطالمة الأوائل فى منح الألقاب ، فإنه يحتمل أيضاً أن وفرة الأدلةمن القرنين الثانى والأول تصور سخاء البطالمة الأواخر فى هذا الصدد . وقد لانعدو الحقيقة إذا عزونا بداية هذا الاتجاه نحو السخاء فى منح الألقاب الفخرية إلى عصر بطلميوس الرابع ، فإن هذا الملك عندما اشتعل لهيب الثورات المصرية اضطر إلى محـــاولة كسب ود المصريين بإغداقه على الديانة المصرية ورسم نفسه فرعونا وحمل الألقاب الفرعونية التقليدية والنص عليها لا فى الوثائق المصرية فحسب بل فى الوثائق الإغريقية أيضاً . ولما لم يكن فى وســع بطلميوس الرابع إغفال الإغريق الذين كانوا سنده وعضده ولا سيما بعد قيام الثورات المصرية ولم يرضهم بطبيعة الحال ما أظهره الملك من عطف نحوالمصريين ، فإنه من الجائز أن يكون هذا الملك قد عمل على استرضاء الإغريق ودعم سيطرته عليهم بالتوسع فى إغداق الألقاب الفخرية عليهم وبالاهتمام بعبادة ديونيسوس اهتماما شديداً وتحويل الديانة الرسمية العامة إلى ديانة أسرية وجعل عبادة بطلميوس الأول فى مدينة بطوليميس عبادة رسمية عامة فى مدينة طيبة لبطلميوس الأول والملك الحاكم .

وإزاء تفاقم المتاعب التى واجهت خلفاء بطلميوس الرابع كان طبيعيا أن يزداد سخاء البطالمة الأواخر فى منح الألقاب الفخرية . ويبدو محتملا أن هذا الاتجاه كان مزدوجاً بحيث تضمن زيادة فى عدد المنتفعين وكذلك فى عدد مراتب الألقاب من أجل الاحتفاظ ، على حد رأى هن (Henne) ، بقدر من التفرقة بين حملة الألقاب[1] . وعندما نلقى سلسلة الألقـــاب البطلمية الفخرية كاملة نجد أنها أصبحت تمنح لمختلف أنواع الموظفين ، عسكريين ومدنيين فى الإدارة المركزية والإدارة المحلية ، فى الإسكندرية وفى الريف ، فى مصر وفى ولاياتها :

(1) Henne, Rev. Et. An., XLII, 1940, p. 180.

ويبدو أنه لا يوجد أى اعتراض جدى على رأى «هن» القائل بأنه عندما استكملت سلسلة الألقاب الفخرية البطلمية كانت تتألف من المراتب التالية بهذا الترتيب التصاعدى : « الخلفـــاء » و « رجال الحرس الخـــاص » و «الأصدقاء» و « كبار رجال الحرس الخاص » و « نظراء الأصدقاء الأول » (histimoi tois protois philois) و « الأصدقاء الأول » و « نظـــراء الأقارب » (homotimoi tois Syngenesei) و « الأقارب »[1] . ولا يوجد فى رأينا مبرر للافتراض بوجود طبقة وسط بين طبقتى « الأصدقاء » و « كبار رجال الحرس الخاص » .

والمراتب التى تدرج فيها بويثوس (Bœthos) ابيستراتيجوس (حاكم عام) منطقة طيبة الذى تقطع الوثائق بأنه حمل الألقاب التالية واحداً بعد آخر : « كبير رجال الحرس الخاص » و « صديق أول » و « قريب » — إن تدرجه فى هذه المراتب يفند رأى اتكينسون القائل بأن حصول موظف على لقب « قريب » لا يعنى حتما انتماءه إلى أعلى درجة فى سُلّم للترقى يؤدى اليها دون أى تغيير من مرتبة الخلفاء عبر الدرجات الأخرى[2] ، اللهم إلا إذا كانت تقصد بذلك احتمال تخطى بعض الدرجات الوسط مثل درجة « نظراء الأصدقاء الأول » أو درجة « نظراء الأقارب » ، أو عدم ضرورة البداية من أسفل الدرج . لكن إذا جاز ذلك فى بعض الحالات فلا بد من أنه كان استثناء من القاعده تبرره ظروف خاصة .

وهذا يؤدى إلى التساؤل : أكانت هناك قواعد لمنح الألقاب ؟ وهل تمتعت مديرية ارسينوى (الفيوم) — باعتبارها مديرية ينزل فيها عدد من الإغريق يفوق من كانوا فى أى مديرية أخرى — هل تمتعت بميزة خاصة لم تتمتع بها المديريات الأخرى ؟ وهل امتاز العسكريون على المدنيين فى مسألة الألقاب ؟ وهل حدث تدهور فى قيمة الألقاب أم ارتفاع من قدر المناصب أم الأمران

(1) Henne, op. cit., p. 178.
(2) Aegyptus, op. cit., 214.

معا ؟ وهل التطور الذى حدث فى ألقاب حكام المديريات قد حدث كذلك فى ألقاب غيرهم من الموظفين مدنيين كانوا أم عسكريين ؟ وهل كانت الألقاب وراثية ؟ لقد أثار سكيت (Skeat) وهن (Henne) وبنجتسون (Bengtson) وغيرهم من الباحثين سؤالا أو آخر من هذه الأسئلة الطريفة التى نرى أنه من أجل الإجابة عنها يجب استعراض الأدلة التى لدينا .

تحدثنا النقوش والوثائق البردية بأن خريسرموس (Chrysermos) ابن اسكندر ، الاكسجيتس وكبير الأطباء[1] فى عهد بطلميوس الخامس أو على الأرجح بطلميوس السادس ، وأپولونيوس ، كبير المشرفين على الطعام (archedeatros)[2] فى عهد بطلميوس السادس أو التاسع ، وأنطيوخوس الأرخدياتروس[3] فى عهد بطلميوس إسكندر الأول ، والهيپومنماتوجرافوى (hypomnematographoi = سكرتيرى الملك لشئون الأوامر والتوقيعات على الشكاوى المرفوعة للملك) امفيكلس[4] (١٢٣ق. م.) وبطلميوس[5] (٩٥/٩٤) وثيريس[6] (Theris) (٦٩/٦٨) واريسطوكراتس[7] (التاريخ غير معروف) وكذلك الاپيستولوجرافوى (epistolographoi = سكرتيرى الملك لشئون المراسلات) نومنيوس[8] (١٤٣/١٣٩) وستولوس ابن ثيون[9] (١١٦/٨٠) وفيلوكراتس[10] (٩٩) كانوا جميعاً يحملون لقب «قريب الملك» ، مما يدل على أن كبار رجال الحاشية الملكية سواء

(1) OGIS. 104,2.
(2) OGIS,169,4.
(3) OGIS, 181,3.
(4) Archiv, I, 1901, pp. 61-2, l. 1 (= P. Cairo 10371) ; P. Tebt. 61 b, l. 263 ; Peremans, P.P.I., No. 6.
(5) S.E.G. VIII, 466, ll. 36-8 (= S.B. 7259) ; OGIS, 740 ; Pr.Pt. I. No. 11.
(6) S.B. 6155, ll. 24-5 ; Pr.Pt. I, No. 9.
(7) OGIS, 163, ll. 2-4 ; Pr.Pt. I, No 7.
(8) OGIS, 239, ll. 14-15 ; Pr. Pt. I, No. 2.
(9) Roussel — Launey, Inscr. Delos, 1533 ll. 1-4 ; 1534, ll. 1-6 ; Pr. Pt. I, No. 3.
(10) UPZ 106, ll.16-7 ; 107, ll. 19-20 ; 108, ll. 15, 24, 25 ; Pr. Pt. I. No. 4.

حوالى منتصف القرن الثانى أم فى أواخره وخاصة فى القرن الأول كانوا يحملون أرفع الألقاب الفخرية .

وقد مر بنا أنه منذ ٢٣٠ — ٢٢٩ ق . م على الأقل كان الديويكيتس (dioiketes = وزير المالية)خريسيپوس يحمل لقب«كبير الحرس الخاص»[١] لكن حوالى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثانى كان وزير المالية ابولونيوس من فئة « الأصدقاء » [٢] فقط شأنه شأن الوزيرين ديونيسيوس[٣] (حوالى منتصف القرن الثانى) وديوسكوريدس[٤] (١٥٧) غير أن الأخير لم يلبث أن غدا من « كبار رجال الحرس الخاص»[٥] مثل ما كان قبله الوزير اسكليپيادس[٦] (١٦٣) . وكان اثنان من وزراء مالية الربع الثالث من القرن الثانى يحملان لقبين مختلفين ، فقد كان ساراپيون [٧] (حوالى ١٥٠ ق. م.) يحمل لقب « قريب الملك » وأپولونيوس[٨] (حوالى ١٣١ ق.م.) يحمل لقب «صديق أول» . لكن كل وزراء المالية الذين نعرفهم من الربع الأخير فى القرن الثانى [ايرنايوس[٩] (١١٤ — ١١٢) وبطلميوس[١٠] (١٠٨)] وكذلك من القرن الأول [هفايستيون[١١] (٦٩/٦٨—٦١/٦٠) واثينايوس[١٢] (٦٤/٦٣) وپروتارخوس[١٣] (٥١/٥٠) وليكاريون[١٤] (أواخر عصر البطالمة)] كانوا يحملون لقب « قريب الملك » شأنهم شأن اثنين من

(1) P. Petr. III, 53 (l) ll. 3-4 ; Pr. Pt. I, No. 52.
(2) S.B. 2637, II 3-4 ; OGIS, 100 II. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 17.
(3) P. Tebt. 79, l. 56 ; Pr. Pt. I, No. 24.
(4) UPZ, 14, ll. 99, 123 ; Pr. Pt. I, No. 27.
(5) P. Berl. Zilliacus 1, l. 22 ; Pr. Pt. I, No. 27.
(6) UPZ 25, ll. 4-5 ; 26, ll. 3-4 ; Pr. Pt. I, No. 21.
(7) P. Tebt. 743, ll. 5-6 ; Pr. Pt. I, No. 46.
(8) Revillout Melanges, p. 323, l. 1 ; p. 325, l. 5 ; Pr. Pt. I, No. 18.
(9) P. Tebt. 72, ll. 241-3 ; Pr. Pt. I, No. 29.
(10) P. Grenf. II, 23, ll. 9-10 ; Pr. Pt. I, No. 43.
(11) BGU, VIII, 1772, ll. 18-19, 30 ; Pr. Pt. I, No. 31.
(12) BGU, VIII, 1774, l. 3 ; 2747, l. 8 ; 1748, l. 7 ; 1749, l. 4 (= S.B. 7408 ; 7410 ; 7411 ; 7412) ; Pr. Pt. I. No. 15.
(13) BGU, VIII, 1760, ll. 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 39.
(14) S.B. 2100, ll. 1-7 ; Pr. Pt. I, No. 37.

مرعوسيهم [كاستور (١) (٥٧ أو ٨٩) ونومنيوس (٢) (حوالى ٥٧/٥٦)] كانا مشرفين على حساب الملك الخاص (idiologoi) .

وقد كان سارابيون (٣) وهرموناكس (٤) مساعدين لوزير المالية ، (hypodioiketai) ، الأول فى عام ١٦٣ ق . م . والثانى فى عام ١٠٨ ق.م. لكن بينما كان الأول ينتمى إلى فئة « الحلفاء » كان الثانى فى عداد « نظراء الاقارب » . أما خايرمون (٥) وهرمياس (٦) اللذان كان من كبار موظفى الإدارة المالية المحلية (epimeletai) فإنهما كانا ينتميان إلى فئة « الحلفاء » برغم أن الأول كان يتولى منصبه فى ١٥٤—١٥٢ ق . م. والثانى فى أواخر القرن الثانى ، على حين أن موظفا أقل شأنا من هذين الموظفين مثل پانتاليون (٧) الذى كان مراقب جمع الضرائب النوعية (oikonomos sitikou) فى قسم هيراكلايدس بمديرية الفيوم فى عام ٩٧/٩٦ ق. م. كان ينتمى إلى فئة «نظراء الأقارب» شأنه شأن هرموناكس مساعد وزير المالية فى منطقة طيبة فى عام ١٠٨ كما مر بنا .

ويستوقف النظر كذلك أنه حوالى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثانى عندما كان أپولونيوس بن ثيون يشغل وظيفة وزير المالية ، أى عند ما كان أخطر موظف فى الدولة بعد الملك مباشرة ، ويحمل لقب «صديق» كان كبير القضاة (archidikastes) ديونيسيوس بن تيموناكس من فئة «الأصدقاء الأول» (٨).

وقبل تناول موظفى الإدارة فى الأقاليم أحب أن أقرر أولا أننى آخذ بالنتائج التى تمخضت عنها بحوث ڤانت داك (٩) (Van t' Dack) وتتلخص

---

(1) OGIS, 188, ll. 1-5 ;189, ll. 1-4 ; Pr. Pt. I, No. 35.
(2) BGU, VIII, 1782, ll. 3-4, Pr. Pt. I, No. 38.
(3) UPZ, 17, l. 1 ; 20, l. 36 ; 25, ll. 7-8 ; 26, ll. 5-6 ; 41, l. Pr. Pt. No 914.
(4) P. Grenf. II, 23, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 908.
(5) P. Tebt. 843, ll. 1-2 ; 61 (b), ll. 70-1 ; 72, l. 48 ; Pr. Pt. I,No. 958.
(6) P. Ryl. 67, l. 2 ; Pr. Pt. I, 940.
(7) OGIS, 177, ll. 5-9 ; Pr. Pt. I, No. 940.
(8) OGIS, 136, ll. 2-4.
(9) Aegyptus, 29, 1949, pp. 14-33.

فى أنه عندما أقيم حاكم عام على منطقة طيبة ، منذ عهد بطلميوس الخامس ، أصبح يوجد فى تلك المنطقة ثلاثة أنواع من الحكام الرئيسين وهم : (١) الحاكم العام ،وكان يسيطر على المنطقة بأسرها (٢) القواد الذين كان كل منهم يشرف على عدد من المديريات (٣) الحكام الذين كان كل منهم يحكم مديرية واحدة بصفتهم نواب حكام الفئة الثانية ، ويدعون قوادا (Strategoi) فى بعض الأحيان واپيستاتاى (epistatai) فى أكثر الأحيان .

إن هيپالوس ، الذى يرجح أنه كان حاكما عاما لكل الريف المصرى على الأقل من أبريل ١٨٥ حتى ديسمبر ١٦٩ ق.م [١] كان يحمل لقب «كبير رجال الحرس الخاص» [٢] فى عام ١٧٨/١٧٧ ولقب « صديق أول » [٣] على الأقل منذ عام ١٧٥ . ويلاحظ أن كل من نعرفهم من حكام الطبقة الأولى فى منطقة طيبـــة فى النصف الأول من القرن الثـــانى [نومنس [٤] (١٧١ / ١٦٩) وهـــيرونيموس [٥] (١٦٩ / ١٦٣) وبويثوس [٦] (١٦٣/١٤٥)] كانوا من فئة «كبار رجال الحرس الخاص» شأنهم شأن أكثر حكام المديريات خارج منطقة طيبة مثل بطلميوس [٧] (حوالى ١٧٥/١٧٠) وساراپيون [٨] ومنكراتس [٩] (حوالى ١٥٠) [مديرية ارسينوى] وسوتيون [١٠] (١٦٣/١٤٥) [مديرية بوبسطة] وأريوس [١١] (١٦٣/١٤٥) [مديرية فاربايثوس]

---

(1) UPZ, 110 ll. 164-5 ; Skeat, The Episrategos Hippalos, Archiv, XII, 1937, pp. 40 ff.
(2) P. Tebt. 778 ; P. Lond. 610.
(3) P. Tebt. 895, l. 1.
(4) Siut Archive B.M. e.g. 10591 recto II, ll. 3-4, III, l. 21 ; verso III, ll. 3-4 ; P. Grenf. I, 38, ll. 1-2 ; Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 196.
(5) S.B. 1436, ll. 8-9 ; Pr. Pt. No. 192.
(6) OGIS, 111, ll. 7-11 ; P. Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 188.
(7) P. Tebt. 895, l. 5 ; 779, l. 1 ; 780, l. 1 ; B.G.U. III, 1012, ll. 18-9 ; Pr. Pt. I, No. 312.
(8) P. Tebt. 743, II. 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 327.
(9) P. Tebt. 771, II. 22-3 ; Pr. Pt. I. No. 282.
(10) R.E.G., 27, 1914, p. 475 ; Pr. Pt. I. No. 335.
(11) S.B. I, 1164, ll. 5-7 ; Pr. Pt. I, No. 227.

وبطلميوس(١) (١٥٦/١٥٥) [مديرية هيراكليوپوليس] وكافيسودوروس(٢) (١٦٥/١٤٦) [مديرية كزويس] لكن كومانوس(٣) (١٨٧ فى مديرية ارسينوى) وكراتروس(٤) (١٧٦/١٧٥ فى مديرية منف) وديونيسيوس(٥) (١٦٥ فى مديرية هليوپوليس) كانوا فى عداد « الأصدقاء الأول » . ومما يجدر بالملاحظة أولا أن اثنين من خلفاء كراتروس « الصديق الأول » وهماديونيسيوس(٦) (١٦٣ – ١٦١/١٦٠) وپوسايدونيوس(٧) (١٥٨) كانا ينتميان إلى فئة « الأصدقاء » فقط وان كان الأخير أصبح فى عام ١٥٧ من فئة « كبار رجال الحرس الخاص » . وثانيا أن حكام مديرية منف لم ينفردوا بهذه الظاهرة، فقد عرفنا أن كومانوس حاكم مديرية ارسينوى فى عام ١٨٧ كان من فئة « الأصدقاء الأول » فى حين أن ثلاثة على الأقل من خلفائه (بطليموس وساراپيون ومنكراتس الذين مر بنا ذكرهم) كانوا ينتمون إلى طبقة « كبار رجال الحرس الخاص »

وقد كان ثلاثة من حكام منطقة طيبة من الطبقتين الثانية والثالثة فى النصف الأول من القرن الثانى [دايماخوس(٨) (١٦٧/١٦٦) وليكيسكوس(٩) (١٦٥) وبطلميوس(١٠) (١٦٢)] ينتمون إلى فئة « الخلفاء » مثل كودياس(١١) حاكم مديرية هيراكليوپوليس (١٦٧ / ١٦٠) ، فى حين أن اينياس(١٢)

---

(1) P. Berl. Zil. 1, ll. 57-8, 65, 81 ; 2, ll. 19-20.
(2) S.B. III 6664, ll. 6-9 ; Pr. Pt. I, No. 269.
(3) P. Col. inv. 481 ; Pr. Pt. I, No. 270.
(4) UPZ. 124, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 272.
(5) S.B. I,3941, ll. 1-3 ; Cf. Pr. Pt. I. No. 243.
(6) UPZ. 7, ll. 1-2 ; 2, l. 1 ; 19, l. 31 ; 20, ll. 46-7 ; 42, ll. 41-2 ; 8, l. 1 ; 41, II. 91-20 ; 11, II, 18-19; Pr. Pt. I, No. 244.
(7) UPZ. 12, ll. 1-2 ; 13, ll. 1-4.
(8) P. Par., p. 415 ; Pr. Pt. I, No. 238.
(9) P. Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 275.
(10) BGU. III, 992, col. I ll. 10-11 ; S.B. I, 4512, ll. 10-11 ; Pr. Pt. I, No. 314.
(11) P. Hamb. 91, l. 1 ; UPZ, 9, l. 12 ; S.B. III, 6261 ; UPZ, 10,II. 27-8 ; 11, l. 19 ; Pr. Pt. I, No. 274.
(12) PSI. VII, 815, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 375.

(١٥٤/١٦٣) ابيستاتس مديرية افروديتوبوليس كان من فئة « رجال الحرس الخاص » .

ويتضح مما أسلفناه أن حكام المديريات المختلفة فى النصف الأول من القرن الثانى كانوا يحملون ألقابا فخرية متباينة تشمل كل المراتب ماعدا مرتبتى « أقارب الملك »[١] « ونظراء الأقارب » .

وبين عام ١٤٣ وعام ١٢٥/١٢٤ ق . م . عند ما كان أربعة من حكام مديرية ارسينوى [بطلميوس [٢](١٤٣) و (بطـ) .وليدس [٣](١٤٣/١٤١) وفانياس[٤] (١٣٧/١٣٦) وفيلينوس[٥] (١٢٥/١٢٤)] وواحد من حكام منطقة طيبة[پاوس[٦] (١٣٧/١٣٦)] فى زمرة « الأصدقاء الأول » كان ابولودوروس[٧] (١٤٣/١٤٢) حاكم هرموپوليس ينتمى إلى « نظراء الأصدقاء الأول » ، وهرويدس[٨] (١٤٤/١٤٢) وسانتوبيثوس[٩] (١٣٨/١٣٧) من حكام الدرجة الثانية فى منطقة طيبة ينتميان إلى « كبار رجال الحرس الخـــاص » . وعند ما كان فيلينوس (١٢٥/١٢٤) حاكم مديرية ارسينوى ينتمى إلى « الأصدقاء الأول » كان هرمياس[١٠] أحد حكام طيبة من الدرجة الثانية ينتمى فى العام نفسه إلى فئة أعلى من ذلك وهى فئة « نظراء أقارب الملك » . لكن من ناحية أخرى نلاحظ أن كل الذين نعرف أنهم كانوا حكام مديرية ارسينوى منذ شغل پارثنيوس[١١] هذا المنصب فى عام

---

(1) Henne, op. cit., p. 177.
(2) P. Tebt. 736, l. 54 ; Pr. Pt. I, No. 316.
(3) P. Tebt. 790, ll. 16-7 ; Pr. Pt. I, No.32.
(4) P. Tebt. 787, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 340.
(5) P. Tebt. 700, ll. 18-9, 97 ; Pr. Pt. I, No. 341.
(6) P. Ryl. 66 intr. ; Pr. Pt. I, No. 302.
(7) P. Ryl. 253 recto II, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 215.
(8) S.B. V, 8394, ll. 3-4, 18 ; Pr. Pt. II, No. 2059.
(9) BGU, VI, 1247, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 326.
(10) UPZ, 160, l. 30 ; 161, ll. 20-1 ; Pr. Pt. I, No. 253.
(11) P. Tebt. 101, ll. 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 299.

١٢٠ ق . م . [لوسانياس(١) (حوالى ١١٩) وأپولونيــوس(٢) (١١٨) وايريناپوس(٣) (حوالى ١١٦) وبطلميوس(٤) (١١٤) وانتــايوس(٥) (أواخر القرن الثانى) ولوسانياس(٦) (٩٥) واپولونيوس(٧) (٦٩/٧٠) وثيريس(٨) (قبل ٦٨/٦٩)] كانوا يحملون لقب « قريب الملك » . غير أن حمل هذا اللقب لم يكن ميزة انفرد بها حكام مديرية ارسينوى ، إذ أنه قبل أن يحمله پارثنيوس وخلفاؤه كان أربعة على الأقل من حكام الدرجة الأولى فى منطقة طيبة [بويثوس(٩) (١٣٥/١٣٦) وپاوس(١٠) (١٣٠) وپولارخوس(١١) (حوالى ١٢٧) واوخوس(١٢) (١٢٦/١٢٧)] قد حملوا هذا اللقب . ويبدو أنه منذ بلغ بويثوس هذه المرتبة أصبحت القاعدة أن ينتمى اليها كل حكام الدرجة الأولى فى منطقة طيبة إذ أنه إلى جانب الأمثلة الأربعة التى ذكرناها نعرف ثلاثة أمثلة أخرى من خلفائهم فى هذا المنصب [ديمتريوس(١٣) (١١٧) وهرموكراتس(١٤) (١١٥) وفومّوس(١٥) (حوالى ١١٥)] وكانوا أيضاً فى مرتبة « أقرباء الملك » ، بل كان فى المرتبة نفسها أيضاً أحد حكام الدرجة الثانية فى منطقة طيبة (هرمياس(١٦) (١١٧)] وأحد حكام الدرجة الثالثة فى تلك المنطقة [ابو اودوروس(١٧) (١٠٩/١١٠)]

---

(1) P. Tebt. 41, ll. 11-2, 35-6 ; Pr. Pt. I, No 276.
(2) P. Tebt. 43, ll. 33-4 ; Pr. Pt. I, No. 223.
(3) P. Tebt. 791, ll. 1-3 ; Pr. Pt. I, No. 250.
(4) P. Tebt. 15, l. 15 ; Pr. Pt. I, No. 318.
(5) P. Tebt. 134 ; Pr. Pt. I, No. 213.
(6) OGIS. 179, ll. 3-6 (= Milne 9245) ; Pr. Pt. I, No. 277.
(7) S.B. III, 6236, ll. 34-5 ; 6154. ll. 20-1 ; Pr. Pt. I. No. 224.
(8) PSI. VIII, 949, 1. 1 ; Pr. Pt. I, No. 262.
(9) S.B. I, 4638 ; Pr. Pt. I, No. 188.
(10) OGIS. 132, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 197.
(11) OGIS. 133, ll. 1-4 ; Pr. Pt. I, No. 199.
(12) UPZ. 187, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 195.
(13) UPZ. 162, I, 1. 17 ; Pr. Pt. I, No. 189.
(14) OGIS. 168 ; Pr. Pt. I, No. 191.
(15) O. Tait (Flinders Petrie) 49, 11. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 202.
(16) UPZ. 162, I, ll. 12-4 ; Pr. Pt. I, No. 253.
(17) S.B. V, 8036 ; Pr. Pt. I, No. 216.

وكذلك ثلاثة حكام فى مديريات مختلفة خارج تلك المنطقة [دوريون[1] فى منف (حوالى ١١٢) واسكلپيادس[2] فى هرموپوليس (١٣٨) وهراكلايتوس[3] لكن أمونيوس[4] أحد حكام الدرجة الثالثة فى منطقة طيبة كان لا يزال فى عام ١١٨ بين « الأصـــدقاء الأول » . أما فى القرن الأول ق . م . فإن كل حكام منطقة طيبة على اختلاف درجاتهم وكذلك كل حكام المديريات المختلفة[5] كانوا يحملون لقب « قريب الملك » باستثناء أحد[6] حكام الدرجة الثالثة فى منطقة طيبة (٨٠ / ٥٧ ق . م .) فقد كان لا يزال فى عداد « نظراء الأقارب » .

*

ولا ريب فى أن منصب وزير المالية كان أكثر أهمية من منصب الحاكم العام فى منطقة طيبة أو منصب حاكم أى مديرية ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا تصورنا أن منصب الحاكم العام فى منطقة طيبة ، التى كانت تضم عدداً كبيراً من المديريات ، كان كذلك أكثر أهمية من منصب حاكم أى مديرية خارج تلك المنطقة . ومع ذلك فإن وزراء المالية الذين أتانا نبؤهم من النصف الأول فى القرن الثانى كانوا يحملون لقب « صديق » وهو اللقب نفسه الذى كان يحمله عندئذ اثنان من حكام مديرية منف وأدنى من لقب « كبير رجال الحرس الخاص » الذى كان يحمله فى هذا الوقت كبار حكام منطقة طيبة وكذلك غالبية حكام المديريات خارج تلك المنطقة ، وبطبيعة الحال أدنى كثيراً من لقب « صديق أول » الذى كان يحمله ثلاثة حكام فى ثلاث مديريات مختلفة . ويستوقف النظر أنه فى المديرية ذاتها، فى أرسينوى

(1) OGIS. 737, 11. 5-6 (= Milne 33027) ; Pr. Pt. I, No. 248.
(2) P. Rein. 18, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 235.
(3) P. Fouad 16, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 259.
(4) PSI, 166-170 ; Pr. Pt. I, No. 210.
(5) Cf. Pr. Pt. I, pp. 23 ff.
(6) Archiv. 2, 1903, pp. 557-8, No. 39, ll. 3-9 (= Milne 9246) ; Pr. Pt. I, No. 267.

وكذلك فى منف ، لم يحمل الحكام المتتابعون اللقب نفسه ، ففى مديرية أرسينوى كان ثلاثة من خلفاء كومانوس « الصديق الأول » يحملون لقباً أدنى منه وهو لقب « كبير رجال الحرس الخاص » ، وفى منف كان اثنان من خلفاء كراتروس « الصديق الأول » يحملون لقباً أدنى كثيراً من لقبه وهو لقب « صديق » فقط .

وفى الربع الثالث من القرن الثانى حين كان لقب وزير المالية سارابيون « قريب الملك » ولقب الوزير ابولونيوس « صديق أول » كان لقب أربعة من حكام مديرية أرسينوى وواحد من حكام منطقة طيبة « صديق أول » على حين أن أربعة على الأقل من حكام الدرجة الأولى فى هذه المنطقة كانوا يحملون لقب « قريب الملك » ، بل إنه فى عام ١٢٥/١٢٤ عندما كان فيلينوس حاكم مديرية أرسينوى من « الأصدقاء الأول » كان هرمياس أحد حكام طيبة من الدرجة الثانية من « نظراء الأقارب » . وفى الربع الأخير من القرن الثالث كان كل وزراء المـالية وحكام مديرية أرسينوى يحملون لقب « قريب الملك » الذى سبقهم إليه حكام الدرجة الأولى فى منطقة طيبة والذى كان يحمله عندئذ أيضاً أحد حكام الدرجة الثانية وأحد حكام الدرجة الثالثة فى تلك المنطقة وثلاثة حكام فى مديريات مختلفة خارج تلك المنطقة . ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن المعلومات التى لدينا عن مـديرية أرسينوى أوفى منها عن أى مديرية أخرى ، ومرد ذلك إلى أن تلك المديرية مصدر أكثر ما لدينا من الوثائق .

وفى ضوء ماعرضناه لايسعنا إلا الخروج بالنتيجتين التاليتين : وإحداهما أنه لم تكن هناك صلة أكيدة بين المناصب وألقاب شاغليها بمعنى أن شغل منصب بعينه لم يستتبع حتما أن يحمل شاغله لقبا بعينه حتى أواخر القرن الثانى ، فيما يبدو . والنتيجة الأخرى أن مديرية ارسينوى لم تتمتع بأية ميزة خاصة تكسب حاكمها مكانة أسمى من مكانة حكام المديريات الأخرى .

ولما كان فى كل بلاط ملكى قواعد ثابتة لمنح الألقاب الفخرية فإننا نعتقد أن بلاط البطالمة لم يشذ عن غيره فى هذه الناحية ، ولا سيما أنه يؤيد ذلك وجود سلسلة من الألقاب البطلمية وارتقاء حامليها من مرتبة إلى أخرى . ومع ذلك ينبغى ألا يغيب عن بالنا أن وجود قواعـــد لمنح الألقاب لا يستتبع حتما عدم الخروج على هذه القواعد فى بعض الأحيان . ولذلك يجب ألا تثار شكوكنا فى وجود هذه القواعد إذا طالعتنا الوثائق على أمثلة لعدم احترامها.

وقد كان طبيعياً أن يؤدى إلى ازدياد أهمية حكام المديريات باطراد اضطراب أحوال البلاد نتيجة للثورات القومية والخلافات الأسرية بين أفراد أسرة البطالمة ، ويتأيد ذلك بأنه فى خلال القرن الثانى رُكزت فى قبضة أولئك الحكام سلطات إدارية وقضائية وحربية . ومع ذلك نشك فى أن مكانة أولئك الحكام قد بلغت من الأهمية مايبرر مساواتهم بوزير المالية ومنحهم جميعاً أسمى الألقاب الفخرية . ولعل السخاء فى منح هذه الألقاب لكبار حكام منطقة طيبة وحكام المديريات المختلفة ، ولا سيما فى عهد بطلميوس الثامن يورجتيس الثانى (١٤٥–١١٦ ق . م .) ، لم يكن إلا وسيلة للفوز بتأييد أولئك الحكام للعرش ، ويشير إلى الدور الرئيسى الذى قام به هذا الملك فى التطور الذى طرأ على الألقاب البطلمية(١) .

وإذا كان يمكن القول بأنه فى حالة حكام منطقة طيبة والمديريات قد حدث ازدياد فى أهمية المناصب وكذلك هبوط فى قيمة الألقاب ، فإنه لا يمكن قول ذلك عن أغلب الحالات الأخرى . فمثلا لا يمكن القول بأن أهمية منصب وزير المالية فى أواخر القرن الثانى ، عندما كان كل الذين شغلوه عندئذ يحملون لقب « قريب الملك » ، كانت أكثر أهمية منه فى ٢٠٣/١٨٠ عندما كان لقب الوزير أپولونيوس بن ثيون « صديقا » . ولا يمكن القول بأن أهمية منصب مساعد وزير المالية قد ازدادت بين عام ١٦٣ ، عندما كان

---

(1) Henne, op. cit., p. 185.

سارابيون من فئة « الخلفاء » ، وعام ١٠٨ عندما كان هرموناكس من فئة « نظراء أقارب الملك » ، ولا بأن أهمية منصب سكرتيرى الملك قد ازدادت فى أواخر القرن الثانى ازدياداً يبرر مساواة شاغليه فى اللقب مع وزير المالية مثلا . ومع ذلك فانه إزاء منح حكام الأقاليم أرفع الألقاب الفخرية يبدو لنا رفع مستوى ألقاب كبار الموظفين أمراً طبيعياً . فنحن إذن لانعدو الحقيقة إذا قررنا أن الاتجاه العام نحو الهبوط فى قيمة الألقاب لم يكن مقصورا على حكام الأقاليم بل تعداهم حتى شمل كل الموظفين المدنيين .

وعندما ننتقل إلى العسكريين نجد أن الأدلة أقل من أن تسمح بمقارانات مثمرة مع المدنيين والوصول إلى نتائج شافية . ولابد من أن حكام قبرص كانوا عسكريين ولاسيما أنهم كانوا فى الوقت نفسه قواد الأسطول البطلمى الراسى هناك . ولاشك فى أن كبار حكام منطقة طيبة كانوا أيضاً عسكريين فقد كانت تلك المنطقة مهد الفتن ومعقل الثوار ضد البطالمة الاواخر ، وفى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد كان من بين كل حكام الأقاليم حاكم منطقة طيبة وحـــده هو الذى يتمتع بسلطة عسكرية [١] . لقد كان لقب بوليكراتس [٢] حاكم قبرص فى عهـــد بطلميوس الخامس « صديقاً أول » ، أما خلفاؤه (ارخياس [٣] وهلنوس [٤] وسليوكوس [٥] ابن بيثوس وثيودوروس بن سليوكوس [٦] وكروكوس [٧]) الذين تولوا حكم تلك الجزيرة فى عهد بطلميوس السادس وكليوبترة الثانية وعهـــد بطلميوس الثامن ، وكذلك اونساندروس [٨] الذى شغل المنصب نفسه فى

(1) Aegyptus, 1946, pp. 14-18.
(2) Mitford, Mnemosyne, VI, 1939, p. 118.
(3) Strack, Dynastie, No. 96 (= Mitford, op. cit., p. 115) ; Bengtson, Strategie, p. 233, No. 139.
(4) OGIS 148 ; J.H.S. vol. 27, 35, No. 10 ; Bengtson, op. cit., p. 233, No. 140.
(5) OGIS. 151 ; 152 ; Bengtson, p. 234, No. 141.
(6) OGIS. 157 ; Bengton, op. cit., p. 234, No. 142.
(7) OGIS 140= Inscr. Delos, 1528 ; Bengtson, op. cit., p. 234, No. 143.
(8) OGIS. 172.

عهد بطلميوس التاسع سوتر الثانى ، كانوا جميعاً يحملون لقب « قريب الملك » .

إن رفع لقب حاكم قبرص من « صديق أول » فى عهد بطلميوس الخامس إلى « قريب الملك » منذ عهد بطلميوس السادس ليشير إلى التطور نفسه الذى سبق أن لاحظناه فى ألقاب الموظفين المدنيين ، وإن كان من الواضح أن حكام قبرص كانوا أسبق من الموظفين المدنيين فى بلوغ مرتبة « قريب الملك » ، ففى الوقت الذى كان فيه حكام قبرص العسكريون يحملون لقب « قريب الملك » كان ثلاثة من وزراء المالية فى مصر يحملون لقب «صديق» واثنان لقب «كبير رجال الحرس الخاص» وواحد لقب « صديق أول » وآخر لقب « قريب الملك » دون أن يكون التطور فى ارتفاع اللقب متمشيا دائماً مع التطور الزمنى ، لكن منذ انتمى الوزير ايرنايوس فى ١١٤ — ١١٢ق.م. إلى مرتبة « قريب الملك » كان كل وزراء المالية الذين نعرفهم ينتمون إلى هذه المرتبة . وقد سبق أن لاحظنا أنه قبل ذلك بربع قرن تقريباً أو على وجه التحديد منذ ١٣٦/١٣٥ ق.م. كان كل كبار حكام منطقة طيبة ينتمون إلى هذه المرتبة نفسها ، وبذلك يكونون قد سبقوا إليها رجال السلطة المركزية المدنيين وكذلك جميع رجال الإدارة المحلية فى الأقاليم .

وقد كان حكام المدن الواقعة فى ممتلكات مصر الخارجية يحملون ألقاباً متباينة تقابل ألقاب حكام الأقاليم فى مصر ، لكن يستوقف النظر أنه فى النصف الأول من القرن الثانى حين كان أغلب حكام مديريات بأجمعها فى مصر يحملون لقب « كبير رجال الحرس الخاص » كان فيلوتاس[1] (١٨٠ / ١٤٥) فى إيتانوس بكريت وتيودوروس[2] (١٤٥ / ١١٦) فى سلاميس بقبرص يحملان لقب « صديق أول » ، بينما كان اجهاس[3]

(1) OGIS. 119,6.
(2) OGIS. 155,6.
(3) OGIS 113.

(١٦٣/١٤٥) فى كيتيوم وأمونيوس فى أماثوس بقبرص يحملان لقب « كبير رجال الحرس الخاص » وتيمايوس [١] فى ميثانى بالپلوپونيز لقب « صديق »، واريستيپوس [٢] (١٦٣) وكذلك لادموس [٣] (١٦٣–١٤٩) فى ثيرا ينتميان إلى فئة « الخلفاء » . ومن المؤسف انه ليست لدينا عن حكام المدن فى مصر ذاتها معلومات تمكننا من أن نعقد مقارنة بينهم وبين حكام [٣] المدن فى الخارج .

ومما يجدر بالملاحظة أنه إذا تركنا جانبا العسكريين الذى أسند اليهم حكم قبرص أو منطقة طيبة بأجمعها ، فإننا نجد أن كل ضباط الجيش الذين ورد ذكرهم فى مصادرنا سواء أكانوا فى الحرس الملكى أم فى فرق الفرسان أم المشاة كانوا يحملون ألقاباً تتفاوت بين فئة «الخلفاء» وفئة «الأصدقاء الأول» باستثناء پاتروكلس [٤] بن هيراكلايتوس ، أحد رجال الحرس الملكى بين ٩٦/٦٨ و ٦١/٦٠ ق . م ، فإنه كان ينتمى إلى فئة « نظراء أقارب الملك » . وكان اثنان من ضباط الجيش المصريين يحملان فى القرن الأول ألقاباً مصرية ، فقد وصف پامونثس [٥] بأنه «الصديق الأوحد وأخو أسرة الملك»، ووصف همسوفيس أو منثسوفيس [٦] بأنه « أخو فرعون » .

ونجد بين قواد الحاميات أن هرويدس [٧] بن داموفون (قبل ١٤٤/١٤٢)، وأپولونيوس [٨] بن هلّن (بين ١٣٥/١١٦) واپولونيوس [٩] آخر (حوالى ١١٨)، ومناسيس [١٠] بن ديونيسيوس (بين ١٤٥ / ١١٦) كانوا قواد حامية أسوان

---

(1) OGIS, 115.
(2) SEG. 343.
(3) OGIS 735,5.
(4) BGU. VIII, 1772, ll. 21-2, 31-2 ; Pr. Pt. II, No. 4301.
(5) Rec. Trav. 26, 1904, p. 50 ; Pr. Pt. II, No. 2125.
(6) P. Rhind I, 1, 2, 3 (bis), 4-8, 9 (bis), 11 (bis) ; II, 1, 3-7 ; Pr. Pt. II, No. 2189.
(7) S.B. v, 8394, ll. 3-4, 18 ; Pr. Pt. II, No. 2059.
(8) Archiv. 2, 1903, pp. 550-1, No. 32, ll. 6-8 ; Pr. Pt. II, No. 2053.
(9) S.B. I, 3448, ll. 8-9 ; Pr. Pt. II, No. 2054.
(10) S.B. I, 632, ll. 6-9 ; Pr. Pt. II, No. 2062.

أو فيلة وينتمون جميعاً إلى فئة « الخلفاء » . أما بطلميوس[1] (يناير ١٤٨) ، وكان قائد حامية فى طيبة ، فإنه كان يحمل لقب «صديق» ، وهيرا كلايدس[2] ابن ابولونيوس (٧٨) وكان قائد حامية فى هرموپوليس ماجنا ، فإنه كان من فئة « الأصدقاء الأول » .

ونجد بين ضباط الفرسان ان بانيسكوس[3] (١٣٨/١٣٧) كان من فئة « كبار رجال الحرس الخاص » ودروتون[4] (حوالى ١٣٥) من فئة «الخلفاء» وبطلميوس[5] بن أجاثوكلس (١١٩) وايرنايوس[6] (١١٩) من فئة « الأصدقاء » وشخصا[7] نعرف الجزء الأول من اسمه وهو اوپلـ . . . (٨٦) من فئة « الأصدقاء الأول » .

وإزاء الأدلة التى استعرضناها يتضح لنا أمران : وأحدهما أنه يمكن القول دون اسراف فى الرأى أنه من الجائز أن العسكريين كانوا أول الأمر أكثر امتيازاً من المدنيين بوجه عام فى الألقاب التى حملوها غير أن هذه الميزة ، إذا كانت قد وجدت على الإطلاق ، لم يعد لها وجود عند نهاية القرن الثانى ، لكن لا يمكن القول بأنه على مر الزمن سبق المدنيون العسكريين فى شوط الألقاب[8]. والأمر الآخر أنه قد حدث فى قيمة ألقاب العسكريين هبوط يماثل ذلك الذى حدث فى قيمة ألقاب المدنيين .

أما عن مسألة وراثة الألقاب فإننا إذا أخذنا مثلا حالة سليوكوس وابنه ثيودوروس اللذين أشرنا إلى أنهما كانا حاكمى قبرص ويحملان لقب « قريب الملك » ، نلاحظ أن ثيودوروس قبل أن يشغل هذا المنصب ويحمل

(1) P. Lond. 610 ; Pr. Pt. II, No. 2064.
(2) S.B. V, 8066, ll. 77-8 ; Pr. Pt. II, No. 2058.
(3) S.B. III, 6184, ll. 5.7 ; Pr. Pt. II, No. 2230.
(4) P. Amh. II, 36, ll. 3-9 ; Pr. Pt. II, 2206
(5) UPZ. 161, ll. 2-3 ; Pr. Pt. II, No. 2235.
(6) UPZ 161, l. 3 ; Pr. Pt. II, No. 2208.
(7) P. Tebt. 54, ll. 1-3 ; Pr. Pt. II, No. 2229.
(8) Cf. Henne, op. cit., No. 184.

هذا اللقب كان حاكم سلاميس وينتمى إلى فئة «الأصدقاء الاول» . ولا يمكن أن نرى مبرراً للافتراض بأنه عندما أصبح ثيودوروس حاكماً لقبرص كلها ومنح لقب « قريب الملك » قد حصل على هذا اللقب نتيجة لوراثته عن أبيه لانتيجة لترقيته أكثر مما يمكن أن نرى مبرراً للافتراض بأنه قدورث منصبه كذلك عن أبيه وهو افتراض غير مقبول على الإطلاق . ومما يجدر بالملاحظة أنه فى نقش[1] من عهد بطلميوس الخامس ذكر بطلميوس بن بطلميوس وكان الأب ينتمى إلى فئة « الاصدقاء الاول » والابن إلى فئة « كبار رجال الحرس الخاص » ، فإذا كان الابن قد بلغ بعد ذلك مرتبة أبيه فإنه لا يجوز القول بأن ذلك قد حدث نتيجة للوراثة . وفى نقش[2] آخر ذكر ليونيداس بن فيلوتاس وكان كل من الأب والابن ينتميان إلى فئة « الأصدقاء الأول » .

وهكذا يبين لنا أن الأدلة لاتوحى بأن الألقاب كانت تورث ، وإن كنا لانستبعد إفادة الأبناء من مكانة آبائهم وإيثار أبناء أصحاب الألقاب على غيرهم .

---

(1) OGIS. 99 = S.B. V, 8274, ll. 2-3.

(2) S.B. 6665 ; B.S.A.A. 19, 1923, p. 123.

حسن عبد الوهاب — ٤

التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر

التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر

بالرغم من وحدة الإقليمين منذ أقدم العصور ووجود منشآت أثرية للفرد الواحد فى الإقليمين ، وتبادل الصناع والمهندسين أحياناً ، فإن الباحث الآثارى إن وجد اتفاقاً فى بعض الوحدات المعمارية لايجدها فى بقية التفاصيل .

وكان لفقد الكثير من آثار سوريا بسبب الزلازل وغارات التتار والصليبيين ، أثر كبير فى القضاء على كثير من الآثار ،وعلى الوحدات التى كانت تؤيد التأثيرات المعمارية ، حيث لا نرى أثراً باقياً فى سوريا مكتملا . اللهم إلا القليل ، وخاصة الآثار العثمانية . وهذا ما نقرؤه أيضاً فى تعليقات السادة ناشرى تاريخ وخطط دمشق والصالحية وحلب ، وتأسفهم على فقد الكثير من المساجد والمدارس والخوانق[1] الوارد ذكرها فى تلك المؤلفات .

أما القاهرة فبالرغم من ضياع الكثير من آثارها ، فإنها احتفظت بأهم مجموعة كاملة من الآثار ، تساعد الباحث على دراستها فى مختلف عصورها المتعاقبة عليها ، والشىء الوحيد الذى فقدت الكثير منه ، هو آثار العصر الأيوبى . فإنه رغم تعميره فى مصر زهاء ثمانين عاماً ، أنشئت خلالها مجموعة كبيرة من الخوانق والمساجد والمدارس فإنها اندثرت ، وقلما نجد فيما تبقى منها

---

(١) انظر : «الدارس فى تاريخ المدارس» . تأليف عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى ، تحقيق الأستاذ جعفر الحسنى ،من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق – و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» تأليف المرحوم محمد راغب الطباخ . و« القلائدالجوهرية فى تاريخ الصالحية» لابن طولون الصالحى ،تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان . و«نهر الذهب فىتاريخ حلب» للأستاذ كامل بن حسين الغزى . و«خطط الشام »المرحوم محمد كردعلى .

أثراً كاملا ، ولكن ما تبقى منها يعطى فكرة ناضجة عن تطور تفاصيلها المميزة لها ، وكنت أمنّى النفس أن أجد منها ثروة فى سوريا معقل الدولة الأيوبية . إلا أنها لم تكن أسعد حظاً من معاصرتها بمصر ، فهى مع كثرتها غير مكتملة التفاصيل ، مما جعلنى لا أعجب من تصريح مؤرخ حلب « المرحوم الشيخ محمد راغب الطباخ » ، حينما تكلم عن مدرسة الفردوس وقال : « إنها المدرسة الوحيدة التى حفظتها[1] لنا الأيام » .

وعلاوة على ذلك ، فإن وجه الشبه معدوم بينهما ، ولعل التأثيرات المعمارية متبادلة بين آثار دولتى المماليك ، ذلك أنه بعد انفضاض الصليبيين من السواحل ، والقضاء عليهم ،أصبحت مصر والشام لا يتخللها أرض لغاصب ، ولا ينازعها سلطان لغير المسلمين ، وصارت كل واحدة متممة للأخرى .

وإزاء تلك الوحدة الكاملة فى تلك الحقبة ، تبودلت الولاة والأمراء وكبار الموظفين والعلماء والقضاة يتنقلون فى الوظائف بين مصر ودمشق وحماة وحمص وحلب وغيرها ، ولذلك نرى الكثير من أسماء ملوك دولتى المماليك وأمرائهما ، مسطورة على آثار لهم بمصر والشام ، ما بين مساجد ومدارس وخوانق ، وعلى التحصينات ، مابين قلاع وأسوار وأبواب . ووقفوا عليها أعياناً بمصر والشام ، ما زالت مسطورة بالوثائق الشرعية ، وهذا كان سببا قويا للتبادل الفنى بين مهندسى مصر والشام ، وبين الصناع ، ومن هنا وقعت التأثيرات المعمارية .

وحينما نستعرض آثار سوريا والقاهرة السابقة لدولة المماليك ، نجد تأثيرات جزئية متبادلة . ففى عز الدولة الأموية وصلت إلى مصر تأثيراتها المعمارية ، حيث أنشأ عبدالعزيز بن مروان الدار المذهبة بالفسطاط[2] سنة ٦٧ هـ ٦٨٦م ، وقد عظمت نفقات إنشائها ، ونهض ولاتها بجامع عمرو ما بين زيادة

(١) إعلام النبلاء جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، للكندى ص ٤٩، ٩٥ .

وزخرف وتجديد ، فأقاموا به الصوامع الأربع ،وأحدثوا به المحراب المجوف اقتداء بالمحراب الذى أحدثه بالحرم النبوى الأمير عمر بن عبدالعزيز . وأقاموا فيه منبراً جديداً ومقصورة ، تقليداً للمقصورة المقامة بالجامع الأموى[1]

ووصفوا أعمال قُرة بن شريك والى مصر ، بأنه هدم جامع عمرو بن العاص بأمر الوليد بن عبدالملك سنة ٩٢هـ ٧١٠م ، وزاد فيه ، ونمقه ، وحسنه على عادة الوليد بن عبدالملك فى بناء الجوامع .

وفى ظل الدولة العباسية قام عبدالله بن طاهر ، والى مصر من قبل الخليفة العباسى المأمون ، بالزيادة فى جامع عمرو سنة ٢١٢هـ ٨٢٧م بمقدار النصف الجنوبى[2] وكسا شبابيكه وطبالى عمده بأخشاب حافلة بزخارف متأثرة بالزخارف الأموية ، وقد انتقل تأثيرها إلى الكنائس المعاصرة ، أبى سيفين بالفسطاط ، وأبى مقار بوادى النطرون .

وكان للشبابيك المفرغة بقصر الحير الغربى[3] ٧٢٧م المكتشف ببادية الشام (جنوبى غربى تدمر) أثر كبير على الشبابيك المفرّغة فى الجامع الطولونى ، وللشبابيك الرخامية فى الجامع الأموى تأثير على الشبابيك الرخامية فى فتحات مقياس النيل بالروضة ، وبعض الكنائس المسيحية بالفسطاط .

وكما وجد بيت المال فى المسجدين الأموى بدمشق ، والكبير بحماة ، فقد وجد كذلك فى جامع عمرو[4] منذ سنة ٩٧ هـ ٧١٥م أيام سليمان بن عبدالملك.

وللعصر الطولونى تأثير على محراب جصّى بسارية بالإيوان القبلى بصحن الجامع الأموى[5]

---

(١) المواعظ والاعتبار ، المقريزى جـ ٢ ص ٢٤٨ .

(٢) المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) انظر الصور رقم ١ — ٣ .

(٤) المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٥) انظر الصورة رقم ٤ .

وللفسيفساء فى سوريا تأثير على الفسيفساء التى وجدت بآثار مصر فى الحقبة من سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م إلى سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م ، والموجودة فى محاريب مساجد وقباب ،شجر الدر سنة ٦٤٨هـ ١٢٥٠م، والصالح نجم الدين سنة ٦٤٨هـ ١٢٥٠م ومدرسة المنصور قلاوون سنة ٦٨٤هـ ١٢٨٥م،ومحراب جامع أحمد بن طولون سنة ٦٩٦هـ ١٢٩٦ م ،ومحاريب المدرستين : الطيبرسية سنة ٧١٩ هـ ١٣١٩ م ، والاقبغاوية سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م الملحقتين بالجامع الأزهر ، ومحراب مسجد الست حدق سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠م [١] ، ونقوشها ما بين أشجار بفواكهها ، وفروع زخرفية مذهبة وملونة .

وإذا مااستعرضنا مآذن سوريا القديمة ، لوجدنا أكثرها مربعا . ومن المرجح أن صوامع جامع عمرو التى أقامها عليه مسلمة بن مخلد سنة ٥٣ هـ ٦٧٢ م كانت مربعة . وكذلك كانت وظلت المنارة فى دولتى الفاطميين والأيوبيين ، وأول المماليك مربعة إلى الدورة الأولى ، أسطوانية أو مثمنة البدن فوقها ، وتنتهى بخوذة كروية أو مخوصة .

وفى ظل الدولة الفاطمية شاعت المحاريب الخشبية المتنقلة ، بجامع عمرو وغيره ، باق منها بمتحف الفن الإسلامى ، محراب مشهد السيدة نفيسة ، (نهاية القرن الخامس الهجرى ، نهاية الحادى عشر الميلادى) ومحراب الأزهر الذى أمر بعمله الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ ١١٢٥ م ، ومحراب السيدة رقية سنة٥٢٧هـ ١١٣٢م ،وقد سرى هذا التأثير إلى حلب [٢] حيث يوجد بالمدرسة الحلوية محراب خشبى ثابت ، منقوش نقشا دقيقا ، ومكتوب ، وهو مؤرخ بسنة ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م وعليه اسم صانعه « أبوالحسن محمد بن الحرانى » وهو من روائع صناعة النجارة والحفر فى الخشب . ولكنه لايصل إلى مستوى دقة الصناعة وجمالها فى محراب السيدة رقية .

---

(١) حسن عبدالوهاب — تاريخ المساجد الأثرية جـ ١ ص ٣٧ .

(٢) انظر الصور رقم ٥ — ٦ .

وكان لمحراب المدرسة الحلوية صنو فى مسجد قلعة حلب مؤرخ بسنة ٦١٠ هـ ١٢١٣ م سرق سنة ١٩٢١ م . ويفهم من وصف ابن جبير لمحراب الجامع الأموى الكبير بحلب : ـ أنه أيضاً كان من الخشب المنقوش والمطعم بالسن [١] .

وإذا ما قارنا القباب ، ما بين سوريا ومصر فى القرن السادس الهجرى نجد فرقا كبيرا ، فالقبة الفاطمية فى مصر كانت فى النصف الأول من هذا القرن مضلعة من الخارج مجوفة الأضلاع من الداخل ، ومقرنصها من حطتين كما نراه فى قباب أوائل القرن السادس الهجرى ـ قبة ـ السيدة عاتكة سنة ٥١٤ هـ ١١٢٠م ، وقبة السيدة رقية سنة ٥٢٧ هـ ١١٣٣م ، وقبة يحيى الشبيه سنة ٥٤٥ هـ ١١٥٠م . ومنها ماشحن باطنها بزخارف وكتابات جميلة مثل قبة الحافظ لدين الله بالجامع الأزهر ٥٢٤ ـ ٥٤٤ هـ ١١٢٩ ـ ١١٤٩م .

وفى تلك الحقبة نرى القبة فوق مدخل بيمارستان نور الدين بدمشق سنة ٥٤٩هـ ١١٥٤ م ، لها طرز خاص ، مسلوبة مقرنصة مدرجة من الخارج والداخل . ومثلها قبة مدرسته [٢] ٥٦٧ هـ ١١٧٢م ، وكلاهما متأثر بقباب العراق ، كما نرى قبة صلاح الدين سنة ٥٩٢ هـ ١١٩٥ م مضلعة تضليعابسيطا من الخارج ومجوفة الأضلاع من الداخل ، ومضاهيات الرقبة من الخارج عقود محارية ، ومقرنصها من حطة واحدة . وعلى مثالها قبة المدرسة الركنية ١٢٢٤ م والقباب الأيوبية ـ العزية ٦٢٦هـ ١٢٢٨م ، والدحداح [٣] بدمشق .

وإذا قارنا التابوت الخشبى بقبة صلاح الدين ـ وهو تابوت جميل دقت حشواته بالأويمة الدقيقة ، وكتب حوله بالخط الكوفى آية الكرسى ـ بمعاصره تابوت الإمام الشافعى ٥٧٤ هـ ـ ١١٧٨ م والمصنوع فى دولة صلاح الدين ،

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٥٣ طبع ليدن .

(٢) انظر الصورة رقم ٧ .

(٣) انظر الصور رقم ٨ ـ ٩ .

وربما كان بأمره، نجد أن تابوت الشافعي أدق منه بكثير ، وأن الخط الكوفي فيه أجمل وأتقن ، وأن سقاسات تابوت صلاح الدين عريضة ، والسقاسات (الأنانات) العريضة تؤثر على رونق الحشوات ، وعلى تابوت الإمام الشافعي اسم صانعه « عبيد بن معالي » . ولعله من أسرة ابن معالي التي اشتركت في عمل المنبر[1] الذي أعده نور الدين الشهيد في حلب سنة ٥٦٤ هـ ١٩٦٨ م[2] للمسجد الأقصى ونقله إليه صلاح الدين بعد فتح القدس ، حيث نقرأ عليه ضمن أسماء صناعه اسم (سلمان بن معالي) ، وهو منبر من روائع صناعة النجارة والحفر والتطعيم ، توافر على صناعته نجارون حلبيون يشهد لهم بالسبق والبراعة في تلك الصناعة ، وهم : حميد بن ظافر الحلبي ، وفضائل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي .

وفي سنة ١٩٣٩ ، استخرجت من طابق تحت أرضية مقصورة الإمام الحسين ، تابوتاً خشبياً من ثلاثة أجناب ، لم تكتحل به عين أحد من الأثاريين قبل ، جمع بين الخطين النسخي والكوفي ، ودقت حشواته بزخارف غاية في الدقة ، هو صنو لتابوت الشافعي ومعاصر له . ويحتمل أن يكون صانعها واحداً . كما يحتمل أيضاً أن يكون الآمر بعملهما صلاح الدين .

وبقية الآثار الأيوبية – على قلتها في مصر – لها الصدارة ، فها هي ذي قبة الإمام الشافعي التي أنشأها الملك الكامل . سنة ٦٠٨ هـ ١٢١١ م ، امتازت بفخامتها وضخامتها وبدقة زخارفها الجصية ، وبالزخارف الخشبية في طرازها وأوتارها ، ومصاريع أبوابها الخشبية والنحاسية ، وبدقة وجمال تابوت أم الملك الكامل ، الذي لا يقل روعة عن تابوت الإمام الشافعي[3] ، وبجمال الخط الأندلسي الكوفي فيها ، إنها قبة وحيدة في طرزها في مصر وسوريا .

---

(١) انظر الصور رقم ١٠ – ١٢ .

(٢) تاريخ المساجد الأثرية جـ ١ ص ١٠٨ .

(٣) الصورة ١٣، ١٤ .

ونلحظ فى مدخل إيوان وتربة السادة الثعالبة سـنة ٦١٣ هـ[١] ١٢١٦م تنوعاً غريباً فى حفر المربعات الحجرية حول الباب . وإقامة إيوان فوق القبر ، تأثر محرابه الجصى بالمحاريب الفاطمية،وكان به تابوت من الخشب الدقيق النقش نقلت بقاياه إلى متحف الفن الإسلامى .

أما باب المدرسة الصالحيـة[٢] ٦٤١ هـ ١٢٤٣ م ، فإنه من روائع النقش[٣] فى الحجر ، ولم أر له مثيلا فى سوريا ، ومثله أعتاب الشبابيك فى تلك المدرسة فقد تنوعت زخارفها .

وفى زخارف منارة المشهد الحسينى سنة ٦٣٤ هـ ١٢٣٧م، نرى تأثيرات أندلسية ، وفى طرز منارة المدرسة الصالحية نرى تنوعا ميّزها عن المنـارة السورية والفاطمية .

وللقبة الملحقة بهذه المدرسة والتى أنشأتها شجر الدر لزوجها الصالح نجم الدين سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م طرز خاص[٤]، وقد بنيت قاعدتها بالحجر والقبة بالآجر ، وقد تعددت حطات مقرنصها ، واشتملت على أقدم شبابيك ذات جص وزجاج ، كما اشتملت على فسيفساء مذهبة بالمحراب ، وعمد نادرة الألوان بقواعد وتيجان عربية ، وامتازت ببساطة وجمال نجارة مصاريع الأبواب والشبابيك والدواليب ، والدقة فى حشوات التابوت . وبالشبابيك النحاسية المصبوبة . كأقدم نموذج .

أما قبة الخلفاء العباسيين حوالى ٦٤٠ هـ ١٢٤٣ م ، وشجر الدر[٥] ٦٤٨هـ ١٢٥٠م فقد بنيتا فى أواخر العصر الأيوبى ، ولهما طرز خاص اقتصر

---

(١) انظر الصورة ١٥ .
(٢) انظر الصورة رقم ١٦ .
(٣) العمارة الإسلامية ، العصر الأيوبى بقلم حسن عبدالوهاب– مجلة العمارة العدد ٧، ٨ سنة ١٩٤٠ .
(٤) انظر الصورة رقم ١٧ .
(٥) انظر الصورة رقم ١٨ .

ظهوره على مصر ، وامتازتا بدقة الزخارف الجصية[٢] البالغة حد الروعة وتعدد حطات المقرنص ، كما امتازت قبة الخلفاء العباسيين بنقش وتذهيب زخارف باطن القبة والمقرنصات، وبالخط الكوفى الأندلسى ، وببساطة وجمال نجارة التوابيت .

وامتازت قبة شجر الدر بطرزها، مثل قبة الخلفاء العباسيين ، وبالفسيفساء المذهبة فى محرابها ، وبالطراز الخشبي المكتوب بالخط الكوفى .

وعلى طرز هاتين القبتين قبة أبى الغضنفر، نهاية العصر الأيوبى، وامتازت عنهما بأنها مضلعة من الخارج مجوفة ما بين الأضلاع من الداخل[٣] .

أما قلعة صلاح الدين بمصر. سنة ٥٧٩هـ ١١٨٤م، فإنها دون عظمة قلعة دمشق وحلب ، ولا عجب فسوريا غنية بأهم مجموعة من القلاع الصليبية والإسلامية ، مما يجعل لها الصدارة فى العمائر الحربية .

وإذا ما قارنا الأبواب المصفحة بالنحاس، فيما بين باب بيمارستان نورالدين الشهيد ٥٤٩هـ ١١٥٤م بدمشق ، وبين بابى الصالح طلائع ٥٥٥هـ ١١٦٠م والإمام الشافعى ٦٠٨هـ ١٢١١م بمصر، نجد تفاوتاً كبيراً فيما بينهما ، إذ الأول مكسو بالنحاس ، وحددت تقاسيم حشواته السطحية المسامير، وفى الآخرين حشوات مفرغة بأشكال زخرفية فوق صفحة من النحاس ، زخارفها ما بين هندسية ومورقة . وأيضاً فإن الباب المصفح بالنحاس للمدرسة الشاذبختية (الشيخ معروف بحلب) سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م دون الأبواب المعاصرة له ، فقد اقتصرت حليته على تقاسيم معينية يتوسطها مسمار رأسه مخوصة . وهكذا نرى أن مصر امتازت عن سوريا بتنوع جميل فى كسوة مصاريع الأبواب النحاسية منذ العصر الأيوبى إلى أوائل العصر العثمانى . بينما نراها فى سوريا جامدة لم تتطور ، كما نشاهده فى الأبواب السابق الإشارة إليها وفى بابى

---

(١) انظر الصورة رقم ١٩ .

(٢) انظر الصورة رقم ٢٠ . وكانت هذه القبة معتبرة لدى الآثاريين فاطمية إلى أن حققتها واعتبرتها أيوبيـــة .

خان خير بك[1] سنة ٩٢٨هـ ١٥١٤م وخان الوزير سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م بحلب . وعلى مثال باب البيمارستان النورى بدمشق عملت بمصر مصاريع شبابيك المدرسة السعدية ٧٢١ هـ ١٣٢١م ، وفقط نُزّلت الأشرطة النحاسية فى الخشب فحددت الأطباق الاثنا عشرية ، وهو مثال وحيد .

ولنستعرض آثار تلك الحقبة فى مدينة حلب ، تلك المدينة التى كانت وما زالت حافلة بمجموعة من الآثار ، تمثل حقبات تاريخها تمثيلا غير كامل ، نرى أن مداخل المدارس أمثال ، الشاذبختية ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م ،والظاهرية البرانية ٦١٠هـ ١٢١٣م ،والسلطانية[2] ٦١٣ — ٦٢٥هـ ١٢١٦—١٢٢٧م ،سبقت مصر بالمداخل المبنية بالحجر ذات المقرنصات المنتهية بطاقية مخوصة .

وإن القاعة بمطبخ العجمى (القرن الثالث عشر الميلادى) إن اتفقت مقرنصات قبتها مع مقرنصات قبة أم الصالح بمصر سنة ٦٨٣هـ ١٢٨٤م ، إلا أنها انفردت بطرز عقودها[3] الوحيدة المفرغة من وجهها بشكل شرفات .

وإذا ماوجدنا العقد المجيدى (المفصص) فى العادلية الصغرى سنة ٦١٨هـ ١٢٢١م بدمشق وفى غيرها ، فقد وجد هذا العقد أولا فى باب الفتوح بمصر سنة ٤٨٠هـ ١٠٨٧م وشاع بعده فى آثار أخرى مملوكية .

وثمة ظاهرة أخرى فى آثار حلب ، هى عقود المحاريب وبعض المداخل[4] فإنها ذات طيات متداخلة ملونة فى الرخام ، نجدها فى محراب مدرسة الفردوس سنة ٦٣٣هـ ١٢٣٥ م . وهو أجملها وعليه اسم صانعه « حسان بن عنان » ، ومحراب المدرسة الشاذبختية سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م وجامع البهرامية ، كما نراه أيضا على باب المجاز فى الجامع الكبير ، وعلى الباب المنقول حديثاً إلى مطبخ العجمى . وفى غيرها من مساجد حلب .

---

(١) انظر الصور ٢١ — ٢٢ .

(٢) الصورة رقم ٢٣ .

(٣) انظر الصورة رقم ٢٤ .

(٤) انظر الصور رقم ٢٥ — ٢٦ .

هذا العقد الظريف رأيناه بمصر فى الباب الحجرى لرباط ازدمر[1] (مدفن مصطفى باشا حاكم اليمن) حوالى سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م ، ورأيناه فى دائرة رخامية بباب الخانقاه المهمندارية ٧٢٥هـ ١٣٢٥م ، ورأيناه فى عقود شبابيك ودوائر رخامية بواجهة قبة مدرسة السلطان حسن بمصر سنة ٧٥٧ — ٧٦٤ هـ ١٣٥٦ — ٦٢ م

ورأيت فى واجهة جامع القيقان بحلب، وتنسب بقاياه إلى القرن الثالث عشر الميلادى ، عمد الرخام مدمجة كميدة فى البناء ، وهذا شائع فى بناء التحصينات فى مصر فى العصر الفاطمى ، وفى جامع الصالح طلائع ٥٥٥هـ ١١٦٠م ، وفى جامع الظاهر بيبرس البندقدارى ٦٦٥ — ٦٦٧هـ ١٢٦٦—٦٩م وفى قلعتى قايتباى بالإسكندرية سنة ٨٨٤هـ ١٤٧٩م ورشيد سنة ٨٧٦هـ ١٤٧١م.

ورأيت فى متحف دمشق حشوات خشبية فاطمية ، تطابق معاصرتها فى مساجد مصر وفى متحف الفن الإسلامى . كما شاهدت فيه محاريب وزخارف جصية بها كتابات كوفية منقولة من مسجد (بالس) على الفرات من القرن الخامس الهجرى ، تطابق معاصرتها الفاطمية بمصر .

ورأيت فى مشهد الشيخ محسن بحلب ، والذى بناه سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٥١هـ ٩٦٢م تابوتاً خشبياً جميلا (القرن ١٣ م) حليت قوائمه وعوارضه بكتابات كوفية ونسخية توسطت قناطره قناديل وشمعدانات ، وقد تشابهت كتابته الكوفية مع الكتابات الجصية المخلّفة من دار الحديث الكاملية بمصر سنة ٦٢٢هـ ١٢٢٥م . وغيرها

وفى هذا المشهد مصراع من الحجر الأسود قطعة واحدة ، له مثيل بمصر فى مشهد الإمام زيد بن على المعروف بزين العابدين سنة ٥٤٩هـ ١١٥٤م

---

(١) حسن عبد الوهاب — العمارة الإسلامية (عصر المماليك البحرية) مجلة العمارة العدد ٩ — ١٠ سنة ١٩٤٠ .

وامتازت حلب بوجود أكمل بيمارستان بها، هو بيمارستان أرغون الكاملى سنة ٧٥٥هـ[٢] ١٣٥٥م، وفى هذا البيمارستان طرائف فنية مثل عقدى الإيوانين الشرقى والغربى، فإن الجفت المحيط بكلا العقدين حينما وصل إلى منتصفه ارتفع وكون خطا أفقيا تلاقى مع جفت العقد المقابل له فتكون خصر شغل فراغه بدائرة زخرفية، كما توسط الجفت فوق الخصر حطة مقرنص وفوقها دائرة زخرفية، وهذا لم أشاهده إلا فى هذا الأثر، وهناك ميزة أخرى، فإن جميع عقود الإيوانات محمولة على عمد لها تيجان عربية.

ولمصر السبق فى التيجان العربية. مبسطة فى الدولة الفاطمية، مزخرفة فى الدولة الأيوبية وفى دولتى المماليك، ومنها نماذج قيمة تعتبر دعامة للتاج العربى، نجدها فى محراب قبة الصالح نجم الدين، وفى مقصورة الإمام الليث، وفى محراب قبة ألماس، وفى مدرسة السلطان حسن، ومحراب مسجد المؤيد شيخ.

كما امتازت[١] أيضاً بإنشاء مراحيض عامة، رأيت أحدها فى سوق المناديل بحلب، يرجع إنشاؤه إلى القرن الثانى عشر الميلادى، وجدد سنة ٧٥٨هـ ١٣٥٧م، ولمدخله مقرنصات دقيقة بدلايات، ولعل حلب انفردت بهذا النوع من المنشئات الصحية.

وثمة ظاهرة أخرى فى آثار حلب هى: نقش اسماء الكثيرين من نوابغ الصناع على منتجاتهم. فقد وقفنا على أسماء صناع، محراب المدرسة الحلوية، ومنبر الجامع الكبير، ومحراب مدرسة الفردوس وأشرت إليهم، وكذلك نقش بناء منارة الجامع الكبير اسمه عليها بالخط الكوفى بما نصه: « صنعة حسن بن معاذ السامانى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ».

---

(١) أنظر الصور رقم ٢٧ – ٢٨.

(٢) الآثار الإسلامية والتاريخية فى حلب للمرحوم محمد أسعد طلس ص ١٢، ٩٩ – ١٧٠.

وعلى باب المدرسة الشعيبية سنة ٥٣٥هـ ١١٤٦م اسم البنّاء بمانصه «صنعة سعيد المقدسى بن عبدالله» .

ونقرأ أيضاً على باب المدرسة الشاذبختية (الشيخ معروف) سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م، وعلى محراب مشهد الإمام الحسين «آخر القرن السادس الهجرى — آخر الثانى عشر الميلادى اسم البنّاءين بما نصه «عمل أبى ارجاء وعبدالله ابنى يحيى الكنانى رحمهما الله» .

العصر المملوكى :

إذا ما استعرضنا آثار العصر المملوكى فى الإقليمين ، نرى التأثيرات كثيرة للأسباب السابق شرحها .

وها دوذا مدخل المدرسة الظاهرية بدمشق ٦٧٧ هـ ١٢٧٧ م وعليه اسم مهندسه «إبراهيم بن غنايم» يتفق مع مدخل المدرسة الظاهرية بمصر ٦٦٣ هـ ١٢٦٣ م . قبل هدمه

ولما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بالقلعة ٧١٣ هـ ١٣١٣م قلد فيه القصر الأبلق بدمشق ، ومازالت بقاياه موجودة بالقلعة بأحجارها الملونة ، ومن هنا تأثرت مبانى مصر فى العصر المملوكى بالجمع بين الحجرين الأبيض والأصفر ، أو الأبيض والأحمر أو الأسود فى مداخل المساجد ووجهاتها ، وفى تلبيس بدن مناراتها ، وعبر عنه فى الحجج «بالحجر المشهر» .

ولما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون مسجده بقلعة[1] الجبل ٧٣٥هـ ١٣٣٥م تأثر تصميم عقوده حول الصحن مع عقود التخفيف فوقها بالعقود حول صحن الجامع الأموى بدمشق .

ولما أراد الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون إنشاء الدهيشة بالقلعة فى سنة ٧٤٥هـ ١٣٤٥م ، بلغه أن الملك المؤيد عماد الدين صاحب

---

(١) انظر الصور رقم ٢٩ — ٣٠ .

حماه ، عمر بحماه دهيشة لم يبن مثلها ، رغب فى مضاهاتها وبعث بالمهندس أيجيج[1] لمعاينة دهيشة حماه والاقتباس منها ، وكتب إلى نائب حلب وإلى نائب دمشق بحمل ألفى حجر أبيض وألفى حجر أحمر من حلب ودمشق إلى القلعة ، وأمر بإحضار الصناع للعمل .

وعمل فى قصر الأمير قوصون سنة ٧٤٠هـ ١٣٤٠م صناع رخام من الشام ، منهم أحمد[2] زغلش الشامى ، نقرأ اسمه مسطوراً إلى الآن على باب القصر .

وفى متحف الفن الإسلامى مجموعة من الخزف المملوكى موقعة باسم (الشامى) . كما يوجد به لوح من القاشانى مرسوم عليه الحرم المكى ومشاعر الحج موقع عليه اسم صانعه « محمد الشامى الدمشقى » سنة ١١٣٩هـ ١٧٢٧م .

وباستعراض المداخل فى دور القرآن والمدارس والمساجد فى دمشق وحلب فى دولتى المماليك ، نجدها اتفقت رسما وزخرفا وتكسية بالرخام ، مع معاصرتها بالقاهرة ، وهى ما بين مقرنصات بدلايات ، ومنها ماهو بلدى وماهو حلبى ، مزررة الأعتاب تعلوها دوائر أو مربعات ملبسة بالرخام الملون[3] .

وكذلك فإن بقايا كسوة الرخام فى المحاريب والوزرات بدمشق ، توحى بتوحيدها فى القطرين ، ومنها أيضاً نماذج طريفة فى محاريبها ، نراها فى محاريب الظاهرية والأمير تنكز وواجهة التربة الأفريدونية ، والمدارس : الأرغونية والصابونية والجقمقية بدمشق سنة ٨٢٤هـ — ١٤٢١م . وبهذه المدرسة وزرة رخامية دقيقة مطعمة بالصدف ، وطراز رخامى جمع بين الخطين الكوفى والنسخى فى سطر واحد ، به آيات من القرآن . والجمع بين الخطين الكوفى والنسخى فى سطر واحد أمر نادر سبقت به مصر ، فقد وجدت فى طراز رقبة قبة الظاهر برقوق

---

(١) المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢١٢ .

(٢) توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية لحسن عبد الوهاب ص ٥٣٣ مجلة المجمع العلمى المصرى المجلد ٣٦ (١٩٥٣ — ١٩٥٤) .

(٣) انظر الصور رقم ٣١ — ٣٣ .

بخانقاه فرج بن برقوق ٨٠٣ هـ ١٤٠٠ م سطراً مكتوبا فيه بالخطين[1] النسخي والكوفى آيات من القرآن وتاريخ إنشاء القبة ، واسم الآمر بإنشائها والمنفذ لها ، والمهم فى هذا الطراز أن التاريخ وما يتعلق به هو الذى كتب بالخط الكوفى وهو أمر نادر جدا فى دولتى المماليك .

وهنا أنتهز الفرصة لاشيد بمجهود المديرية العامة للآثار والمتاحف فى إصلاح هذه المدرسة وغيرها من الآثار بدمشق . وخاصة اصلاح الفسيفساء بالجامع الأموى بدمشق . وأهنئ السيد مديرها على نجاحه فى جمع شمل بقايا نوابغ صناع العمارة والفنون ، وتكوين مدرسة منهم .

وإذا كانت تفاصيل الرخام الباقية قليلة فى الشام ، فإنها فى آثار القاهرة المملوكية متوفرة ، ومنها نماذج كثيرة فى الوزرات ، والمحاريب ، والأرضيات ، والفساقى ومنها الكثير بلغ غاية الروعة فى الدقة وتطعيم الصدف ، وكما وجدت فسيفساء فى بعض المحاريب المملوكية بدمشق ، فكذلك وجدت بمصر فى المحاريب الأيوبية والمملوكية ، وقد سبقت الإشارة اليها .

وإذا كانت آثار مصر المملوكية قد وجدت بها محاريب جصية بجانب الرخامية مثل محراب قبة أصلم السلحدار سنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٥م ، ومحراب خانقاه أم أنوك قبل سنة ٧٤٩هـ ١٣٤٩م . فقد رأيت منها نمـــاذج قيمة فى جامع الفستق بحلب سنة ٧٥٠هـ ١٣٥٠ م .

وإذا كانت مدرسة السلطان حسن ٧٦٤هـ ١٣٦٤م قد اشتهرت بطرازها[2] المكتوب بالخط الكوفى المزخرف ، فقد رأيت شبيها له بطراز مسجد يلبغا بدمشق سنة ٧٤٧هـ ١٣٤٧م ، وهو طراز جميل فى زخرفته وقاعدة كتابته الكوفية .

وعلى ذكر الزخارف الجصية ، أذكر أن القاهرة امتازت بوجود ثروة منها لاتضاهى ، فى الجامع الطولونى ، وفى الأزهر ، وفى المحاريب الفاطمية ،

---

(١) انظر الصور رقم ٣٤ — ٣٥ .

(٢) انظر الصور رقم ٣٦ — ٣٧ .

وفى الآثار الأيوبية والمملوكية ، ويدخل فيها مجموعة الشبابيك الجصية البالغة حد الروعة . وكما وقعت على تلك الزخارف تأثيرات أندلسية منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد وقعت كذلك على معاصرتها بدمشق والصالحية .

وفى مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى بمصر : ظهر عقد لطيف ذو [1] طيات دالية انتشر بعده فى مدرسة الظاهر برقوق سنة ٧٨٦–٧٨٨هـ ١٣٨٤ ١٣٨٦م ، وفى خانقاه فرج بن برقوق ٨١٣هـ ١٤١١م – رأيته أيضاً حول عقد مدخل جامع الفستق . (المدرسة الصاحبية التى انشأها أحمد بن يعقوب ابن الصاحب) بحلب سنة ٧٥٠هـ ١٣٥٠م .

أما أعمال النجارة فى هذا العصر فقد سارت جنباً إلى جنب فى الإقليمين ، فالمنبر فى جامع حماه وعليه اسم صانعه « على مكى » يطابق صنوه فى مصر فى مسجد تغرى[2] بردى بالصلبية وغيره ، ومنبر الجامع الكبير فى حلب ، الآمر بعمله الناصر محمد بن قلاوون فى أوائل القرن الثامن الهجرى . الرابع عشر الميلادى . وعليه اسم « صانعه محمد بن على الموصلى » يطابق مثيله المعاصر له فى مساجد الماردانى سنة ٧٤٠هـ ١٣٤٠م ومنجك اليوسفى ٧٥٠هـ ١٣٥٠م ، والست حدق سنة ٧٤٠هـ ١٣٤٠م بمصر ، وهكذا بقية النجارة فى هذا العصر من منابر وأبواب ومقاصير .

وكما وجدت فى سوريا منابر رخامية مملوكية ، وجد بمصر أيضاً مثلها فى مسجد أق سنقر ، ومدرسة السلطان حسن .

وإذا قارنا المساجد المنشأة على الطراز العثمانى فى سوريا ومصر ، نجدها تتفق وتختلف ، تتفق فى تصميم بعضها وفى طراز المنارة وتتفق فى المنابر[3]

---

(١) انظر الصور رقم ٣٨ – ٣٩ .

(٢) انظر الصور رقم ٤٠ – ٤٣ .

(٣) انظر الصور رقم ٤٤ – ٤٥ .

الرخامية طرزا وزخرفا ، كما يبدو من مقارنة منبرى مسجدى درويش باشا سنة ٩٨٢هـ ١٥٧٤م وسنان باشا سنة ٩٩٥هـ ١٥٨٦م بدمشق، بمنبر ومحراب مسجد الملكة صفية بمصر سنة ١٠١٩هـ ١٦١٠م ، واتفقا فى طراز العقود الموتورة وفى المحاريب والحنايا المسلوبة . وتختلف فى بعض التفاصيل .

وكما وقعت على ما أنشىء منها فى مصر تأثيرات مصرية من كتابة بالخط الكوفى ، وكسوة الرخام بالمحاريب والوزرات ، كالذى حدث فى مسجد سليمان باشا بالقلعة سنة ٩٣٥هـ ١٥٢٨م ، فإنها كذلك فى سوريا ، حيث نرى مدخل مسجد سنان باشا بدمشق سنة ٩٩٥هـ ١٥٨٦م متأثراً بالعمائر المملوكية وفقط زاد عليها اللوحة القيشانية الجميلة ذات أعواد السرو . وكذلك كتب فى قاشانى شعاع الشبابيك حول الصحن آية الكرسى بالخط الكوفى المزهر ، وكسى المحراب بأشرطة من الرخام الدقيق ، وفى هذا المسجد أجمل مجموعة من القاشانى الدمشقى .

وامتازت مساجد هذا العصر بدمشق، بمجموعة القاشانى الدمشقى ،ومنه مجموعة هامة فى مساجد درويش باشا سنة ٩٨٢هـ ١٥٧٤م،والسلطان سليمان القانونى ٩٦٨هـ ١٥٦٠م ، وسنان باشا ، ووزرة قبة صلاح الدين سنة ١٠٢٧هـ ١٦١٧م ، وغيرها[1] .

وكما امتازت دمشق بهذا القاشانى فقد امتازت مساجد وأسبلة ودور مصر فى هذا العصر بأكبر وأهم مجموعة من القاشانى التركى[2] — كوتاهية ورودس — ومنه أكبر وأهم مجموعة فى مسجد إبراهيم أغا سنة ١٠٦٢هـ ١٦٥١م ، وسبيل عبد الرحمن كتخدا ١١٥٧هـ ١٧٤٤م وغيرهما كثير .

أما الآثار المنشأة بحلب فى هذا العصر فنها ما تأثر بالآثار العثمانية مثل مدرسة خسرو باشا والبهرامية ، ومنها ما تابع الطرز السابقة لها ، مثل

---

(١) الصور رقم ٤٦ — ٤٧ .

(٢) حسن عبد الوهاب — القاشانى فى الآثار العربية بمصر. مجلة الهندسة ، أول ديسمبر سنة ١٩٣٤ وفيه إحصاء كامل لجميع الآثار الموجود فيها قاشانى .

مسجد الطواشى سنة ٩٤٤ هـ ١٥٣٧ م – فإن المدخل حلى بمقرنصات لها دلايات نقشت طاقتها السفلى ، وحلى عتبه بمزررات ، كما حليت أعتاب الشبابيك بزخارف جميلة ، وهذا ما حدث فى تكية سليمان باشا بمصر سنة ٩٥٠هـ ١٥٣٤م فإن مدخلها وأعتاب شبابيكها على طرز العمارة المملوكية فى مصر ، بينما تصميمها الداخلى عثمانى بحت .

على أن أهم ما يسترعى النظر فى واجهة مسجد الطواشى ، تلك العمد الجميلة فى نواصى الشبابيك بقواعدها وتيجانها ، فقد فرّغت العمد من الوسط بأشكال زخرفية ، ومثلها عمد شبابيك تكية المولوية بحلب سنة ٩٢٧هـ ١٥٢٠م ، ولهذه التكية منارة لطيفة جمعت بين البساطة والجمال جددت سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٦١م ، وهى مثال مبسط لمن يرغب فى إنشاء منارة صغيرة مبسطة .

أما الخانات والأسواق فى دمشق ، وفى حلب فلها المكانة الأولى ، وخاصة حلب ، فإنها منذ القرن السادس الهجرى – الثانى عشر الميلادى استرعت نظر ابن جبير فأطنب فى وصفها ووصف حوانيتها ، وهى أسواق كاملة يرجع الكثير منها إلى القرن السادس عشر الميلادى ، وقد جمعت شتى السلع والصناعات ، تقى قاطنيها الحر والبرد والمطر ، واحتفظت بجميع تفاصيلها ، وكذلك الخانات فقد بزت خانات مصر الباقية من العصر العثمانى ، مثل خان أسعد باشا العظم بدمشق سنة ١١٦٦هـ ١٧٥٢م ، فإنه خان عظيم له مدخل فخم وعقود شاهقة تعلوها قباب لها مناور .

وعلى ذكر القباب ذات المناور[1] أذكر أن مصر سبقت أوربا والأقطار الإسلامية بالقباب ذات المناور فقد بنيت قبة المنوفى ، نهاية القرن[2] الثالث عشر الميلادى (بمنور) « قبة صغيرة تعلوها » . وبذلك يكون مهندسها قد

---

(١) انظر الصور رقم ٤٨ – ٤٩ .

(٢) حسن عبد الوهاب ؛ دولة المماليك البحرية ، تكلة عصر الناصر محمد بن قلاوون ؛ مجلة العمارة العدد ١ – ٢ سنة ١٩٤٢ .

سبق عصر « برونولسكي » سنة ١٤٢٠م الذى نسب اليه فى وقت ما اختراع هذا النوع من القباب بمدينة البندقية.

وفى حلب خان ، خيربك سنة ٩٢٨ هـ ١٥١٤ م وهو خان كبير يغلق عليه مصراعان مغشيان بالنحاس عليهما رنك المنشىء . كما وجد هذا الرنك على واجهة الحواصل حول الحوش ، والقسم الداخلى الباقى من الخان يطابق معاصريه من خانات مصر .

أما خان الوزير سنة ١٠٩٣هـ ١٦٨٢م فهو أحفل منه ، بل أحفل خانات حلب وواجهته مكسوة بالرخام الملون ، وله مصراعان من النحاس بهما خوخ ، كما أن تفاصيل زخارف المدخل الداخلية غاية فى الروعة ودقة النقش فى الحجر حول الشبابيك ، ومثله خان الصابون « أزدمر » القرن السادس عشر الميلادى ، فقد حوى من جمال النقش حول الشبابيك وحول العقود ، والعمد الصغيرة المفرغة والمنقوشة ، وهذه التفاصيل تميزها على معاصرتها بمصر .

هذا ولا ننسى عظمة الفنادق والخانات التى كانت بمصــر فى القرن الرابع عشر الميلادى مثل خان مسرور ، ووكالة قوصون وغيرهما ، ولا ننسى أهمية مابقى منها من القرن الخامس عشر وأول السادس عشر الميلادى مثل وكالات السلطان قايتباى ، والسلطان الغورى . ولكن مع تفاوت وتنوع عن معاصرتها بدمشق .

أما الدور والقصور ، فى دمشق وحماه وحلب ، فإن لها تصميما وطابعا وزخرفاً خاصاً ، يغاير دور وقصور مصر ، ولاتوجد بينهما تأثيرات .

وإذا كانت دمشق قدامتازت مساجدها القديمة بالمنارات المربعة منذ أقدم عصورها كما نشاهده فى مساجد دمشق والمعرة وحماة وحلب[1] ، فإن

---

(١) انظر الصور من رقم ٥٠ – ٥٣ مكرر .

حلب امتازت أيضاً بوجود بعض المنارات المثمنة الأضلاع والأسطوانية نراها فى مسجدى الموازينى ٧٩٧هـ ١٣٩٧م، والسفاحية، سنة ٨٢٨هـ ١٤٦٤م، وفى جامع الاطروش ٨٠١ — ٨١١هـ .

وكذلك ظهر بدمشق فى القرن الخامس عشر منارات ذات طرز خاص مثل منارتى القلعى وهشام ، فهما أقرب شبها بالمنارة المملوكية فى مصر .

وامتازت مصر بمناراتها وقبابها الرشيقة الجميلة ، فقد حوت منهما مجموعة لا نظير لها فى قطر آخر ، تنوعت مع العصور المتعاقبة عليها ، ومنها منارة الجامع الطولونى المتأثرة بالمنارات الملوية بالعراق ، والمنارات الفاطمية ذات القاعدة المربعة ثم البدن[1] الأسطوانى والخوذة المكورة ، ثم تهذبت فى الدولة الأيوبية بكسوة القاعدة المربعة بزخارف جصية فوقها، وزخرفة المثمن أو المسدس فوقها بعقود محارية منقوشة ثم الخوذة المضلعة ، وانتقل هذا الطرز من الآجر إلى الحجر وعلى مقياس أكبر ، وتعددت دورات المنارة من دورة إلى دورتين فى مستهل العصر المملوكى ، حيث جمعت بين الحجر والآجر ، مثل منارة خانقاه سلار وسنجر الجاولى سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٣م ثم ضخمت وبنيت كلها بالحجر وتعددت دوراتها إلى ثلاث ، مثل منارة خانقاه قوصون سنة ٧٣٦هـ ١٣٣٦م ومسجد منجك اليوسفى ٧٥٠هـ ١٣٤٩م وآسنبغا ٧٧٢هـ ١٣٧٠م وغيرهم وفى هذا العصر تطورت المنارة وتركزت ، وبلغت ذروتها من الجمال والرشاقة فى دولة المماليك الجراكسة ، مثل منارات مساجد : برقوق بالنحاسين سنة ٧٨٨ هـ ١٣٨٦ م ، وفرج بن برقوق بالصحراء ٨١٣ هـ ١٤١٤ م ، والقاضى يحيى بشارع الأزهر ٨٤٨هـ ١٤٤٤م ، والمؤيد شيخ ٨٢٣هـ ١٤٢٠م وتمم رصاص قبل سنة ٨٧٦هـ ١٤٧١م . وقايتباى بالأزهر ٨٧٣ هـ ١٤٦٨ م وبمدرسته بقلعة الكبش ٨٨٠هـ ١٤٧٥م . وجانم البهلوان ٨٨٣هـ ١٤٧٨م ، وأبو بكر مزهر ٨٨٤هـ ١٤٨٠م . وغيرهم كثير[2] .

---

(١) انظر الصور من رقم ٥٤ — ٦٠ .
(٢) انظر الصور رقم ٦١ — ٦٦ .

وفى مستهل القرن السادس عشر الميلادى ظهر نوع من المنارات مربع القاعدة ومزدوج القمة فى مسجدى قانيباى امبراخور سنة ٩٠٨ – ٩١١ه[1] ١٥٠٣ – ١٥٠٦م . وفى مسجد الغورى ٩٠٩ه ١٥٠٤ ، وفى منارته بالجامع الأزهر ٩١٥ ه ١٥١٠م .

هذا التطور فى الطرز وفى مادة البناء لازم القبة أيضا . وأصبحت مصر حاوية منها لمجموعة لانظير لها فى قطر آخر . وقد سبقت الإشارة إلى قسم منها فى العصرين الفاطمى والأيوبى . أما فى العصر المملوكى فاذكر على سبيل المثال قبة الخانقاه البند قدارية ٦٨٢ ه ١٢٨٥ م فقد امتازت بدقة وجمال نقش الجص فى رقبتها ، وقبــة رباط ابن سليمان[2] ٦٩٣ ه ١٢٩٣ م الحافلة من الداخل بالزخارف والكتابات الكوفية والنسخية . وامتازت بأن زخارف محرابها لونت وغطيت بالزجاج الرقيق . وهو النموذج الوحيد .

ومن القباب الجميلة قبة زين الدين يوسف[3] ٦٩٧ ه ١٢٩٨ م فإنها مشحونة من الداخل بالزخارف الجصية . وغيرها مثل قبة تنكربغا ٧٦٤ه[4] ١٣٦٤م وقبة يونس الدوادار ٧٨٣ه ١٣٨١ م .

وفى عصر المماليك الجراكسة بنيت القبة بالحجر ،وتنوعت زخارفها مابين هندسية ومورّقة ، وبلغت ذروة جمالها . ومنها قبة المدرسة الجوهرية بالأزهر قبل سنة ٨٤٤ ه ١٤٤٠ م ، وقبة مدرسة الأشرف برسباى بالاشرفية سنة ٨٢٩ه ١٤٢٥م ، وقبة تربته بالقرافة الشرقية سنة ٨٣٥ه ١٤٣١م،وقبة برسباى البجاسى ٨٦١ ه ١٤٥٣م ، وقبة قانصوه أبوسعيد ٩٠٤ه ١٤٩٩م ، وقبة

---

(١) تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٢٨١ .

(٢) مميزات العمارة الإسلامية : بحث ألقيته فى مؤتمر الآثار الأول بدمشق سنة ١٩٤٧ . ونشر فى كتاب مؤتمر الآثار فى البلاد العربية المنعقد فى دمشق صيف ١٩٤٧ ، من ص ١٧٦ – ١٩١

(٣) انظر الصور رقم ٦٧ – ٧٤ .

(٤) مميزات العمارة الإسلامية – المرجع السابق الإشارة إليه .

قانيباى الرماح سنة ٩٠٨ هـ ١٥٠٣ م . وأكتفى عن وصف تفاصيلها بنشر صورها .

*

هذة لمحة عن بعض التأثيرات المعمارية ، بين آثار الإقليمين ومميزاتهما .
ولا أستطيع الجزم بوقوف التأثيرات المعمارية عند هذا الحد لسببين :

أولهما — أن الآثار فى سوريا اندثر الكثير منها ، وضاع الكثير مما بقى منها . ولا يمكن الوقوف على جميع تفاصيلها إلا اذا جمع شتاتها .

ثانيهما — أنه لم يتيسر لى معاينة جميع آثار سوريا والإلمام بها إلمامى بآثار مصر . لذلك وعلى ضوء هذا التمهيد المدعم بالصور الفوتوغرافية التى عرضتها والمنشور بعضها ، فإنى أتقــدم باقتراح عمل ســجل تاريخى آثارى مصور لآثار الجمهورية العربية المتحدة ، يكون شاملا لجميع الآثار بأنواعها وتفاصيلها . وهو الذى سيوضح ويفصح عن مدى التأثيرات ، وعن مميزات كل إقليم .

الدكتور جمال محرز — ٥

رعاية الآثار الإسلامية

رعاية الآثار الإسلامية

تعتبر مدينة القاهرة متحفاً أثريا معمارياً بما تحتويه من المبانى الأثرية التى شيدت على مر العصور التاريخية لمختلف الأغراض الدينية والمدنية فمنها مساجد ومدارس وأسبلة وكتاتيب وخوانق ووكالات وبيمارستانات وأضرحة وحصون وقناطر مياه وقصور ومنازل وحمامات وأحواض لشرب الدواب ويبلغ عدد هذه المبانى المسجلة ٥٠٨ بخلاف الموجود منها فى الوجه القبلى والبحرى وهو ما يقرب من المائتين .

وكان من اللازم أن توجه العناية إلى هذا التراث العظيم لحماية المبانى وصيانتها والمحافظة عليها من التلف والدمار ولهذا أنشئت فى عام ١٨٨١ لجنة للمحافظة على الآثار العربية تحت رئاسة وزير الأوقاف وبدأت عملها فى ١٨٨٢ م .

وبقيت هذه اللجنة تابعة لوزارة الأوقاف حتى عام ١٩٣٦ حيث نقلت إلى وزارة التربية والتعليم (المعارف سابقاً) وأطلق عليها اسم « إدارة حفظ الآثار العربية » ثم ضمت هذه الإدارة إلى مصلحة الآثار عام ١٩٥٣ وفى عام ١٩٥٧ نقلت إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

وقد ألقى قانون حماية الآثار على عاتق هذه الإدارة ، أو المصلحة بمعنى أعم ، عبء صيانة هذه الآثار ولم تدخر هذه الإدارة وسعا ولم تأل جهداً فى سبيل النهوض بما فرضه عليها هذا القانون بقدر ماتسمح به طاقتها ، غير أنها تلقى الكثير من المتاعب وتعترضها عقبات تشل من

حركتها وتمنعها من تأدية واجبها على الوجه الأكمل بسبب تعدد الجهات التى تملك هذه الآثار؟ فالمبانى الأثرية تتبع عدة جهات . وهذه الجهات هى مصلحة الآثار ووزارة الأوقاف والأهالى .

تملك مصلحة الآثار عدداً قليلا جداً من هذه الآثار وتقوم بصيانتها هى وغيرها من المبانى الأخرى التابعة لوزارة الأوقاف أو المملوكة للمواطنين وتلقى الصعاب كما قلنا فى سبيل تأدية رسالتها ولنفصل ذلك مبتدئين أولا بالمبانى المملوكة للأفراد .

فبالرغم مما تقوم به مصلحة الآثار من أعمال الصيانة والترميم وإنفاق الأموال فى سبيل ذلك إلا أن هذه المصروفات فى كثير من الأحيان تضيع هباء . ولم يقتصر الأمر على هـذا بل تعرضت المبانى بالرغم من أعمال الصيانة للتلف وفقدان المعالم والمميزات مما أفقدها قيمتها ، والسبب فى ذلك هو أن هـذه المبانى يقطنها أصحابها الذين قد يؤجرونها أحياناً وفى كلتا الحالين لاتجد المحافظة بل الإهمال والتشويه ، وقد يحدث هذا عمداً بغية إخراج المبنى من عداد الآثار المسجلة ليتسنى للمالك هدم المبنى وبناء مبنى آخر جديد يدر عليه ربحاً جزيلا ، أو بيع الموقع لنفس الغرض ، وأحب أن أقول إن المصلحة تقف عاجزة إمام أهمال الملاك وتعمدهم تشويه الآثار لأن كل ما تستطيع أن تفعله هو رفع الأمر إلى القضاء وهذا طريق طويل لايسعف ولا ينقذ الأثر .

ولذا أقترح أن تقـوم مصلحة الآثار بشراء هذه المبانى الأثرية من أصحابها وبصفة خاصة المبانى الهامة منها .

وهناك مسألة هامة يصح أن تعرض على حضراتكم لأنها فى الواقع تحتاج إلى حل يكفل صالح الملاك والصالح العام معاً . ذلك أن المسجل من بعض هذه المبانى هو الواجهة فقط لما قد تحتويه من عناصر زخرفية . أما بقية المبنى فغير مسجل يستطيع المالك أن يتصرف فيه دون الرجوع إلى مصلحة الآثار غير أن تسجيل الواجهه يمنعه من الانتفاع بملكه .

والاحتفاظ بالواجهات على هذا النحو والسماح للمالك بهدم ماعداها أمر يبدو غريبا وقد لاتنسجم الواجهات القديمة مع المبانى الحديثة . وفى رأيى أن نقل الواجهة إلى متحف يعد خصيصاً للعمارة الإسلامية يمكننا من الاحتفاظ بها ويساعد المالك على الانتفاع بملكه على مايحب .

وأقترح أن يقام هذا المتحف على أرض مدينة الفسطاط وهذا يوفر للدولة ثمن الأرض ، ويعاد بناء الواجهات أو المبانى الأثرية كواجهات الأسبله أو غيرها التى يتعذر نقلها فى عمليات إعادة تخطيط المدينة ، وسيان نقل الأثر من مكانه إلى موقع آخر بالمدينة أو إلى متحف ، وأرى أن متحفاً كهذا يساعد كثيراً على دراسة تطور العمارة الإسلامية . وأذكر فى هذا الصدد أن كثيراً من الدول الأوربية قد نقلت واجهات المبانى الأثرية وبعض المبانى نفسها إلى متاحف، ويكفينى هنا أن أشير إلى نقل واجهة قصر المشتى إلى متحف برلين . وهذا فضلا عن أن إنشاء متحف كهذا فى الفسطاط سيكون له أثره فى إحياء هذه المدينة ويكمل مشروع وزارة الثقافة والإرشاد القومى الذى يهدف إلى جعلها منطقة سياحية .

وتأتى بعد ذلك وزارة الأوقاف فهى بالرغم من أنها المالكة لأكثر المبانى الأثرية وتؤجر بعضها وتستولى على قيمة الإيجار وريع ماأوقف عليها إلا أنها للأسف الشديد لم تعد تسهم فى أعمال الصيانة والترميم بل يقع هذا العبء على كاهل مصلحة الآثار وحدها .

وتأجير المبانى الأثرية يثير كثيراً من المتاعب لمصلحة الآثار ؛ لأن المستأجر لايهمه إلا منفعته الخاصة ويضرب بالصالح العام عرض الحائط ، ولا يهتم إطلاقاً بالأثر وماله من قيمة تاريخية وأثرية ، فكثيرا مايسىء استغلاله ويغير معالمه وإذا تعرضت له مصلحة الآثار كان رده أنه استأجر المبنى من وزارة الأوقاف . وفى كثير من الأحيان يتم التأجير دون الرجوع إلى مصلحة الآثار واستشارتها ؛ بل إن هذه المصلحة قد تتخذ إجراء

بإخراج مستأجر ما من أثر معين فيذهب إلى وزارة الأوقاف فتعيده إلى المبنى ولو أدى ذلك إلى كسر الأقفال التى تضعها مصلحة الآثار ، ومما لاشك فيه أن وزارة الأوقاف تفعل ذلك لأنها هى المالكة للأثر وترى أنها صاحبة الحق فى التصرف .

ولما كانت مصلحة الآثار هى المسئولة عن سلامة الأثر كان من الواجب ألا يتم شىء من هذا دون الرجوع اليها ، وأن تكون لها الكلمة الأولى والأخيرة فى مثل هذه المسائل ، وفى رأيى أن الحل السليم هو نقل ملكية الآثار من وزارة الأوقاف إلى مصلحة الآثار .

وربما كان ذلك الأمر متعذراً من قبل لأن هذه المبانى موقوفة ووزارة الأوقاف هى المشرفة على شئون الأوقاف ، أما وقد صدر قانون حل الأوقاف فقد أصبح الأمر من السهولة بمكان ؛ إذ مما لاشك فيه أن بعض هذه المبانى إن لم تكن الغالبية العظمى منها ، قد آلت ملكيتها نهائياً إلى وزارة الأوقاف ، وسيان أن يكون الأثر تابعاً لوزارة الأوقاف أو مصلحة الآثار طالما أنه أصبح ملكاً للدولة . أما المبانى التى ستئول إلى أفراد بمقتضى قانون حل الأوقاف فيمكن شراؤها من ملاكها .

ومما يؤسف له أن حالة المبانى الأثرية الإسلامية تحتاج إلى مزيد من العناية والرعاية من الحكومة وتوفير المال اللازم لأعمال الترميم والإصلاح والصيانة ، لأن الاعتماد المخصص ومقداره ٢٠ ألف جنيه سنوياً لا يكفى ، وإذا ماأردنا أن نعيد هذه المبانى إلى حالتها التى كانت عليها فإن ذلك يستلزم مايقرب من ١٠ ملايين من الجنيهات ، وهو مبلغ ضخم كما نرى قد لايتيسر تدبيره فى هذا الوقت الحاضر بجانب المشروعات الحيوية التى تنهض بها الحكومة ، ولكننا على أية حال فى حاجة إلى زيادة الاعتماد المخصص لأعمال الترميم زيادة كبيرة ، ونرجو أن تسهم وزارة الأوقاف فى دفع بعض نفقات الإصلاح كما كانت تفعل من قبل .

بقى بعد ذلك مسألتان تدخلان فى اختصاص مصلحة الآثار وتتعلقان برعاية المبانى :

أولى هذه المسائل تتعلق بتنفيذ أحكام قانون حماية الآثار وهو منع الاعتداء على الآثار وإزالة الإشغالات المتنوعة ، وإنى أقرر هنا أن مصلحة الآثار بوضعها الراهن تعجز فى كثير من الأحيان وتلتجىء إلى القضاء وهو أمر لايسعف فى هذه الأحوال ، ولن يتيسر النهوض بهذه الأعمال إلا بتخصيص قوة من رجال الشرطة خاصة بمصلحة الآثار يكون لها السلطة المطلقة فى إزالة الإشغالات فى الحال . ومن الممكن أن يخصص جانب من رجال شرطة البلدية لمثل هذا العمل تحت إرشاد مفتشى مصلحة الآثار إن تعذر إمداد المصلحة برجال شرطة خاصين بها .

والثانية نظافة المبانى الأثرية ، وهى مسألة على جانب كبير من الأهمية إذ أننا كلنا نحب أن تظهر آثارنا نظيفة ولكن طاقات المصلحة عاجزة عن تحقيق ذلك فضلا عن أنها لاتلقى المعونة الكافية من البلدية ، وأضرب مثلا بحالة مبنى أثرى تجمعت بداخله القمامة التى تلقى من المنازل المحيطة به وطلبت مصلحة الآثار من البلدية اتخاذ اللازم لتنظيف المبنى فاعتذرت بعدم توافر الوسائل اللازمة ، وامتنعت عن تحرير المحاضر للسكان لأنه ليس من عملها وكذلك اعتذر رجال الشرطة لأنه ليس من عملهم .

لذلك لن يتيسر نظافة الأماكن الأثرية وما يحيط بها إلا بتخصيص فرق خاصة للنظافة تحت إشراف مصلحة الآثار .

•

سادتى تلك هى الحالة الراهنة فيما يتعلق برعاية الآثار وإنى لآمل أن تحظى مقترحاتى بموافقتكم .

المهندس محمد عبد الفتاح

— ٦



ترميم الآثار

الآثار فى كل أمة عنوان مجدها وتراث الأقدمين من أبنائها ، لذلك كانت العناية بها وصيانتها والمحافظة عليها ، من أهم الأمور التى أحلتها الأمم محل الرعاية والتقدير .

ويرجع اهتمام الإقليم المصرى بالآثار إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ،ففى سنة ١٨٥٨ صدر قرار بجمع الآثار المصرية وتخصيص مكان لها فى بولاق على ضفاف النيل ، وكان أول متحف حفظت فيه الآثار المصرية — وفى سنة ١٨٩٧ صدر أمر عال بشأن حماية الآثار ، وفى سنة ١٩١٢ صدر القانون رقم ١٤ الخاص بالآثار المصرية وحدد فيه حماية الآثار الفرعونية والآثار اليونانية والرومانية وما هو مهجور وغير مستعمل من الكنائس والأديرة القبطية وما إلى ذلك من أسوار مدن وبيوت وحمامات .

أما الآثار الإسلامية فيرجع الاهتمام بصيانتها وترميمها وجمعها والمحافظة عليها إلى سنة ١٨٨١ ذلك العام الذى صدر فيه قانون بتشكيل لجنة حفظ الآثار العربية ، وقد حدد هذا القانون اختصاص هذه اللجنة فى جرد وحصر الآثار العربية التى تكون فيها فائدة صناعية أو تاريخية ، وفى صيانة تلك الآثار ورعاية حفظها من التلف وعمل الرسومات والتصميمات للترميمات اللازمة لها وملاحظة تلك الترميمات .

ويرجع الفضل فى توجيه الأنظار إلى العناية بالآثار القبطية إلى المرحوم مرقص سميكة فهو أول من عنى بالآثار القبطية وعمل على صيانتها وجمع طرفها ، وهو الذى أنشأ المتحف القبطى بمصر القديمة سنة ١٩١٠ .

وفى سنة ١٩١٨ صدر القانون الخاص بحماية آثار العصر العربى الذى نص على حماية الآثار العربية منذ فتح العرب لمصر إلى وفاة محمد على مما له قيمة فنية أو تاريخية باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية أو الحضارات المختلفة التى قامت على سواحل البحر الأبيض المتوسط وكانت لها صلة تاريخية بمصر ، وكذلك كل ما له قيمة تاريخية أو أثرية من الأديرة والكنائس القبطية المعمورة التى تقام فيها الشعائر الدينية والتى يرجع عهدها إلى المدة المنحصرة بين أوائل الدين المسيحى وبين وفاة محمد على .

وظل العمل سائراً بقانون سنة ١٩١٢ فيما يتعلق بالآثار المصرية وبقانون سنة ١٩١٨ فيما يتعلق بالآثار العربية إلى أن صدر القانون رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١ الذى شمل حماية الآثار جميعها فى مختلف عصورها إلى نهاية عصر إسماعيل وهو القانون الجارى العمل به إلى الآن . إلا أنه قامت لجنة مشكلة من رجال الآثار فى الإقليمين الشمالى والجنوبى للجمهورية العربية المتحدة بوضع مشروع قانون موحد لحماية الآثار فى الإقليمين .

•

تنقسم الآثار إلى آثار ثابتة وآثار منقولة ، فالآثار الثابتة قصدبها الأبنية باختلاف أنواعها كالمعابد والأديرة والكنائس والمساجد وأسوار المدن والاستحكامات والبيوت والحمامات والوكالات ، وأما الآثار المنقولة فهى القطع الأثرية المصنوعة من الذهب أو الفضة أو النحـــاس أو من الزجاج والخزف أو المصنوعة من الأحجار أو الرخام بأنواعه أو من الخشب والسن والأبنوس وما إلى ذلك وكذلك اللوحات الفنية .

والقاعدة العامة فى ترميم الآثار الثابتة هو دعم القـــائم من الأثر فقط "Up Keeping" دون تكملة الفاقد منه ، وهذه القاعدة يجب اتباعها فى الآثار المهجورة خارج المدن إلا أنه فى بعض الحالات يكون جزء من الأثر مهدما ومحتفظا بأحجار هذا الجزء ففى هذه الحالة يمكن إعادة الجزء المهدم إلى

ما كان عليه بأحجاره القديمة ، والدعم عادة يكون بتقوية الأساسات بعد صلب المبانى القائمة على سطح الأرض أو بحقنها بالمونة أو بغير ذلك حسب حالة الأثر وطبيعته .

أما الآثار الواقعة فى المدن وخصوصاً الأبنية الدينية المقامة فيها الشعائر كالمساجد والكنائس فلا اعتراض على إصلاحها إصلاحاً شاملا وتكملة الفاقد منها "Restoration" والعودة بها إلى سابق مجدها وذلك فى حدود شروط معينة بأن يكون لدى المهندس الآثارى من المستندات مايجعله واثقا تماما من أن إصلاح الأثر وتكملته سيأتى مطابقاً للأصل تماما ، ومن هذه المستندات بقايا مبعثرة هنا وهنـاك ، رسوم وصور قديمة . ونصوص تاريخية واقتباس من آثار معاصرة ، ومن الآثار التى أصلحت وأعيدت إلى أصلها مسجد الصالح طلائع ، وقبة قلاون ، ومسجد المارداني ، وخانقاه فرج برقوق ، ومسجد الأشرف برسباى بالخانكة ، وكنيسة أبى سيفين ، وكنيسة الأنبا شنوده ، وغيرها .

وما ينطبق على الأبنية فى المدن من حيث إصلاحها وتكملة الفاقد منها يمكن تطبيقه على الأبنية المدنية كالمنازل والوكالات والأربطة وذلك لإبرازها كنماذج لطراز ، وتخطيط هذا النوع من الأبنية فى العصور القديمة وأيضا لاستخدامها فى الغرض الذى أنشئت من أجله ، ولدينا أمثلة على ذلك منزل السحيمى ، ومنزل جمال الدين الذهبي ، ومنزل الكريتلية وآمنة بنت سالم ، ووكالة قايتباى ووكالة الغورى .

وفى بعض الحالات يجد المهندس الآثارى نفسه مضطرا إلى فك جزء هام من الأثر وإعادة بنائه وذلك لخلل أو تصدع طرأ عليه ولا يجد من الوسائل الهندسية ما يساعد على علاج هذا الخلل مع بقاء الأثر قائما كما حدث فى مسجد محمد على بالقلعة إذ ظهرت شروخ خطيرة فى أرجـل العقود الكبيرة الحاملة لقبابه رئى معها استحالة إصلاح التصدع دون الالتجاء إلى الهدم ، فقررت اللجنة المشكلة لدراسة حالة المسجد ووضع مشروع لإصلاحه

هدم قبابه وإعادة بنائه ثم إعادة زخارفها ونقوشها طبقا لقديمها . وكما حدث أيضاً فى بعض المآذن التى ظهر بها ميل شديد هددها بالسقوط مما أدى إلى ضرورة هدمها وإعادة بنائها كما حدث لمنارة مسجد صرغتمش ، ومئذنة مسجد أبى العلا ، ومئذنة مسجد البرديني .

وفى كل هذه الحالات يجب اتخاذ الخطوات الآتية :

ا — إعداد رسوم هندسية كاملة للأثر (مساقط وقطاعات وواجهات وتفاصيل) :

ب — عمل مجموعة من الصور الفوتوغرافية للأثر فى اتجاهاته المختلفة ولكل جزء من أجزائه وتكبيرها بالمقاسات المطلوبة .

حـ — ترقيم أحجاره بمادة يسهل إزالتها دون أن تترك أثراً وتوقيع هذه الأرقام على الرسم المعد لذلك .

د — فحص مادة البناء كيمائياً حتى يمكن تقوية الجزء الضعيف قبل فكه .

هـ — وبعد ذلك يشرع فى فك الأحجار مدماكاً مدماكاً بكل حرص ودقة ، ويغلف كل حجر حتى ينزل سليما إلى المكان المعد لرصه فيه بنظام تام .

و — بعد عمل أساسات جديدة يعاد البناء بعناية بنفس الأحجار المفكوكة والاستعاضة عن الأحجار المتآكلة بأحجار جديدة من نوع الحجر القديم وذلك فى أضيق الحدود .

ى — يجب إعادة استخدام مواد البنـــاء القديمة سواء الأحجار والأخشاب والرخام وغيرها بعد تقويتها وإصلاحها كيميائياً وصناعياً .

وفى بعض الحالات يتطلب الأمر نقل الأثر من مكانه لدواعى التعمير فى المدينة كتوسيع شارع فيها أو لأسباب أخرى، وفى كل هذه الحالات يجب اتباع نفس الخطوات الموضحة فيما سبق . ومن أمثلة الآثار التى نقلت من أماكنها ؛ زاوية فرج بن برقوق ، وتكية المغربى ، وسبيل الست صالحة بالقاهرة؛وأخيراً معبد دابود وقرطاسى وطافه التى نقلت من منطقة بلاد النوبة التى ستغمرها المياه نتيجة لبناء السد العالى .

وبهذه المناسبة نأمل أن تستجيب السلطات المختصة لما أوصت به اللجنة التى شكلها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب من المحافظة على الطابع القديم لمدينـــة القاهرة بتحديدها للمناطق الواجب الإبقاء عليها دون أن يتناولها أى تعديل أو تخطيط جديد، وفى هذه الحالة قد لا نلجأ إلى نقل أثر من مكانه إلاّ فى النادر القليل .

هذا سرد للحالات التى تصادف المهندس الآثارى أو جزتها فيما تقدم ، إلاّ أنى أريد أن أنبه إلى أن لكل أثر ظروفه وخصائصه التى تتطلب من المهندس بحوثاً ودراسات مستفيضة قبل أن يقرر بشأنه العلاج الصحيح الواجب إجراؤه له .

والآثار بصفة عامة يعتريها التلف والانحلال نتيجة عوامل كثيرة أهمها القدم والتقلبات الجوية وتغير طبيعة الأرض المقامة عليها مما يؤدى إلى تآكل بعض أحجارها كأن يحدث تآكل وتساقط أجزاء من كسوتها الرخامية ، أو عطب فى أخشابها ، أو تلف وتحلل فى شبابيكها الجصية أو زخارفها ونقوشها .. ويتضافر فى علاج هذه الحالات المهندس المعمارى والمرمم الكيمائى والصناع الإخصائيون لذلك فإن الاهتمام بتهيئة هذه الفئات وتدريبها وتوفير الحياة الكريمة لها من الأمور التى يجب أن تكون محل عناية الدولة وموضع تقديرها .

والمشكلة القائمة الآن فى الجمهورية العربية المتحدة هى قلة هذه الفئات من المختصين ومنهم من أوشك على الانقراض . ففى الخمس والعشرين سنة

الأخيرة اتجه عدد قليل من المهندسين العرب إلى دراسة الآثار ، منهم من يعمل الآن فى الجامعات ومنهم من يعمل بمصلحة الآثار بالإقليم الجنوبى والبعض الآخر يعمل فى مصالح مختلفة . كما أن هناك أيضاً عدداً قليلا من المهندسين المدربين الذين قضوا سنى حياتهم فى ممارسة ترميم الآثار واكتسبوا خبرة فيها ، وللأسف لن تمضى خمسة أو ستة أعوام إلا وتنتهى خدمة الكثير منهم دون أن نعد من يحل محلهم إذ انقطعت دراسة المهندسين للآثار منذ أن أغلق معهد الآثار بكلية الآداب بجامعة القاهرة أبوابه أمام الراغبين فى دراسة هذا العلم .

وما يقال عن المهندسين يقال عن المرممين فعددهم قليل جداً ومنهم من درس فى الخارج ومنهم من اكتسب خبرة عظيمة من عمله فى ترميم الآثار سنين طويلة وهؤلاء أيضاً أوشكوا على الزوال دون اتخاذ خطوات إيجابية لعلاج هذه الحالة .

أما الصناع الإخصائيون الذين ورثوا الصناعات المختلفة عن آبائهم وأجدادهم ، فهؤلاء أصبحوا يعدون على أصابع اليد الواحدة وانقراضهم أصبح وشيك الوقوع وقد أدركنا صفوة ممتازة من هؤلاء الصناع اضطر الكثير منهم إلى الاتجاه إلى الأعمال الحديثة سعياً وراء رزقهم . وقد بذلت إدارة حفظ الآثار العربية منذ سنوات جهداً كبيراً فى رعاية هؤلاء الصناع وتهيئة وسائل الرزق أمامهم وذلك للاحتفاظ بهم وتشجيعهم على تدريب أبنائهم إلا أن الاعتمادات واللوائح المالية كانت تقف فى سبيلها وكثيراً ما نادينا بتدارك الأمر كما نادى به الأستاذ حسن عبد الوهاب فى مؤتمر الآثار فى دمشق وفى بغداد ويتخذ المؤتمر فى كل مرة قراراً بالتأييد والموافقة .

ومنذ أن توليت أمر مصلحة الآثار بالإقليم الجنوبى لم أقف مكتوف اليدين أمام هذه الحالات بل عملت على إيجاد حل لكل منها فاقترحت منذ سنتين تقريباً إيفاد اثنتى عشرة بعثة إلى الخارج من الشبان الأثريين خريجى قسم الآثار بكلية الآداب والمهندسين والكيمائيين والمرممين كدفعة أولى لتأهيلهم للعمل بمصلحة الآثار لسد الفراغ الذى أشرت إليه فيما تقدم

وقد وافقت وزارة الثقافة والإرشاد القومى على هذا الاقتراح واستجابت إليه وزارة التربية والتعليم بعد أن اختصرت العدد المطلوب إلى أقل من النصف .

إن ترميم الآثار بأنواعها المختلفة وتهيئة المتخصصين فيه هو فى نظرى أهم من الحفر والتنقيب إذ الأولى للآثار أن تبقى مطمورة فى باطن الأرض من أن تخرج منها ولاتجد من يرممها ويصونها ويحفظها ، لهذا فإنى أرى الأخذ بالاقتراحات الآتية والعمل على وضعها موضع التنفيذ العاجل : —

١ — الاستمرار فى سياسة إرسال بعثات من الشبان الأثريين من خريجى قسم الآثار بكلية الآداب من المشهود بكفايتهم وحبهم للآثار وشغفهم بها ليتخصصوا فى فروع الآثار المختلفة .

٢ — إرسال مهندسين معماريين يختارون من بين خريجى كليات الهندسة وكلية الفنون الجميلة ممن لهم ميل خاص للآثار لدراسة هندسة الآثار (الترميم المعمارى) نظرياً وعملياً .

٣ — إرسال مرممين من خريجى أقسام الزخارف والنحت بكليتى الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ليتدربوا على أعمال ترميم الآثار وأقصد بالآثار هنا الطرف الأثرية بأنواعها المختلفة واللوحات الفنية والزخارف والنقوش وعمل النماذج وما إلى ذلك .

٤ — إعادة إنشاء معهد الآثار على أن تتعدد فيه برامج الدراسة فيكون فيه إلى جانب دراسة علم الآثار والتاريخ دراسة هندسة الآثار (الترميم المعمارى) ، ودراسة ترميم الآثار ، ومبادىء الكيمياء ومبادىء الرسم الهندسى ، والرسم الزخرفى للأثريين ، ويجب أن تكون للدراسات العملية نصيب وافر فى هذه البرامج ، كما تجب العناية باختيار هذه الفئات ممن تتوافر لديهم الرغبة الأكيدة فى هذه الدراسات .

أما الصناع القدامى من نجارين وخراطين ومرخمين ومزخرفين وهم الذين ورثوا هذه الصناعات عن آبائهم وأجدادهم ونبغوا فيها لحبهم لها وشغفهم بها وعملهم المتواصل فيها سنين طويلة فقد أصبحوا قلة أوشكت على الانقراض لذلك كان على الدولة واجب رعايتها لهم إحياء لهذه الصناعات ومنعاً لها من الاندثار ، ولايتأتى هذا إلا بأن تقوم مصلحة الآثار بجمع هؤلاء الصناع وعددهم قليل كما ذكرت وتعينهم بها بأجور مجزية وتسند إليهم أعمال ترميم وإصلاح الآثار بمختلف أنواعها كل فى حدود اختصاصه وتكليفهم بتـــدريب أبنائهم أو من يتوسمون فيهم الرغبة فى ممارسة هذه الصناعات من الصبية الصغار . هذا حل ، وحل آخر أن تسند إليهم المصلحة هذه الأعمال دون التقيد بالمناقصات والممارسات وبذلك تفتح لهم سبل الرزق وتشجعهم على الاستمرار فى العمل بالصناعات التى حذقوها . وفى زيارتى الأخيرة لدمشق شاهدت الحالة الأولى مطبقة فى المتحف القومى بها .

وهناك ناحية أخرى يجب أن نلفت اليها النظر ، ففى مصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار فئة من المرممين ولو أنها قليلة العدد إلا أنها فئة ممتازة برزت فى ترميم الآثار وانتزعت إعجاب كل من شاهد أعمال الترميم التى قامت بها من أجانب وغير أجانب ، فياحبذا لو تدرب مع هؤلاء المرممين شبان فى مقتبل العمر وتتلمذوا عليهم . وأذكر على سبيل المثال المرمم الأستاذ أحمد يوسف فهو نفسه مدرسة قائمة بذاتها يستطيع فى هذا المضمار أن يسدى للآثار خدمات جليلة .

عمر رضا كحالة

٧ —

المعجم التاريخية والأثرية

المعاجم التاريخية والأثرية

أصبح الباحثون اليوم فى تاريخ العرب والإسلام أمام أمرين ، إما أن تهمل تلك البحوث لوعورة سبلها وتشتت موضوعاتها فى مختلف الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وإما أن تبحث غالبا بحثا غير مجد يعوزه كثير من أصول البحث والدرس .

ولهذا يجدر بالباحثين أن يلجئوا إلى وضع معاجم فى التاريخ والآثار ، تسهل للدارس مهمته وترشده إلى الطريق السوى ، وبذلك نحافظ على تراثنا الزاخر بأنواع العلم والأدب والفن والسياسة والحرب الخ ... فنسهم فى تطور تاريخ العرب والإسلام والنهوض به من كبوته إلى أوج العز والازدهار أسوة بأسلافنا الذين قاموا بقسط وافر من العناية بهذا التاريخ فألفوا المعاجم فى تراجم المحدثين والمفسرين والفقهاء والأطباء والأدباء والنحاة والحكماء وغيرهم أمثال ابن سعد كاتب الواقدى ، والخطيب البغدادى ، والسمعانى ، وابن عساكر ، وابن أبى أصيبعة ، وابن خلكان ، والذهبى ، والصفدى ، وابن حجر العسقلانى ، والسخاوى ، والنجم الغزى ، والمحبى ، والشوكانى ، والمرادى ، وغيرهم .

وبالرغم من الفوائد الجليلة التى أدتها هذه المعاجم ، فإنها تحتاج إلى تطور يتناسب مع هذا العصر ؛ فكثير منها ينقصه الترتيب المعجمى التام ، فابن خلكان فى وفيات الأعيان ، والمحبى فى خلاصة الأثر ، والمرادى فى سلك الدرر ، وغيرهم اقتصروا على اسم المترجم ولم يعتبروا اسم أبيه وجده فى الترتيب .

وأما مصنفو الطبقات ، فابن أبي أصيبعة ذكر في طبقاته ، عيون الأنباء ، الأطباء حسب عصورهم ثم ذكرهم حسب بلدانهم ، وأما القراء والسبكي وابن قُطْلُوبُغا وسواهم فقــد رتبوا المترجمين حسب طبقاتهم مع مراعاة كثير منهم للترتيب المعجمي للطبقة للمترجمة .

ومن المصنفين في التراجم ، من صنف التراجم حسن الدول مثل الكندي في كتابه الولاة والقضاة ، وأما ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن حجــر في تهذيب الكمال في معرفة الرجال والشوكاني في البدر الطالع وغيرهم ، فقدراعوا غالباً اسم المترجم واسم أبيه .

وأما المصنفات التي تعتبر من كتب الخطط والآثار كالمواعظ والاعتبــار للمقريزي ، والدارس في المدارس للنعيمي ، فقد وردت في الأول المباحث حسب أنواعها بدون مرعاة للترتيب المعجمي ، وأما الثاني فقد راعى مؤلفه ترتيب الحروف الأولى فقط .

ومن المعاجم التي ألفت في العصر الحديث ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب فواز ، ترجمت فيه لعدد من شهيرات النساء العربيات والغربيات ورتبتهن على حروف المعجم وخالفت هذا الترتيب أحيانا .

ومنها معجم الأطباء من سنة ٦٥٠ هـ إلى يومنا هذا لأحمد عيسى ، ذيل به على عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ورتبهم على حروف المعجم ، وذكر النسبة والشهرة للمترجم وأحال على اسمه .

ومنها حلية البشر في تراجم القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ، فقد ترجم فيه مشاهير هذا القرن ورتبهم على حروف المعجم وشذ أحياناً في بعض التراجم عن هذا الترتيب .

ومنها روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر لمحمد جميل الشطي ، فقد ترجم لهؤلاء ورتبهم حسب اسم المترجم فقط .

وقد نشط بعض الباحثين المعاصرين ، فألفوا بعض المعاجم التاريخية كالأعلام للزركلي فى عشرة أجزاء وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، وقد اقتصر المؤلف فى الترتيب المعجمى على اسم المترجم وأبيه ، واعتبر تاريخ الوفاة للتقديم والتأخير بعد اسم أبيه ، كما أثبت الشهرة التى عرف بها المترجم وأحال على الاسم .

كما أن كاتب هذه السطور قد صنف أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام فى خمسة أجزاء ، ثم أعقبه بمعجم قبـائل العرب القديمة والحديثة ، فمعجم المؤلفين وقد صدر منه اثنا عشر جزءاً ، وسيتم إن شاء الله فى خمسة عشر جزءاً وقد رتبنا هذه المعاجم على حروف المعجم فراعينا فى الترتيب اسم المترجم فاسم أبيه فجده الخ ... وقد أثبتنا فى صلب كل مادة المصادر التى اعتمدنا عليها من مخطوط ومطبوع ومجلة وجريدة ، وقد جعلنا لمعجم المؤلفين فهرساً خاصاً للنسب والكُنى والألقاب التى عرف بها أصحابها ، فأحلنا على اسم المترجم مع رقمى الجزء والصفحة .

•

وبهذه المناسبة أقترح أن يتفرغ بعض العلماء من المؤرخين فى الإقليمين المصرى والسورى وأن تبذل لهم المعونة المادية والمعنوية ليتمكنوا من البحث والتنقيب والتأليف كى يشرفوا على وضع المعـاجم التاريخية والأثرية ، العربية والإسلامية ، التى أقترح تأليفها وهى :

١ — معجم للملوك والأمراء والولاة .

٢ — معجم لقواد الجيش .

٣ — معجم للقضاة والفقهاء .

٤ — معجم للأطباء والصيادلة .

٥ — معجم للرياضيين والفلكيين والطبيعيين .

٦ — معجم للفنانين والمغنين .

٧ – معجم للأدباء والكتاب والشعراء .
٨ – معجم للفلاسفة والحكماء .
٩ – معجم تاريخى للبلدان العربية .
١٠ – معجم تاريخى للأمكنة فى الإقليم المصرى .
١١ – معجم تاريخى للأمكنة فى الإقليم السورى .
١٢ – معجم للأبنية الأثرية فى الإقليم المصرى .
١٣ – معجم للأبنية الأثرية فى الإقليم السورى .
١٤ – معجم للمعارك الحربية .
١٥ – معجم للاصطلاحات التاريخية .
١٦ – معجم للاصطلاحات الأثرية .

ويستحسن فى تأليف هذه المعاجم أن تؤلف لجنة رئيسية تشرف على نشرها ويعهد إليها الاتصال بأهل البحث والأخصائيين لكتابة مباحثها وأن تذيل هذه المباحث بالمصادر والمراجع المختلفة من كتب مخطوطة ومطبوعة ومجلات ووثائق وصحف فى اللغات المختلفة يرجع إليها الباحث فى دراساته .

الدكتور نبيه عاقل — ٨

الملابس في العصر الأموي وقاموس دوزي

الملابس في العصر الأموي وقاموس دوزي

كان نصيب تاريخنا الاجتماعي من جهد المؤلفين المحدثين فى التاريخ نصيباً متواضعاً ، لاسيما إذا قدرت بالجهدالذى بذله هـؤلاء المؤلفون فى استجلاء غوامض تاريخنا السياسى . لذا بقى الكثير من قضايا هـذا التاريخ معلقاً أو مهملا ينتظر يد الباحث الذى يملك من الصبر مايعينه على السير فى دروب البحث الطويلة . ولعل أهم العراقيل التى وقفت فى سبيل دراسات التاريخ الاجتماعى هو قلة المصادر التى تهيئ المادة الأولية للباحث واضطراره للاعتماد على معلومات غير مباشرةمبثوثة فى ثنايا أخبارورروايات لم يقصدأصحابها من روايتها إشباع نهمنا إلى معرفة حياة المجتمع أو نوعية طعامه ولباسه . وبكلمات قليلة ليس لتاريخنا الاجتماعى حولية كحولية الطبرى مثلا تزود الباحث بمادة لابد له منها فى بحثه .

من مواد تاريخنا الاجتماعى التى لم تحظ بقسط كاف من دراسات المؤرخين المحدثين موضوع الملابس . وإذا استثنينا قاموس دوزى R. Dozy Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes الذى سنعود للحديث عنه عما قليل ، لماوجدنا سوى كتاب ماير L.A. Mayer Mamluk Costume (Genève, 1952) الذى يبحث فى الثياب فى العصر المملوكى بحثاً فيه كل مايتطلبه تلميذ التاريخ الاجتماعى ، ومقالات ر . ب . سارجنت عن الأقمشة والمنسوجات التى لها نفس القيمة العلمية . هذا طبعاً إلى جانب الإشارات والمعلومات غير المباشرة التى تتعلق بموضوع الملابس والتى نجدها فى بحوث ومؤلفات أخرى .

ومعجم دوزى ،الذى هو المصدر العام الوحيد لموضوع الملابس فى العصور الأولى من تاريخنا، معجم قديم وناقص ولايخلو من أخطاء . لقد ألف هذا المعجم ، كما هو معلوم ، فى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٤٥) واعتمد صاحبه فى جمع مادته على معاجم اللغة ولم يستعمل ماتقدمه كتب الأدب والتاريخ من مادة تتعلق بالموضوع . ولأقدم مثلاً على نوعية الأخطاء التى يقع فيها دوزى فى قاموسه عن الملابس . يقول الأعشى فى إحدى قصائده :

وتظـل تجـرى بيننا ٭ ومُفَدَّمٌ يسعى بهـا

ديوان الأعشى – ط . م . حسين ، القاهرة ١٩٥٠ قصيدة ٣٩ ، بيت ٣٤

ويقول أيضاً :

يطوف بها ساقٍ علينا مُقَوَّمٌ ٭ خفيف دفيف مايزال مُفَدَّما

ديوان الأعشى ، قصيدة (٥٥) بيت (٦)

وتستفتى قاموس دوزى فى أمر كلمة « مفدم » فيأتيك الجواب التالى :

« Ce mot désigne, suivant le Kamous, le turban عمامـة . »

(انظر صفحة ٣٢٦ من القاموس المذكور)

ففدام عند دوزى إذن تعنى العمامة ؛ ولكننا نلحظ أن صاحب تاج العروس لايتفق مع دوزى فى هذا التعريف ، فيقول إن « مفدم » مشتقة من « فدم » التى تعنى أن الشخص غطى فمه بـ « الفدام » وأن « الفدام » قطعة من قماش كان الفرس والمجوس يربطونها حول أفواههم عند تقديمهم الشراب للشرب . وإذا سرنا شوطاً أبعد فى استقصاء أصـل هذه الكلمة ومعناها لوجدناها مأخوذة عن كلمة «بدم» الفارسية التى لها صلة بطقوس عبادة النار

وتغطية الفم عند تقديم الأضاحى ، وأن عادة وضع « الفدام » انتقلت إلى مجالس الشراب عن الفرس فكان الساقى يضع فداماً أثناء تقديم الشراب . وقد نص صاحب « تاج العروس » على خطأ تفسير « الفيدام » بالعمامة ، فقال : « فدام .. العمامة فى سائر النسخ ، والصواب والفدامة الغمامة وهو مايوضع على فم البعير » . (انظر مادة « فدم » فى تاج العروس ، ج٩ ، ص١٠) .

هذا مثال واحد على ما قد يصادف الباحث من أخطاء فى قاموس دوزى قصدت به التعريف لا الحصر ، والأمثلة الأخرى غير قليلة . وإذا تركنا الأخطاء جانباً لوجدنا فى القاموس نقصاً كبيراً فى المادة وانعداماً للتقسيم أو التبويب حسب الموضوعات وهو أمر أساسى فى قاموس من هذا النوع . لهذا كله نرى أنه من الضرورة بمكان العمل على تأليف قاموس للملابس يسد الفراغ الكبير فى مكتبتنا التاريخية .

وإذا كانت الحاجة ملحة إلى قاموس جديد للملابس فإنا نرى ألا يكون هذا القاموس الجديد جامعاً للموضوع فى مختلف مراحل تاريخنا الطويل ، بل نرى أن يصار إلى تأليف قواميس أو بحوث تتناول الموضوع فى حقبة معينة وذلك لاتساع الموضوع ووفرة المادة المتعلقة بكل دور من الأدوار التاريخية والتطور الكبير الذى دخل على معنى الكلمة الواحدة ومدلولها بتطور العصور ودخول المؤثرات الجديدة واختلاف الحاجات اليومية .

والملابس فى العصر الأموى تستحق منا وقفة طويلة نفتتح بها جهدنا فى هذا الموضوع . وذلك لأن اللباس فى هذا العصر يمثل التحول الذى طرأ على زى أبناء الجزيرة فى تطورهم من بداة وسكان خيام إلى رافهين مترفين يسكنون القصور وينعمون بمعطيات حضارة الرومان وغيرهم من الأمم التى تعاقبت على حكم بلاد الشـام ومقاطعات الإمبراطورية الإسلامية الجديدة الأخرى . ونحن وإن كنا لا نشك فى أن ميدان الملابس كان من جملة الميادين التى شملتها عمليـة النماذج والاختلاط بين الحـاكمين والمحكومين فإنا لا نستطيع رسم حدود التأثير الجديد فى زى عرب الجزيرة وملابسهم بوجه

عام،وإن كان من المعروف أن الخطوط العامة لهذا الزى وهذه الملابس ظلت محافظة على الشكل والإطار اللذين خرجت بهما من الجزيرة العربية أول ما خرجت . فلسنا نملك إذن حقيقة عامة عن الملابس فى عصر بنى أمية أو المؤثرات التى أثرت بها كما نملك عنها فى عصر بنى العباسى حين وضح التأثير الفارسى فى هذا القطاع وغيره من قطاعات الحياة .

والبحث فى الملابس فى العصر الأموى أمر يقتضى منا تحديد المصادر التى يجب أن تعتمد فى جمع مادة هذا البحث . لقد دلتنى خبرتى المتواضعة فى ميدان بحوث التاريخ الاجتماعى أن المادة الأولية لبحث كهذا متفرقة على مصادر كثيرة جداً تجعل الطريق شائكاً معقداً لا ينتهى . لهذا أرى أن تحدد مصادر البحث وأن تكون تاريخية وأدبية ومعاجم لغة ، وسأعود فى نهاية الحديث لاقتراح أسماء بعض المصادر التى أرى أن يقتصر عليها فى جمع مادة معجم الملابس فى عصر بنى أميه .

إن اتساع وتفرق مادة بحث الملابس ، الأمر الذى ينطبق على مادة أغلب بحوث تاريخنا ، يجعلنا نحلم بقيام تعاون علمى بين المهتمين بمادتى التاريخ والآثار فى إقليمى جمهوريتنا العزيزة يسهل عليهم حل الكثير مما قد يعتور طريق بحثهم من مشكلات. إنا نحلم أن يكون هذا التعاون على شكل إصدار نشرة دورية سنوية مثلا تعرف المهتمين بمادتى التاريخ والآثار بالبحوث التى يقوم بها رجالات هذين الموضوعين فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة .

إن أهم ثمار صدور نشرة كهذه هى تبادل الباحثين للمعلومات التى قد يعثر عليها أحدهم فى موضوع يهم زميلا له فيوافيه بها ليتلقى منه معلومات تهمه هو وهكذا . هذا إلى جانب أن إصدار نشرة كهذه يحل مشكلة ازدواج البحث وانهماك اثنين فى دراسة الموضوع الواحد .

فى نهاية هذا الحديث المقتضب الذى أعرف أنى لم ألمس فيه من الموضوع إلا بعض جوانبه ، أرى أن أجمل ما قدمت فى المقترحات التالية :

أولاً : أن يصار إلى التوصية بتصنيف قاموس للملابس فى العصر الأموى ، وأن يكون هذا القاموس شاملا لجميع أنواع ملابس الذكور والإناث ، وأن يلحق ببحث ملابس النساء قسم تدرس فيه الأشياء المتعلقة بزينتهن وحليهن . كما أن القاموس الجديد يجب أن ينسج على غرار قاموس ماير (Mamluk Costume) من حيث شموله على بحث الظرف التاريخى والاجتماعى الذى نشأ فيه النوع من الملبس الذى هو موضوع الدراسة . وطبيعى أن يصار إلى تصنيف قاموس لملابس العصر العباسى بعد هذا ، وهكذا .

ثانياً : أن يقتصر فى جمع مادة هذا القاموس على المصادر التالية :

من كتب الأدب : الأغانى ، العقد الفريد والكامل للمبرد .

ومن كتب التاريخ : الطبرى .

هذا طبعاً إلى جانب معاجم اللغة .

ثالثاً : إصـــدار نشرة دورية تعرف المهتمين بموضوع الدراسات التاريخية والأثرية بما يقوم به الاختصاصيون من بحوث فى هذين الحقلين ، وبالتالى تسهل عملية تبادل المعلومات بين المختصين التى أشرنا إليها قبلا .

بشير زهدي

٩ —

المتاحف في الأقليم السوري

المتاحف في الإقليم السوري

إن تأسيس المتاحف فى الإقليم السورى ثمرة من ثمرات الوعى القومى ، ومظهر من مظاهر البحث العلمى ، ونتيجة للحرص على حفظ تراث الماضى ، فبعد ما تم تحرير البــلاد من الحكم العثمانى ، وإعلان استقلال سورية عام ١٩١٩ ، أسست (دار الآثار) مع مؤسستين علميتين هامتين هما المجمع العلمى العربى ،والمكتبة الوطنية فى المدرسة العادلية بدمشق، فكان فى تأسيس (دار الآثار) خدمة كبرى عادت على البلاد بأجل الفوائد ، ومن الإنصاف أن نشيد بجهود علامة الشام المرحوم محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بدمشق .

ورغم الأحداث المختلفة التى شهدها الإقليم السورى طيلة فترة الاحتلال الفرنسى ، فإن نتائج الحفر والتنقيب فى أماكن مختلفة (دورا ، أوربوس ، أوغاريت ، أرسلان طاشى ، تل أحمر ، مارى . تدمر ، قصر الحير الغربى . . . . ألخ) كانت مشجعة على الاستمرار فى الحفر والمتابعة فى التنقيب ، لهذا كان لابد من بناء متحف وطنى يليق بعاصمة الأمويين وذلك لتحفظ وتعرض فيه الآثار المكتشفة . وقد جرى بناء هذا المتحف على عدة مراحل . فقد بدىء ببناء القسم الأول منه عام ١٩٣٦ ، فأعيد فيه بناء الكنيس المكتشف فى (دورا أوروبوس) ، ومدفن يرحاى المكتشف فى تدمر . كما بدىء عام ١٩٣٩ — ١٩٥٠ بإعادة بناء واجهة قصر الحير الغربى الأموى ، ولاشك أن نشاط أعمال الحفر والتنقيب فى الإقليم السورى تتطلب متابعة بناء بقية أقسام المتحف فى عام ١٩٥٣ و ١٩٥٧ وكذلك تم بناء أقسام

المتحف الذى تقدر مساحته بنحو ١١,٠٠٠ متر مربع . ومن الإنصاف أن نذكر جهود مدير الآثار السابق الأمير جعفر الحسيني ، ومدير الآثار والمتاحف الحالى الدكتور سليم عادل عبد الحق الذى قام بتقسيم المتحف الوطنى بدمشق إلى أربعة فروع عرضت فى كل منها الآثار المكتشفة وذلك وفقاً لتسلسل عهودها التاريخية كما يلى :

١ – فروع الآثار السورية القديمة :

عرضت فيه الآثار المكتشفة فى أوغاريت (الأبجدية الأولى ، الرقم الفخارية ، الأسلحة ، البوق العاجى ، المنضدة ، واللوح العاجى ، ورأس الأميره . . .) وعمريت (الفخار والفئوس) و (المعاهدة الآرامية المكتشفة فى سفيره . . .) ومارى (تماثيل ملك وأمراء المدينة وتمثال مغنية المعبد أورنينا ، وأصداف مشهد استعراض الملك وحاشيته للأسرى ، والاختام ...) وستعرض قريباً الآثار المكتشفة فى تل خويره ، وتل رفعت ، وتل الكزل . . الخ .

٢ – فرع آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية :

أعيد فيه بناء الكنيس المكتشف فى دورا أوروبوس ، والرسوم الجدارية المكتشفة فى المعبد التدمرى ، ومدفن يرحاى التدمرى ، وقطع الفسيفساء المكتشفة فى شهبا وغيرها ، والتماثيل المكتشفة فى اللاذقيـــة ، وتدمر ، والسويداء وحوران . . . ولا سيما نماذج من مجموعات الزجاج (المصنوع بطريقة الصب على جسم رملى ، والزجاج الفسيفسائى ، وزجاج ملفبورى ، والزجاج المنفوخ فى قالب ، أو فى الهواء .) والأيقونات وقطع المنسوجات المكتشفة فى تدمر وضواحيها ، والنقود المختلفة .

٣ – فرع الآثار الإسلامية والعربية :

أعيد فيه بناء واجهة قصر الحير الغربى وأحد أروقته ، ونماذج من روائع الزخارف الجصية ، والرسوم الجدارية ، وتمثال الفارس المكتشف فى

الرقة ، والخزف الإسلامى المكتشف فى الرقة وحماه وغيرها ، وبعض الكتابات العربية الكوفية ، ونماذج من مجموعات الزجاج الإسلامى والنقود ، والأسلحة ، والخشب المدهون ولا سيما المخطوطات العربية ، والأدوات الفلكية .

٤ – الفرع الحديث :

عرضت فيه اللوحات والتماثيل التى أبدعها فنانو الإقليم السورى (السادة محمود جلال ، وميشيل كرشه ، وناظم الجعفرى ، ونصير شورى ، ورشاد قصيباتى ، وجاك وردة ، وصلاح الناشف ، ومحمود حماد ، وأدهم ونعيم إسماعيل ، وفاتح المدرس ، وأنور الأرناءوط ، وزهير الصبان وغيرهم ...) .

متحف التقاليد الشعبية والصناعات الوطنية :

قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بترميم واستملاك القصر الذى كان قد بناه حاكم دمشق أسعد باشا العظم فى ١٧٤٩ خلال اثنتى عشرة سنة . فحولته إلى متحف جديد عرضت فيه مشاهد تتعلق بالحياة القديمة فى داخل قصور وبيوتات دمشق ، ومساكن حوران وجبل العرب ، ومجموعات نادرة من الزجاج الأوربى ، والخزف الصينى ، والتحف المختلفة النادرة التى جعلت لهذا المتحف شهرة كبرى تحث الزائرين والسائحين على زيارته ، ويكفى أن نذكر أن عدد زواره عام ١٩٥٩ بلغ ٧٩,٨٢٥ زائر . ومن الإنصاف أن نذكر جهود السيد شفيق الإمام محافظ متحف التقاليد الشعبية والصناعات المحلية .

متحف دمشق الحربى :

رغب المسئولون فى وزارة الدفاع الوطنى فى إخراج فكرة تأسيس المتحف الحربى إلى حيز الوجود ، فوقع اختيارهم مؤقتاً على قسم التكية السليمانية فى دمشق ريثما يبدأ ببناء جديد للتمحف . والجدير بالذكر أن المديرية العامة

للآثار والمتاحف وضعت كل طاقاتها فى سبيل إخراج هذا المتحف الجديد فى أجمل مظهر وأحدث طريقة فى عرض الأسلحة فخصصت إحدى القاعات لإعطاء الزائر لمحة عن الأسلحة التى استخدمت فى الإقليم السورى (منذ العصور الحجرية ، وعهود العموريين والكنعانيين ، والحيثيين والآراميين والتدمريين والمناذرة ، حتى الفتح الإسلامى) . وخصصت القاعة الثانية لذكريات الجيش السورى ، وعرض فى القاعة الثالثة نماذج من الأسلحة المختلفة التى كانت مستعملة فى النصف الأول من القرن العشرين ، وفى القاعة الرابعة عرضت المدافع المختلفة التى تعود من عهد إبراهيم باشا حتى مدافع الهاون ومصنوعات الجيش السورى .

متحف حلب:

وضع مشروع بناء جديد لمتحف حلب وبدىء بتنفيذه لتعرض فى المتحف الجديد روائع الآثار المكتشفة فى مارى وأرسلان طاش ، وتل أحمر وعين دارا ... الخ .

متحف تدمر :

أوشك المتعهدون على الانتهاء من بناء متحف تدمر ،وستعرض فيه الآثار المكتشفة فى تدمر ولا سيما روائع فن النحت التدمرى ...

متحف طرطوس :

لقد تم تحويل بناء المعهد القديم إلى متحف إقليمى عرضت فيه نماذج من الآثار المكتشفة فى تلال المنطقة (تل سوكاس ، وتل الكزل ، وتل سمريان ، وعمريت ،وأوغاريت ..) ونماذج مصغرة للسفن الفينيقية الأروادية القديمة ، وبعض الأدوات الخاصة بالصناعات المحلية كمعاصر الزيت وبعض الملابس المحلية القديمة والنقود التى كانت متداولة .

متحف حماه:

لقد تم تحويل قصر العظم فى حماه إلى متحف وطنى، وبدأت المديرية العامة للآثار والمتاحف فى عرض الآثار فيه .

مشروعات متاحف جديدة:

وتقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف بإعداد مشروع بناء متحف فى دير الزور لتعرض فيه الآثار المكتشفة فى مدينة ماري والرقة ، ...الخ. ومشروع تأسيس متحف فى اللاذقية وآخر فى أوغاريت، وقد لا يمضى وقت طويل حتى يؤسس متحف جديد فى السويداء لتعرض فيه التماثيل البازلتية وقطع الفسيفساء المكتشفة فى جبل العرب، ومتحف آخر فى (بصرى) لتعرض فيه التماثيل والفخار والزجاج الجولانى .

المتحف الزراعى :

وتقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف بالإسهام فى إخراج المتحف الزراعى إلى حيز الوجود.

عرض النقود والطوابع :

وعلمت أن لدى البنك المركزى فكرة عرض مجموعات مختلفة من النقود ، وقد لا يمضى وقت طويل حتى تبدأ مديرية البريد والبرق والهاتف بإعداد ما يلزم لعرض مجموعات الطوابع .

إغنــاء المتاحف بالآثار :

يستنتج مما تقدم مدى الاهتمام بالمتاحف فى الإقليم السورى وتزايد عددها ومختلف أنواعها ، وأهمية غاياتها ، مما يتطلب استمرار زيادة عدد الموظفين والمستخـدمين والحراس والعمال ، وضرورة تأسيس دوائر جديدة تابعة للمديرية وزيادة عدد موظفيها مثل دائرة التفتيش والهندسة ، والمعمل

الفنى ، وفرع التصوير ، والمكتبـــــة ، ولا سيما دائرة الحفريات والدراسات التى تهتم بالإشراف على أعمال البعثات العلمية الأجنبية (البعثة الفرنسية برئاسة الدكتور كلود شيفر فى رأس شمرا) و (البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ اندره بارو فى تل حريرى) ، و (البعثة الإنكليزية برئاسة الدكتورة سيتون وليامس فى تل رفعت) و(البعثة الألمانية برئاسة الدكتور انطون مورتفات فى تل خويره) و(البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ كولويتز فى الرصافة) و (البعثة السويسرية برئاسة الأستاذ كولار فى معبد بعل شمين التدمرى) و (البعثة البولونية برئاسة الأستاذ ميخالوفسكى فى معسكر ديوكليسيان فى تدمر)و(البعثة الدانمركية برئاسة الأستاذ ريس فى تل سوكاس) كما تقوم بأعمال الحفر والتنقيب بإشراف خبراء المديرية فى تل الكزل والرقة.. إلى آخره . كل ذلك مما يساعد على إغناء المتاحف بروائع الآثار والتحف الجميلة ، مما يتطلب تأسيس متاحف جديدة ، والتفكير جدياً فى جعل بعض الفروع متاحف مستقلة كما هو الحال بالنسبة لفرع الآثارالسورية القديمة فى متحف دمشق .

مشكلة الحفائر السرية :

كما أن انتشار الآثار فى مختلف تلال الإقليم السورى ، وكثرة الطلب باستمرار على الآثار السورية ، مما شجع بعض العمال على القيام بحفائر سرية وقد وجدوا من التجار من يدفع لهم مقابلها مبالغ كبيرة ، ومن حسن الحظ أن بعض التجار يحرصون على حفظ تراث الماضى فى الإقليم السورى مما يدفعهم إلى بيع الآثار المشتراة إلى المتاحف السورية ولكنهم قلما يصدقون القول فى تعيين الأماكن المكتشفة حرصاً منهم على استمرار شراء الآثار من شركائهم ، وهناك بعض التجار الذين تغريهم الأسعار الدولية للآثار مما يجعلهم يفضلون بيعها فى خارج الإقليم السورى وهذا هو موضوع مشكلة السماح أو عدم السماح بتجارة الآثار . إذ أن منع التجـــارة

بالآثار لاتتحقق الغاية منه بمجرد صدور قانون بذلك بل لابد من زيادة المراقبة على الحدود وفى مناطق التلال الأثرية ، ومنح بعض الصلاحيات للمفتشين ... الخ وتخصيص المكافآت لكل من يساعد أو يسهم فى منع الحفائر السرية ، وحفظ الآثار فى البلاد ، وإن خطورة هذا الموضوع وأهمية النتائج المترتبة على الحلول تجعلنى أقترح تأليف لجنة من خبراء ومفتشى الآثار فى الإقليمين لدراسة هذا الموضوع وكل الاحتمالات المتوقعة من نتائج الحلول التى يتوصلون اليها .. حفظا على الآثار المكتشفة ، ومعرفة مكان اكتشافها ، واتخاذ مبدأ سليم فيما يتعلق بطلبات بعض التجار بتصدير بعض الآثار ، وكل ما يتفرع عن هذا الموضوع من تفاصيل .

وختاما أرجو أن تتفضلوا بالاطلاع على الاقتراحات الآتية :

١ — الاهتمام بدراسة اللغات القديمة ، وتأسيس معهد للفن والآثار يلحق بالمديرية العامة للآثار والمتاحف .

٢ — تأسيس المكتب العربى للمتاحف على أن يكون مرتبطاً باللجنة الثقافية فى الجامعة العربية .

٣ — تشجيع هواة الآثار على تأسيس جمعيات (أصدقاء المتحف) .

٤ — الاهتمام بالمتاحف المدرسية . وتوجيه الطالب إلى أهمية التحف وضرورة المحافظة عليها .

٥ — لفت أنظار المدرسين والمعلمين إلى أهمية المتاحف وغاياتها التربوية وكيفية اعتبار الآثار من أحسن وسائل الإيضاح .

٦ — ترغيب الطلاب فى اختيار مواضيع رسالاتهم الجامعية فى المواضيع المتعلقة بتاريخ وطننا العربى وآثاره ، وتسهيل مهمة الباحثين .

٧ — تعريف المواطنين بأوابد وآثار الإقليمين ، وذلك بإفساح المجال أمام المختصين للدراسة ونشر وإذاعة بحوثهم ودراساتهم .

٨ — إخراج أفلام سينمائية تمثل الأوابد والآثار فى إقليمى الجمهورية لتعميم الثقافة فى الداخل . وتأمين الدعاية لنا فى الخارج .

٩ – تنظيم معارض متنقلة بين مدن الإقليمين والدول الصديقة .

١٠– منح بعض الامتيازات للمختصين ، وتشجيعهم على الاستمرار فى التوسع فى اختصاصاتهم والاطلاع على آخر ما وصل إليه زملاؤهم المختصون فى المواضيع إلى يهتمون بها .

١١– الحرص على الاشتراك فى مؤتمرات لجان المتاحف الوطنية التى تعقد فى الدول الصديقة .

١٢– إيفاد المختصين للاطلاع على مجموعات المتاحف الأخرى ، وتشجيعهم على إلقاء محاضرات علمية فى تلك البلاد .

١٣– تأليف لجنة من المختصين للبحث جدياً فى توحيد المصطلحات المتعلقة بفن الرسم والنحت والعمارة وأسماء مختلف القطع الأثرية الخزفية والزجاجية . وتوحيد أسماء الوظائف فى الإقليمين .

١٤– توجيه أنظار طلاب معاهد الفنون التشكيلية فى إقليمى الجمهورية إلى أهمية دراسة الأوابد الأثرية والتحف الفنية القديمة .

١٥– تزويد المعامل الفنية بكل مايلزم لمعالجة الآثار (ولا سيما المعدنية والعاجية والمنسوجات) بأحدث الطرق العلمية ، وإرسال المختصين إلى البلاد الأجنبية المتقدمة فى ميدان معالجة الآثار وذلك للاطلاع على الابتكارات الجديدةوترشيح المبرزين من الفنيين العرب كخبراء دوليين.

١٦– تشجيع مؤلفى قصص الأفلام السينمائية على زيارة الأوابد والأماكن الأثرية للعمل على تأليف قصص أفلام تتعلق ببطولات خالدة فى تاريخنا

١٧– توجيه أنظار الملحقين الثقافيين فى سفارات جمهوريتنا فى الدول الأجنبية إلى ضرورة تزويدنا بقوائم المؤلفات والبحوث المتعلقة بتاريخنا وآثارنا .

١٨– تأليف دليل آثار لكل من الإقليمين فى إطار تاريخى .

محمد شفيق غربال — ١٠

وجوب العودة للتأليف التاريخي على أساس الخطط

وجوب العودة للتأليف التاريخي على أساس الخطط

١ - نعرف للأقدمين فضل ابتداع أسلوب من أساليب تدوين التاريخ كثير الفوائد . ذلكم هو أسلوب التاريخ الآثارى (الآثار بكل أنواعها)، وهو أسلوب الخطط . وهذا الأسلوب فى يد من يحسن استخدامه يجمع بين مزايا المرجع ، يرجع إليه الإنسان لتحقيق جزئى أو تفصيلى ، ومزايا الدراسة المستفيضة لموضوع أو لمطلب . فإن شئت مثلا بياناً عن مكان أمكنك أن ترجع إلى المعجم المفهرس للأمكنة ، فتجد فيه بياناً عما هو عليه المكان الآن ،وعما حدث فيه فى الماضى من أحداث . وإن شئت بياناً عن رجل أمكنك أن تعثر سريعاً على ما يهمك من أمره فى المعجم المفهرس بأسماء الرجال . وإن شئت بحثاً تاريخياً عن موضوع اقتصادى أو اجتماعى ، فإنك تجده فى قسم الدراسات التاريخية المتنوعة للموضوعات .

ولهذا الأسلوب فضل الجمع بين العلم القديم الموروث ، وبين ما طرأ عليه من تجديد أدى إليه تقدم البحوث .

*

٢ - والخطط مما ينبغى تجديده من وقت لآخر .

وآخر ما لدينا منه ما كتبه على مبارك (وبعبارة أصدق ما نشره على مبارك تحت اسمه) ، وصفة الجمع تغلب على خططه ، كما أن ترتيب مواده يقتضى من الباحث عناء ووقتاً ، وعلى كل حال فقد مضى على نشره زمن طويل جعل أكثر مادته التاريخية الجغرافية بحاجة إلى إعادة الكتابة .

وآخر ما لدينا عن الشام خطط كرد علي ، وهذه بها ميزات المصنَّف الذى يصدر عن مؤلف واحد ، ولكن الخطط ليست من المشروعات التى يستطيع فرد أن ينهض بها وحده ، وعلى مبارك استعان بالكثيرين من رجال التعليم وغيرهم .

هذا وإن ما بلغه العلم من تقدم يقتضى إعادة الكتابة فى أكثر موضوعات خطط كرد علي وخطط علي مبارك ، كما أن المرحلة الحاضرة من التاريخ التى نعيشها الآن تقتضى من المشتغلين بالتاريخ أن يقدموا للباحثين والقارئين والمعلمين ومن إليهم أضبط المعلومات وأدقها . يكون الاهتمام فيها بضبط الحقائق أغلب على التأويل . أخيراً تتيح الوحدة المصرية السورية فرصاً فينبغى انتهازها لتنظيم الجهود والانتفاع من الكفايات .

*

٣ ـ بعض صعوبات المشروع :

وأهم هذه الصعوبات أن حدود الجمهورية العربية لا تتفق مع ما تقتضيه الدراسات من مجاوزة لتلك الحدود .

وأقترح لذلك أنه كلما اقتضى البحث أن نجتاز الحدود فلا نتردد فى اجتيازها ـ فالنيل مثلا لا يبدأ عند خط العرض ٢٢ شمالاً ، ولا يفهم إلا إذا بدأنا به حيث ينبع فى الهضبة الاستوائية ، أو هضبة الحبشة ، والفرات فى مجراه من منبعه إلى مصبه أكبر من الجزء المار بالشام ـ فلا نتردد فى الدراسة الجغرافية من أن نجعلها شاملة الشمول الطبيعى البشرى الذى يقتضيه المنهج العلمى ، ومثل هذا يقال عن تاريخ الدول المصرية السورية ، فلا نتردد فى أن ندرسها وأن نضعها مع ما كانت عليه ، وكذلك بالنسبة لتراجم رجالها وأماكنها .

*

٤ — أقسام الكتاب وأبوابه :

القسم الأول :

الباب الأول : الوصف الجغرافى ، الفصل مرتب إقليمياً .

الباب الثانى : الوحدات السياسية العامة والخاصة ، مرتبة إقليمياً ترتيباً زمنياً .

انباب الثالث : تعاقب الحضارات ، مرتب إقليمياً ترتيباً زمنياً .

القسم الثانى :

ويحتوى على دراسات تحقيقية تتعدى حدود الزمان والمكان ، كالتجارة والسكة .

القسم الثالث :

الباب الأول : المعجم الجغرافى ، ويرتب هجائياً ترتيباً عاماً .

الباب الثانى : تراجم الرجال ، ويرتب هجائياً ترتيباً عاماً .

الباب الثالث : الأطلس الجغرافى .

الفهارس العامة :

٥ — إذا أقرت الندوة المشروع من حيث المبدأ ، تكون المرحلة الأولى تقسيم العمل بين المؤرخين والجغرافيين فى لجان المجلس ، وذلك لوضع أسماء الفصول المختلفة فى جذاذات مستقلة . وعلى هذا الأساس يعاد عرض الموضوع فى اجتماعات مشتركة ، لتقدير ما يلزمه من مال ووقت ووسائل تتقدم بطلبها من أولى الأمر .

الدكتور محمد مصطفى زيادة

— ١١

دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

المقريزى المؤرخ ، وهو شيخ الكثيرين من المشتغلين بالدراسات التاريخية فى الجمهوريه العربية المتحدة ، له كتاب مطبوع ضمن مؤلفاته الصغرى عنوانه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، أحصى فيه مؤلفه ما اجتازته مصر من كوارث الغلاء والمجاعة ، منذ ما قبل الطوفان إلى عصره . والمقريزى فى هذا الكتاب – فيما نعلم – هو المؤرخ العربى المصرى الأول الذى تعرض بالبحث العلمى لهذه الناحية الاقتصادية الاجتماعيـــة فى التاريخ المصرى ، بقدر ما سمحت به المنهجية العلمية من طاقة محدودة وأفق محدود فى العصور الوسطى . ومع هذا حاول المقريزى فى تدوينه لأخبار الأغلية والمجاعات أن يتقصى أسباب هذه الظواهر بروح عقلية ؛ بل اقترح بعض الوسائل الاقتصادية السليمة لعلاجها ، أو الوقاية منها ، كما أنه تناول طبقات المجتمع المصرى فى زمنه بالتقسيم والتصنيف ، ووصف كل طبقة من طبقاته فى شىء من التفصيل التشريحى .

ويشير المقريزى فى عباراته الافتتاحية إلى سبب تأليف هذا الكتاب ، وهو أن مجاعة طويلة متقطعة حدثت فى زمنه من سنة ١٣٩٣ إلى ١٤٠٥م (٧٩٦ – ٨٠٨ هـ) ، أى مدة اثنتى عشرة سنة ، حين كان عمره فى بدايتها ثلاثين سنة ، فرأى أن أسبابها وأسباب ما سبقها من غلاء متكرر ليس مرجعها دائماً إلى نقص النيل فقط ، كما زعم الناس دائماً ، بل توجد ثلاثة أسباب جوهرية أخرى ، أفاض هو فى شرحها فى فصل تحليلى طويل .

وهذه الأسباب هى : (أولا) ولاية الوظائف السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة ، و (ثانياً) غلاء إيجار الأطيان وزيادة نفقات الحرث والزراعة على مبلغ ما تغله الأرض من محصول ، و (ثالثاً) رواج الفلوس النحاسية — وهى المحقرات — فى المعاملات ، على حين ينبغى أن يستنـــد النقد والتعامل على قاعدة الذهب والفضة .

ومن الجديد كذلك فى هذا الكتاب أن المقريزى شرح هذه الأسباب شرحاً عقلياً ، تخللته إشارات واضحة إلى نظرية دورية الأزمات الاقتصادية ، وقانون طرد النقود الرديئة للنقود الجيدة من الأسواق والمعاملات ، وعملية إيقاف التضخم المالى ، بتثبيت النقد على قاعدة الذهب والفضة .

وأدرك المقريزى ما يتأتى عن الأغلية والمجاعات من الطواعين ، دون أن يتناول هذه الإشارة بشىء من التفصيل . غير أنه من المعلوم لدينا أن هذه الظواهر المتكررة ، فى الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، تتحرك فى العادة حركة دورية متتابعة الدوائر ، بحيث تكون الظاهرة الواحدة منهـــا سببا للظاهرة اللاحقة لها ، ونتيجة للظاهرة السابقة عليها ، وهكذا .

ومن الطواعين التى ملأت أخبارها الشنعاء كتب التاريخ ، فى الشرق والغرب ، طاعون عام اشتعل وانتشر بالعالم القديم منذ سنة ١٣٤٦ م (٧٤٩ هـ)، وسماه المؤرخون المعاصرون فى مصر سنة الفناء ، وسماه المؤرخون الأوربيون عندهم الموت الأسود . ووصف المقريزى هذا الوباء فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (ج ٢ ، ص٧٧٣ وما بعدها) وصفاً رائعاً ، منقولا من مرجع معاصر لذلك الوباء ، ويبدو أنه مفقود ، أو أنه على الأقل غير معروف لى ، وهذا هو نص افتتاحية المقريزى : « ولم يكن هذا الوباء كما عُهد فى إقليم دون إقليم ، بل عمّ أقاليم الأرض شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، وجميع أجناس بنى آدم وغيرهم ، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر . وأول ابتدائه كان من بلاد القان الكبير .. وبعدها من توريز ... ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها ، وبلاد

أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم، ودخل إلى أنطاكية ...(ص٧٧٤) وعم الوباء بلاد قرمان ... وببغداد ، وبأرض حلب ، والشام ومصر وبرقةوإفريقية وبلاد الفرنج » . ويستمر المقريزى فى ذكر أخبار هذا الوباء حتى تبلغ صفحاته عشرين صفحة مطبوعة من القطع الكبير ،وهذه الأخبارواردة بنصها وفصها فى الجزء العاشر من كتاب «النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ،لابن تغرى بردى» ، فى عدد مقارب لذلك العدد من الصفحات . والمعروف أن ميلاد المقريزى كان بعد وقوع هذا الوباء بثمان عشرة سنة، وأن ميلاد ابن تغرى بردى كان بعد ميلاد المقريزى بسبع وثلاثين سنة ، وأن ابن تغرى بردى تتلمذ على المقريزى وأخذ عنه ، ونقل منه أخبار الوباء ، وغيره من الأخبار ، ومع هذا حلا لابن تغرى أن يختم صفحاته فى وصف هذا الوباء بما نصه : « ورأيتُ أنا مَن رأى هذا الوباء ، فكان يسميه الفصل الكبير ، ويسمونه أيضا سنة الفناء ، ويتحاكون عنه أضعاف ماحكيناه ، يطول الشرح فى ذكره » وأراد ابن تغرى بردى بهذه العبارة المستندة إلى ضمير المتكلم أن يضفى على صفحاته هالة المعاصَرَة أو شبهها ، مع العلم بأن ستا وخمسين سنة تفصل بين ميلاده وتاريخ هذا الوباء ، على حين سبقه المقريزى إلى نقل أخبار هذا الوباء من مرجع لم يذكره ، لكنـــه لم يعقّب على ما نقله بقليل أو كثير .

أما المراجع الأوربية الخاصة بأخبار هذا الوباء فى أوربا ، فأهمها فى قائمة المؤلفات المعاصرة كتاب ليالى ديكاميرون ، وهو الكتاب الذى ألفه بوكاشيو الفلورنسى ، ووصف فيه تجارب فئة من الفلورنسيين أيام الوباء، ويلى ذلك عدد من المقالات أحصاها المؤلف الألمانى الحديث نوهل "Nohl" فى قائمة المراجع ، بكتابه الذى عنوانه « الوباء الأسود » . ومن هذا الكتاب الحديث وغيره من الكتب الأوربية المكتوبة فى أسلوب تاريخى منير يتضح أن هذا الوبا امتد — كما ورد فى المراجع العربية التى تقدم ذكرها — من بلاد الصين وتركستان عَبْر طرق التجارة الأسيوية البرية إلى أوربا والشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، فانتقل من آسيا الصغرى إلى إيطاليا وإسبانيا ؛ ثم زحف إلى فرنسا عن

طريق مرسيليا ؛ ودخل إنجلترا عن طريق مقاطعة دور تشستر ، ثم تحول شرقا فاجتاز ألمانيا وبلاد شبه جزيرة اسكنديناوة ، ومنها اشتعل فى بولنده والنمسا وروسيا .

على أن هذه الإشارات الدالة على خط سير الوباء الأسود ، ومطابقة هذا الخط فى جميع الأحوال لطرق التجارة الداخلية فى أوربا ، ليس غرضها هنا التمهيد لشرح حوادث هذا الوباء فى البلاد الأوربية ، أو مقارنة هذه الحوادث بأشباهها المتوازية معها زمنيا ببلاد الشرق ، بل غرضها أولا معرفة مانجم عن هذا الوباء فى أوربا ، وهو ماجهدت البحوث الأوربية فى استخراجه من كتب الأخبار والتاريخ التى أعقبت هذا الوباء ، ورتبت عليه معظم الحركات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى أوربا ، منذ النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ، فصاعدا .

لذا تكفى الإشارة هنا إلى أن هذا الفناء العظيم كان طاعونا دُمَّلياً ، وأنه عكف على اختيار الشباب الأقوياء ، وأنه لم يمهل فريسة من فرائسه إلا يوماً أو بعض يوم ؛ وهكذا كان الحال فى الغرب والشرق سواء . أما نتائج هذا الفناء فى أوربا ، فينبغى أولا أن ندرك أنه لم يأت بانقلابات مفاجئة للمجتمع الأوربى ، إذ الأقرب للمعقول والمقبول تاريخيا أنه حرّك بمختلف البلاد الأوربية الناقهة سلسلة وئيدة من التغيرات التى بلغت فى مجموعها — وشمولها ونتيجتها— مبلغ الانقلاب العام . ففى الأديرة اضمحل النشاط الأدبى ، وفسد النظام الديرى . وفى البلاد التى أباد الفناء معظم أهلها أقفرت كنائس الأبرشيات من القسس والمصلين . وفى إنجلترا حلت اللغة الإنجليزية محل الفرنسية فى المدارس ، لأن المعلمين الأنجلونورمانيين كانوا قلة أخذ الوباء أكثرها ، ولذا قامت على التعلم طبقة قومية جديدة من المعلمين الإنجليز ، كما بدأ التعليم يعتمد تدريجاً على اللغـة الإنجليزية القومية .

وفى فن العمارة وهندسة البناء غلب الطراز المتعامد على الطراز القوطى القديم ، لبساطة التعامد وسهولة أشكاله وملاءمته لطاقات المعماريين ، بعد أن غدوا فئة قليلة مضطرة إلى سرعة الإنجاز وسرعة التنقل بين البلاد .

وفى المزارع كذلك خطت حركة استبدال الأجـــور بالخدمة فى الحقول خطوات بالغة السرعة ، وهى الحركة التى أدت أخيراً إلى اختفاء القنية من الزراعة ، وتحطيم نظام المشاع والحقول المفتوحة فى زراعة الأرض فى العصور الوسطى .

أما السبب فى هذه الحركة الزراعية التى لم تقتصر على إقليم دون إقليم فى غرب أوربا ، فهو أولا قلة الأيدى العاملة فى الزراعة بسبب الفناء ، ومطالبة الفلاح القنّ لنفسه بأجر نقدى أحسن وأكثر إغراء من الخدمة فى الأرض ثمناً لعرق جبينه ، وهو ما جعل السادة الإقطاعيين أصحاب الضياع غير قادرين على زراعة أراضيهم إلا بتأجير الفلاحين بأجور نقدية ، من مختلف الجهات والبلاد الخارجة عن حيازتهم الإقطاعية .

وتراءت هذه الحال الجديدة فى وضوح لأهل الطبقة الإقطاعية الحاكمة فى إنجلترا وفرنسا ، وأفزعهم ما سوف يترتب عليها من نتائج ثورية ، فسنت فرنسا قوانين حرّمت على الفلاحين وسائر عمال الحرف أن يأخذوا أكثر من الثلث ، فوق أجورهم السابقة على الفناء . وقرر البرلمان فى إنجلترا بقانون العمال عودة الأقنان وعمال الحرف إلى أجورهم القديمة ، كما حرّم عليهم الانتقال من جهة إلى أخرى .

غير أن نواميس الاقتصاد لا تستطيع أن تقف جامدة راكدة ، وإن كان من المستطاع تعطيلها مدة قصيرة بقوة القانون ، ولذا لم تلبث القوانين التى شرعتها إنجلترا وفرنسا أن عجزت عن تعويق حركة أنشطتها الأحوال العامة المعاصرة ، بل بقدر ما قلت خدمة الفلاحين الأقنان فى أرض السادة الإقطاعيين على الطريقة القديمة ، وضحت فائدة استخـــدام الفلاحين الأحرار من مختلف الجهات ، على قاعدة الأجور النقدية .

وهكذا أخذت العوامل الاقتصادية الجديدة تقوّض من دعائم نظم العصور الوسطى شيئاً فشيئاً ، حتى إذا تحلل الفلاح القن مما يربطه بالأرض من قيود العرف الإقطاعى ، وغدا حراً فى تسعير خدماته فى سوق العمل ، لم تلبث الأصوات الاقتصادية الجديدة أن ارتفعت متحدية النظام الاجتماعى الأوربى كله ، منذرة بما سوف تمتلئ به أواخر العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة من ثورات الفلاحين فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا والأراضى المنخفضة .

ومما ترتب على ذلك الوباء الأسود كذلك فى غرب أوربا أن كثيراً من المدن الأوربية الكبرى قامت بسلسلة من المذابح والتخريب ضد سكانها من اليهود ، على عادة الأوربيين ، ولا سيما فى العصور الوسطى ، عند كل كارثة تنزل بأوربا ، على حين عاش اليهود بالشرق الإسلامى فى رغد واطمئنان فى كل العصور ذلك أن الأوربيين اعتقدوا أن كل الكوارث كان سببها دائماً هم اليهود ، وقالوا مثلا إن الوباء الأسود مكيدة خبيثة من أبناء هذا الجنس للقضاء على المسيحية الكاثوليكية .

وبقدر اشتعال الوباء فى مختلف المدن الأوربية كان اشتعال الحرائق وخاصة فى المدن الألمانية ، حيث سيقت المئات والألوف من اليهود للموت حرقاً بالنار ، ونجم عن هذه الأعمال أمر على جانب من من الأهمية فى التاريخ الأوربى ، إذ وجد اليهود الذين استطاعوا الهرب من غرب أوربا ملجأ فى بولندة وغيرها من أقاليم أوربا الشرقية ، أى أن كارثة الوباء الأسود أدت إلى تغيير التوزيع السكانى اليهودى فى العصور الوسطى وما تلاها من العصور الحديثة .

ولكارثة الوباء الأسود نتائج أخرى ، ففى فلورنسا نقلا عن الوصف المعروف الذى كتبه بوكاشيو فى أخبار الوباء بتلك المدينة ، أسلم البعض أنفسهم لأنواع الملذات ، واستولى على البعض طوف دينى ، وأولئك هم السياطيون الذين ساروا جماعات فى طرقات المدينـــة يضربون أنفسهم

بسياط من حديد ، تكفيراً عن ذنوب المذنبين من الناس ، وتزلفــاً إلى السماء أن ترفع غضبها عن المخلوقات ، على حين اتخذ فريق لم يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء حياة اللصوصية وقطع الطرق سبيلا للعيش .

وثمة نتيجة عابرة أخرى من نتائج هذا الوباء ، هي أن البابا كلمنت السادس — والكرسي البابوى وقتذاك فى آفنيون بفرنسا — دعا أرباب الطب إلى محاولة جريئة فريدة فى تلك العصور الوسطى ، لتشخيص أسباب الوباء ، فنبشت قبور ، وأخرجت جثث للفحص . ومع أن هذه المحاولة الطبية الجريئة انتهت إلى لا شيء ، فإنها غيرت على الأقل من موقف الكنيسة نحو تشريح الجسم البشرى ، فى سبيل المعرفة والعلم .

*

هذه خلاصة ما جاءت به البحوث الأوربية فى نتائج الوباء الأسود الذى بدأ فى الشرق الأوسط كما تقدم ، وظل مشتعلا به مدة أطول مما اشتعل فى أوربا ، وهى خلاصة شارحة تجعل كثيراً من ملامح التاريخ الأوربى منذ أواخر العصور الوسطى واضحاً مفهوماً ، للمشتغلين بتاريخ أوربا الحديث . وينبغى أن يكون لدينا من نتائج بحث الباحثين فى تاريخ هذا الوباء فى الشرق الأوسط كله ما نستطيع به أن نفسر جوانب تاريخ مصر والشام مثلا ، منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، تفسيراً جديداً ، لأنه لا شك أن المجتمع فى مصر والشام لم يقل حساسية عن المجتمع الأوربى ، ولا بد أن الوباء أحدث بمصر والشام مثلما أحدث بإنجلترا وفرنسا ، أو ما هو أكثر من ذلك، نظراً لزيادة طول مدة اشتعاله بالشرق .

وفى صفحات المراجع العربية المعاصرة للوباء أو القريبة منه ما يسعف الباحث بالمادة الوفيرة ؛ ومثال ذلك ما أورده المقريزى فى « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » من إشارات متنوعة متقطعة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، فضلا عما سبق إيراده هنا من أخبار هذا الوباء، ما كتبه المقريزى بالجزء الثانى من هذا الكتاب هكذا :

(ص ٧٧١) « وفيه انحلت إقطاعات كثيرة لموت الناس ... » .

(ص٧٧٢) « فكانت سنة كثيرة الفساد فى عامة أرض مصر والشام ، من كثرة النفاق ، وقطع الطريق ... » .

(ص ٧٧٥) « وشمل الموت أهل البرلس ونستراوة ، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين ... وعمّ الوباء جميع تلك الأراضى ، ومات الفلاحون بأسرهم ، فلم يوجد من يضمّ الزرع ، وزهد أرباب الأموال فى أموالهم ، وبذلوها للفقراء ... »

(ص ٧٧٩) « وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها ، وجفّت أشجارها ، لكثرة موت أهلها ودوابهم ... » .

(ص ٧٨٥) « ثم كان الحال كذلك بأراضى مصر ، فما جاء أوان الحصاد حتى فنى الفلاحون ، ولم يبق منهم إلا القليل،فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد، ونادوا : من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده . فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع ، ودرسوا غلالهم على خيولهم ، وذروها بأيديهم ، وعجزوا عن كثير من الزرع فتركوه . وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد ، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن . فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأساكفة والمنـــادمين (كذا) ، وركبوا الخيول ، ولبسوا الكلفتة والقباء ... »

(ص٧٨٦) « وتعطلت أكثر الصنائع ،وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى ، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة ، وانحط سعر القماش ونحوه، حتى بيع بخمس ثمنه وأقل ، ولم يوجد من يشتريه . وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال ، فيباع الحمل منها بأبخس ثمن واتضعت أسعار المبيعات كلها ، حتى كانت الفضة النقرة التى يقال لها بمصر « الفضة الحجر » تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملية ، وبقى الدينار بخمسة عشر درهما ، بعد ما

كان بعشرين . وعدمت جميع الصنائع ، فلم يوجد سقاء ، ولا بابا ولا غلام . وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهماً فى كل شهر ، بعد ثلاثين درهماً . فنودى بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته ، وضُرب منهم جماعة . وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم ، لقلة الرجال والمال ، وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهماً ... » .

*

ومن الواضح من هذه الاقتباسات أن المقريزى مزج بين النتائج السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى نتجت عن هذا الوباء الكبير فى مصر والشام ، وأنه لم يفرق بين القريب والبعيد من هذه النتائج .

على أن موضع الأهمية هنا هو وجود هذه الحقائق وأشباهها فى المراجع العربية الكبرى ، دون أن يجعل منها مؤرخ مصرى أو سورى فى العصر الحاضر بحوثاً تمهيدية لتاريخ اقتصادى للشرق الأوسط ، أو وسيلة لإضافات تفسيرية لتاريخ الدولة المملوكية الأولى منذ بداية عصر أولاد السلطان الناصر محمد إلى نهاية هذه الدولة .

ذلك أن المتواتر فى المؤلفات التاريخية العامة أن سلطنات أولاد السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وهم الذين تصف المراجع العامة عهودهم وأشخاصهم بالضعف ، هى التى أدت إلى نهاية هذه الدولة فى سلسلة من اضطرابات وفتن داخلية ، محورها عجز أمراء الدولة عن أن يجدوا فى تكوينهم المملوكى العسكرى متسعاً لقبول مبدأ التوريث فى السلطنة ، أو أن يروا فى السلاطين أولاد الناصر محمد موضعاً لاحترام أو هيبة أو خشية ، وكل من أولئك السلاطين فى الواقع أسوأ من غائب عن شئون السلطنة . ولهذا وذاك عمل كل أمير من أمراء الدولة لحسابه فى عنف وأنانية واستهتار ، وبدا المجتمع المملوكى فى مصر والشام كأنما لكل أمير فيه قانون خاص به ، يجمع الثروة والنفوذ لنفسه على مقتضاه ، ويبنى المسجد والمدرسة والزاوية

والقبة والضريح باسمه استجابة لمظاهر الدين ، أو إشباعاً للتقوى ، أو حباً للذكرى . على أن ذلك كله لم يكن مرجعه ضعف السلاطين الأنجال فحسب ، بل مرجعه كذلك ما طرأ على المجتمع المملوكي المصرى من تغيرات عميقة بسبب الفناء الكبير ، والأدلة على ذلك لا تقتصر على ما تقدمت الإشارة إليه من تعميمات المؤرخين ، بل تتراءى مبعثرة فى أخبار الدولة المملوكية وتكوين الجيش المملوكي ، وثورات الفلاحين والعربان .

ويقال مثل ذلك بصدد عجز الدولة المملوكية الثانية عن دفع الخطر التيمورى عن مصر والشام ، إذ تروى المراجع العامة أن هذه الدولة الناشئة لم تستطع أن تقف فى وجه تيمورلنك ، أو أن تمنع مذلات الاحتلال التيمورى لدمشق ، لا لسبب سوى ضعف السلطان برقوق وابنه فرج ، بدليل أن هذه الدولة الجديدة لم تكن أقل قوى اقتصادية أو طاقات بشرية من دولة المماليك الأولى التى وقفت وقفتها التاريخية المجيدة زمن السلطان قطز ضد هولاكو وجنوده ، أى قبل كارثة تيمورلنك بمائة وخمسين سنة تقريبا . غير أن هذا القول العام فيه شىء كثير من التناقض ؛ لأن السلطان برقوق مثلا هو الذى أقام الدولة المملوكية الثانية ، وبرهن على مقدرات ومواهب خاصة ليس الضعف الشخصى جزءاً منها . ثم إن القوى الاقتصادية والطاقات البشرية التى تيسرت للسلطان فرج وبرقوق ، لم تكن شيئاً مذكوراً بالقياس إلى نظائرها السالفة زمن السلطان قطز . ولذا فالأقرب للمعقول فى ضوء الحقائق التاريخية غير الملحوظة ، أن المجاعة التى أكلت الحرث والنسل لمدة اثنتى عشرة سنة فى مصر والشام ، من منتصف عهد برقوق إلى منتصف عهد فرج ، والتى ذكرها المقريزى فى كتابه إغاثة الأمة ، هى التى أوهت قوى المقاومة المملوكية ضد تيمور لنك وجنوده ، وملأت البلاد بثورات الأمراء المماليك ، ومحاولة الخليفة العباسى وقتذاك أن يجعل شخصه مستودع السلطنة والخلافة معا . والمعروف أن هذه المجاعة الطويلة تخللها وباء كبير ، وهذا الوباء الذى

أعجز بنية الجيوش المملوكية عن القيام بأية حركات هجومية ضد الدولة حتى زمن السلطان برسباى .

وليس يكفى للمؤرخ هنا أن يكون عليما بقواعـــد البحث والكتابة فى التاريخ ، من جرح وتعديل وحساسية لمقتضيات التوزيع والتناسب والتنسيق والتركيز ، بل لابد له أن يكون كذلك عارفا ، معرفة عملية على الأقل بنظريات علوم الاقتصاد والاجتماع وشروحها وبراهينها .

•

ولذا ينتهز كاتب هذه السطور ما لديه هنا من فرصة ، للدعوة إلى ضرورة إدخال علوم الاقتصاد السياسى والاجتماع والفلسفة السياسية كذلك ، مع الجغرافيا واللغات الأجنبية ، فى أقسام التاريخ ، للتخصص فى هذه المواد تخصصاً ملائماً للأغراض التاريخية ، بحيث يغدو محتملا أن نرى مؤلفات وطيدة القيمة العلمية فى جميـــع عصور التاريخ الاقتصادى ، والتاريخ الاجتماعى ، فضلا عن مؤلفات جديدة فى التاريخ السياسى العام ، للشرق العربى كله ، فى المستقبل القريب .

الدكتور محمد كامل عيّاد

— ١٢

المستشرقون والتاريخ العربي

« المستشرقون والتاريخ العربي »

هناك كتابان فقط بالعربية يبحثان فى الاستشراق : أولها « المستشرقون » بقلم نجيب العقيقى ، وهو عبارة عن فهرس يتضمن تراجم أحوال المستشرقين من مختلف الجنسيات مع أسماء مؤلفاتهم ثم ، فى خاتمته بحث عام للإشادة بفضل المستشرقين والرد على الانتقادات التى وجهت اليهم . والكتاب الثانى هو « الإسلام والحضارة العربية » الذى ألفه الاستاذ محمد كرد على للرد على مطاعن المستشرقين والشعوبيين فى العرب والإسلام . وعلى الرغم من أن الأستاذ كرد على كان قد أشار فى محاضرة له إلى « أن أكثر المستشرقين قد جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم » فهو لا يتعرض إلا إلى القلائل من المعروفين بالتعصب الدينى ، كما أنه يعتمد كل الاعتماد على مستشرقين وكتاب غربيين آخرين فى الدفاع عن العرب والإسلام .

إن موضوع الاستشراق خطير جــداً ، وهو يحتاج إلى مباحث كثيرة ودراسات واسعة عميقة . ومهما كان رأينا فى نوايا المستشرقين فلابد لنا من الاهتمام بأعمالهم ، فنحن بحاجة إلى اقتباس طرائقهم فى البحث العلمى والنقد التاريخى ، ولا يمكننا إدراك نقاط الضعف فينا وتكوين فكرة صحيحة عن أنفسنا إلا إذا عرفنا ما يقوله الآخرون عنا . ولاجدال فى أن كل من يرغب فى دراسة تاريخ العرب وحضارة الإسلام لابد له فى الوقت الحاضر من الرجوع إلى مباحث المستشرقين . فإن هؤلاء قد سبقونا وأخذوا منذ أوائل القرن التاسع عشر ينشرون أهم المصادر عن تاريخنا وحضارتنا مع بذل

أعظم الجهود فى تحقيقها علمياً ووضع الفهارس الضرورية والشروح الوافية لها . وقد أعيد طبع بعض هذه المصادر فى البلاد العربية ولكن ، مع الأسف، بصورة ناقصة ، مغلوطة ومشوهة ، فى حين أن قسما آخر هاماً لم نقدم على نشره حتى الآن . وإذا كنا قد بدأنا فى السنوات الأخيرة نتبع طريقة المستشرقين فى إحياء تراثنا القديم فإننا مازلنا مضطرين عند دراسة تاريخنا إلى الاعتماد على الطبعات الأوربية لمصادر عربية أساسية مثل الطبقات الكبرى لابن سعد، وفتوح البلدان للبلاذرى، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى، وتجارب الأمم لابن مسكويه والآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى، وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ، ونزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للإدريسى ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى وغيرها .

كذلك سبقنا المستشرقون إلى التنقيب عن آثار أجدادنا . وقد انتقل أكثر هذه الآثار ، ولا سيما النقوش الكتابية التى ظهرت فى اليمن ، إلى المتاحف الأوربية .

أضف إلى ذلك الدراسات التى قام بها المستشرقون بالاستناد إلى الأخبار والوثائق والآثار التاريخية . ومن العسير جداً إحصاء المؤلفات التى نشرها المستشرقون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم والتى تبحث فى تاريخ العرب والإسلام من مختلف النواحى السياسية والدينية والفكرية والفنية . ولابد من الاعتراف بأننا مازلنا عالة على هؤلاء المستشرقين عند دراسة النقوش الكتابية فى اليمن وتدمر والبتراء وعند معالجة الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب القديم على عهد الآشوريين والآراميين واليونان والرومان والبزنطيين والتى تتطلب معرفة اللغات القديمة .

والآراء متضاربة بشأن مباحث المستشرقين فى سيرة الرسول والفتوحات العربية وحكم الأمويين والعباسيين والحروب الصليبية والحضارة الإسلامية والنهضة العربية الحديثة . إلا أنه لاغنى لنا ، على كل حال ، عن الاطلاع على هذه المباحث سواء للاستفادة منها أو للرد عليها .

إننا لانستطيع تحـــديد موقفنا من الاستشراق إلا بعد دراسة دقيقة له كحركة عامة تشمل فروعاً عديدة من الدراسات فى المعاهد العلمية العالية والمؤسسات الخاصة من جمعيات ومجلات ومؤتمرات دولية . وهنا نصطدم بكثير من الأسئلة الشائكة والنقاط الغامضة التى تحتاج إلى الإجابة والتوضيح:

متى وكيف بدأ الاستشراق ؟ لماذا شعر الأوروبيون بالحاجة إلى دراسة (الشرق) على وجه التخصيص ؟ ثم ماذا يقصد بالشرق ؟ وكيف تحول هذا الاصطلاح الجغرافى – الفلكى إلى مفهـــوم سياسى – تاريخى ، وما هى الاختلافات والمنازعات التى رافقت ذلك على ممر العصور بين شعوب أوربا من جهة وشعوب آسيا وإفريقيا من جهة ثانية ؟

عند الإجابة على هذه الأسئلة يتبين أن الاستشراق قد بدأ فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر لأهداف دينية وعلى الأخص للرد على الإسلام وللتبشير بالمسيحية بين المسلمين واليهود والصينيين والهنود . كذلك كانت البابوية تهتم بتوحيد الكنائس الشرقية والغربية وكان لابد من معرفة العربية واللغات الشرقية الأخرى فى سبيل تحقيق هذا الهدف . وتأسيس الطباعة العربية فى إيطاليا فى أواخر القرن السادس عشر إنما تم بجهود الكنيسة ولأغراضها التبشيرية . وهناك عامل دينى آخر دفع إلى دراسة اللغة العربية وأعنى بذلك الإصلاح البروتستانتى ومارافقه من رغبة فى قراءة الكتب المقدسة بلغاتها الأصلية وضرورة الاستعانة بالعربية فى تفسيرها وفهمها .

لا شك فى أن هذه الدوافع الدينية قد تضاءل شأنها فى العصور التالية وكادت تزول فى بعض العهود وصار الكثيرون من المستشرقين ينكرون أحياناً الانقياد إليها ويحاولون أحياناً أخرى إخفاءها . ولكن تأثيرها ما زال ظاهراً حتى اليوم فى معالجة الموضوعات الشرقيـــة عامة والتاريخ الإسلامى خاصة . ويلاحظ أن عدداً كبيراً من المستشرقين الأوربيين والأميريكيين قد بدءوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل الانتقال إلى الاستشراق وأن

البعض من هؤلاء ظلوا يتولون وظائف دينية وتبشيرية وأن طائفة منهم ما زالت تتصف بالتعصب الشديد حتى فى هذا العصر .

على أن الدافع الدينى وحده لم يكن كافياً لتقدم الدراسات الشرقية واتساعها . وفى الحقيقة لم يتطور الاستشراق إلا بتأثير الاستعمار الغربى ولأجل تحقيق أغراضه السياسية والاقتصادية . ومن المهم جداً بالنسبة لنا أن نكشف عن العلاقة الوثيقة بين الاستعمار والاستشراق وأن نشرح كيف اندفع الهولنديون مثلا إلى دراسة اللغات والديانات الشرقية وفى مقدمتها اللغة العربية والعقيدة الإسلامية حرصاً على مصالحهم التجارية الواسعة فى البلاد العربية وسعياً وراء مطامعهم الاستعمارية فى الهند الشرقية . ويجب أن نوضح كيف تأسست معاهد الاستشراق وجمعيات المستشرقين مثل « معهد اللغات الشرقية » الذى أسسه بطرس الأكبر فى روسيا و « الجمعية الآسيوية للبنغال » التى أسسها الإنكليز و « الجمعية الآسيوية » فى فرنسا و « جمعية المستشرقين الألمان » وغيرها ، ولماذا كانت الحكومات تشجعها وتقدم لها الأموال الطائلة وكيف أنها جميعاً ، رغم تظاهرها بالسعى وراء أهداف علمية ، كانت ترمى إلى أغراض اقتصادية وسياسية ودينية . ولما كانت العلاقة بين الاستعمار والاستشراق متشعبة متشابكة معقدة ؛ فلابد لنا من التعرض إلى مسائل كثيرة عويصة . هكذا يجدر بنا أن نتابع تطور دراسة المستشرقين واختلاف الموضوعات التى كانت تسترعى انتباههم فى شتى أدوار الاستعمار من دور الغزو والتوسع إلى دور توطيد النفوذ الأوروبى فى الشرق ثم دور مقاومة الثورات القوميـــة التحررية . وينبغى أن نحصل على معلومات كافية عن المهمات التى كان يعهد بها إلى علماء الاستشراق ، إذ من المعروف أن كثيرين بين هؤلاء لم يكونوا أساتذة فى الجامعات والمعاهد العالية وأعضاء فى البعثات الأثرية فحسب ، بل كانوا أعضاً مستشارين وموظفين وجواسيس فى دوائر الخارجية والمستعمرات والاستخبارات . ولا مناص لنا من التساؤل عن العلاقة بين جهود إنكلترا السياســية فى القرن التاسع عشر لتأمين سلامة

طريق الهند وبين نشاط المستشرقين الإنكليز ورحلاتهم إلى الجزيرة العربية .
ومن المعلوم أن الدراسات العربية لم تتسع فى فرنسا إلا بعد الاستيلاء على الجزائر وتونس . وإذا رأينـــا المستشرقين الفرنسيين يوجهون كل عنايتهم إلى قبائل البربر ويدرسون تاريخها وعاداتها وتقاليدها فالغاية الاستعمارية واضحة .

ثم ما هى الأسباب التى تدفع المستشرقين عامة إلى تركيز اهتمامهم على تاريخ الشعوب الشرقية فى الماضى البعيد وإهمال تطور هذه الشعوب فى العصور الحديثة والسكوت عن نهضاتها القومية وحركاتها التحررية الحاضرة ؟ ولماذا يبالغون فى تمجيد الحضارات الشرقية القديمة ولكنهم يقتصرون على وصف العناصر الباليـــة الميتة فى هذه الحضارات دون الإشارة إلى عناصرها الصالحة للحياة والتى كان لها تأثير فى تقدم الإنسانية ؟

إن مباحث المستشرقين فى النهضة العربية الحديثة قليلة جداً وهى مختصرة وسطحية على العكس من دراساتهم عن تاريخ العرب القـــديم وعن التاريخ الإسلامى ، فإنها كثيرة تكاد لا تحصى وهى تتعرض إلى عدد كبير من المسائل ولكنها تحوم فى الغالب حول الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ . وهذه الدراسات قلما تعالج الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحركات الشعبية وتطور الأنظمة السياســية . إنها تتمركز حول المسائل اللغوية والنصوص الدينية وأخبار قصور الملوك والأمراء والحفريات الأثرية . ومن الغريب أن نرى المستشرقين يبذلون كل جهودهم للكشف عن العوامل الخارجية والعناصر الغريبة التى كان لها بعض التأثير فى نشأة الإسلام والحضارة العربية فى حين أنهم يذكرون باختصار أو بالأحرى يهملون بالمرة مظاهر التطور والتجديد والابتكار عند العرب . على أن هؤلاء المستشرقين الذين يحاولون إرجاع الفلسفة والعلوم العربية إلى أصولها اليونانية يعودون من جهة ثانية ويتوسعون فى بيان الفروق الجوهرية بين الشرق والغرب ، وينكرون على الشرقيين وبينهم العرب أن يكونوا قد بلغوا مستوى اليونان القدماء

وبالتالى مستوى الأوروبيين الحديثين فى إدراك فكرة الإنسانية ومفهوم العلم وحقيقة الفن .

ويدعى المستشرقون أن للشرقيين « عقلية » خاصة وطريقة خاصة فى التفكير ويستنتجون من ذلك أنه لا يمكن مقارنة ما يجرى فى الشرق اليوم عما يشابهه من الحركات القومية فى الغرب وأنه يجب فصل تاريخ الشرق فصلا تاماً عن تاريخ الغرب .

ولابد من أن يؤخذ فى الاعتبار أن المستشرقين المتأخرين أمثال (مرجليوث) و (قايتانى) و (لامنس) قد استطاعوا أن يوحدوا بين الأغراض الاستعمارية والأهداف الدينية التبشيرية .

لاشك فى أن هناك عوامل أخرى كان لها أيضاً تأثير فى تقدم الدراسات الشرقية . مثال ذلك تقدم علم التاريخ فى القرن التاسع عشر . فقد أدرك الباحثون أنه لا يمكن الكشف عن قوانين التطور التاريخى العام إلا بالطريقة المقارنة التى تتطلب العناية بتاريخ الأمم الشرقية إلى جانب تاريخ الغرب . كذلك لا ننكر أن بعض المستشرقين قد اندفعوا إلى دراسة تاريخ العرب أو حضارة الصين بدافع من حب المعرفة والبحث عن الحقيقة ، ولكن الجهود العلمية التى يبذلها أمثال هؤلاء الأفراد لا يمكن أن تبدل الاتجاه العام فى حركة الاستشراق . ونحن وإن كنا مضطرين إلى الرجوع إلى مباحث المستشرقين فمن واجبنا أن نسعى إلى دراسة تاريخنا بأنفسنا وأن نصحح أخطاء المستشرقين ومغالطاتهم وأن نرد على دسائسهم ومطاعنهم بالطريقة العلمية الانتقادية التى يتبعونها .

تلك هى المسائل التى أبحث فيها بالوقت الحاضر . وقد بدأت فى السنة الماضية بإلقاء عدة محاضرات تمهيدية عنها على طلاب معهد الدراسات العربية العليا فى القاهرة . وأرجو أن تسمح لى الظروف بإتمام دراسة الموضوع فى مدة قريبة . . .

— ١٣

محمد عبد الله عنان



البحوث الأندلسية

جازت البحوث الأندلسية منذ أوائل القرن الماضى عدة مراحل ، وتطورت تطوراً كبيراً . وهذا القول ينطبق أولا على البحوث الغربية ، لأن البحوث العربية لم تنشط خلال القرن الماضى فى الميدان الأندلسى ، وكان آخر مجهود ضخم بذل من جانبها فى هذا الميدان هوكتاب « نفح الطيب » لشهاب الدين المقّرى ، وقدكتب فى أوائل القرن السابع عشر (سنة ١٦٣٠ م) . وقد لبث « نفح الطيب» خلال قرنين أشهر مرجع وأغزر مصدر للدراسات العربية الأندلسية ،وذلك بالرغم من كونه ليس تاريخا للأندلس بالمعنى الصحيح ، إذ هو فى الواقع عبارة عن مجموعة كبيرة من الروايات والنصوص التاريخية والأدبية ، التى جمعت عن تاريخ الأندلس وآدابها ، وذلك دون تمحيص أو تعليق أو اجتهاد نقدى من أى نوع .

وهكذا لبثت البحوث العربية راكدة ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . ومنذ أوائل القرن التاسع عشر تنشط البحوث الغربية ، وتبقى البحوث العربية على ركودها ، معتمدة على النقل المجرد من « نفح الطيب » وبعض المصنفات العربية القليلة الأخرى ، مثل كتب ابن الخطيب ،وتاريخ ابن خلدون .

وقد بدأ نشاط البحوث الغربية عقب ظهور فهرس الغزيرى باللاتينية عن مخطوطات مكتبة الإسكوريال الأندلسية (مابين سنتى ١٧٦٠ و ١٧٧٠م) وما ورد فيه من نبذ ونصوص هامة عن تاريخ اسبانيا المسلمة ، وأحوالها الاجتماعية والحضارية ، وما سجل فيه من المصادر المخطوطة الهامة ، المتعلقة بتاريخ الأندلس وآدابها .

وقد كان فى مقدمة الباحثين الذين انتفعوا بفهرس الغزيرى ، العلامة اليسوعى الإسبانى ماسدى ، حيث أخرج كتابه الضخم « التاريخ النقدى لإسبانيا والحضارة الإسبانية » Historia critica de España y de la Cultura Española. وهو يفسح فى مؤلفه مجالا كبيراً للمراجع العربية ، وينقل منها نبذاً طيبة عن خواص المجتمع الإسلامى فى اسبانيا ، ونواحى التفكير الإسلامية . وتلاه المؤرخ الإسبانى يوسف كوندى ، فوضع كتابه الشهير « تاريخ دولة العرب فى اسبانيا » Historia de la Dominaciòn de los Arabes en España. وفيه ينقل كثيراً من الروايات العربية ، سواء من معجم الغزيرى أو من المراجع العربية الأصيلة بمكتبة الإسكوريال .

وكوندى ينقل ماينقل دون دقة ودون تمحيص أو مقارنة ، ويقع فى كثير من الأخطاء التاريخية ؛ ولكنه يمتاز فى تعليقاته وملاحظاته بالصراحة الجمة حتى أنه يذهب أحيانا إلى إصدار أشد الأحكام على أمته ومواطنيه . وقد كان مؤلف كوندى عرضة لمطاعن شديدة من بعض الباحثين الأوروبيين ، ولا سيما العلامة دوزى .

على أن البحوث الأندلسية تخطو على يد العلامة الهولندى رينهارت دوزى خطوة واسعة المدى . ودوزى هو أول عالم مستشرق ، استطاع أن ينتفع بالمراجع العربية أعظم انتفاع ، وأن يقدم للعالم الغربى وجهات النظر الإسلامية فى صور قوية لامعة . وقد كان كتابه « تاريخ المسلمين فى اسبانيا حتى فتح المرابطين » Hist. des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides. فتحا حقيقيا فى البحوث الأندلسية ، وكذلك فإن كتابه الآخر « بحوث فى تاريخ اسبانيا وآدابها فى العصور الوسطى » Recherches sur l'Histoire et la Littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age. ، من أقيم ما كتب فى موضوعه . ويلقى دوزى فى كتابه أضواء كثيرة ، على أمور ومسائل عديدة فى التاريخ الأندلسى . ولم تقف جهود دوزى عند التأليف فى هذا الميدان ، ولكنه وفق كذلك إلى نشر مراجع

نفيسة عن تاريخ الأندلس وجغرافيتها منها ، « البيان المغرب » لابن عذارى ، وبعض أقسام من « الحلة السيراء » ، والمصادر المخطوطة لتاريخ بنى عباد ، ووصف الأندلس للشريف الإدريسى وغيرها .

ويعتبر دوزى بحق أعظم باحث فى تاريخ اسبانيا المسلمة فى القرن التاسع عشر ، وقد كان لجهوده فى هذا الميدان ، أعظم الأثر فى تطور البحوث الأندلسية .

على أننا نستطيع الآن ، وقد مضى على بحوث دوزى نحو قرن ، أن نتبين مصدر التفوق فى بحوثه ، فهو قد وضع يده ، ولأول مرة ، على نصوص عربية مخطوطه استأثر بالانتفاع بها مثل : « البيان المغرب » لابن عذارى ، و « الذخيرة » لابن بسام ، و « الإحاطة » لابن الخطيب ، وقد ترجم الكثير من محتوياتها . ولو تتبعنا كتابه « تاريخ المسلمين فى اسبانيا » بإمعان لألفيناه فى كثير من مواضعه ، عبارة عن ترجمة حرفية لكتاب « البيان المغرب » لابن عذارى ، ولنبــذ مخطوطة أخرى من كتاب « الإحاطة » ، و « الحلة السيراء » . ونستطيع فيما يتعلق بالحلة السيراء أن نقول إن دوزى من أجل الاستئثار بمادته ، قد عمد إلى تمزيقه بطريقة تنافى الأوضاع العلمية السليمة ، فنقل عنه سائر التراجم التى تتعلق ببنى عباد ورجالاتهم ، فى كتابه : « تاريخ بنى عباد » ، ثم استخرج منه التراجم الخاصة بالأندلسيين ونشرها على حدة ، وترك الباقى لينشره باحث أوربى آخر هو المستشرق الألمانى ميللر . وقد نشره ضمن ما نشر فى مجموعته :

Beiraege zur Geschichte des Wesentlichen Araber.

وإلى جانب ذلك كله ، ومع اعترافنا بمقدرة دوزى النقدية ، وروعته فى التصوير والعرض ، فإنه يبدى فى مواطن كثيرة تحاملا واضحاً ، قومياً ودينياً معاً . وليس هنا موضع تبيان هذه المواطن .

وقد كان لتلك الوثبة القوية التى وثبتها البحوث الأندلسية على يد العلامة دوزى ، صداها العميق فى هذا الميدان ، فنشطت البحوث الأندلسية فى معظم

دوائر الاستشراق ، وبدأت المصادر العربية الأندلسية تخرج تباعاً على أيدى محققيها من العلماء المستشرقين لتضع ثروات جديدة بين أيدى الباحثين . وكان من أقيم الجهود فى هذا الميدان ، نشر المكتبة الأندلسية ، فى عشر مجلدات ضخمة،وذلك على يد لفيف من المستشرقين الإسبان،فيما بين سنتى ١٨٨٣ ، ١٨٩٤ . وقد كانت أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن الحالى بالنسبة للاستشراق الإسبانى ، فترة ازدهار قوى ، وقد بلغت البحوث الأندلسية فى اسبانيا أوجها فى تلك الفترة،وهى التى نبغ فيها أعلام مثل كوديرا،وريبرا، وپونس بويجس ، وسيمونيت ، وجسبار ريميرو ، وآسين بالاثيوس ، وجونثالث پالانثيا، وغيرهم ممن أسدو إلى البحوث الأندلسية أقيم الخدمات .

وفى ميدان الاستشراق الفرنسى ، برز فى البحوث الأندلسية فى العصر الأخير ، بالأخص المرحوم الأستاذ ليڤى پروڤنسال ، وهو قد أتم عمل دوزى فى معنى من المعانى ، إذ نشر الجزء الثالث من«البيان المغرب» ، ونشر مؤلفات ونصوصاً أندلسية كثيرة أخرى ، ولا سيما جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وكتاب المرقبة العليا للنباهى ، وكتاب « التبيان أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين » ، و«تكملة التكملة لابن الزبير» ونصوصاً كثيرة عن الموحدين، والجزء الخاص بجغرافية الأندلس من الروض المعطار . وفضلا عن ذلك فقد نشر بالفرنسية كتابه عن « تاريخ اسبانيا المسلمة » ، وهو مؤلف قيم ، لا يقل عن مؤلف دوزى من حيث قيمته العلمية والنقدية .

هذا ، وأما عن البحوث الأندلسية فى بلادنا العربية ، فإنها قد لبثت عصراً طويلا فى ركود مؤسف . وقد لبثنا عصوراً نكتفى بقراءة كتاب « نفح الطيب » للمقرى ، وبالنقل عنه دون تحفظ . ولم يبذل حتى أوائل هذا القرن أى جهد لنشر الكتب الأندلسية ، ولم تنشر منها مطبعة بولاق ، فيما نشرته من عديد الكتب والمراجع سوى « نفح الطيب » ، وهذا فى نفس الوقت الذى كانت فيه دوائر المستشرقين ، تتحفنا بصورة مستمرة بالمراجع

والنصوص الأندلسية القيمة ، وتغزو ذخائرنا المخطوطة ، سواء فى المشرق أو المغرب ، وتخرج منها النفيس والنادر .

وقد أخذت البحوث الأندلسية العربية ، منذ بداية هذا القرن ، تبدو فى الأفق بطيئة قليلة ، تغشاها فى نفس الوقت الأساليب العتيقة من النقل المجرد ، ومن غلبة الأدب والشعر على النصوص التاريخية ، ومن فقد الروح النقدى ، والتمحيص العلمى . وبدأ فى نفس الوقت نشر المراجع التاريخية الأندلسية ، وكان من أهم مانشر منها فى بداية هذا القرن جزءان من كتاب الإحاطة لابن الخطيب . وبالرغم من أن الجامعة الرسمية أنشئت بمصر منذ سنة ١٩٢٥ ، فإن التاريخ الأندلسى لم يأخذ فى جامعاتنا مكانته الحقة ، ولم تتخذ دراسته العناية الكافية . ولم تقم جامعاتنا بنشر أية نصوص أندلسية ، سوى أجزاء قليلة من كتاب « الذخيرة » ، قامت على نشرها جامعة القاهرة ، ثم توقفت منذ أعوام طويلة .

بيد أنه مما يدعو للارتياح أن نرى الدراسات الأندلسية العربية ، تنشط فى العهد الأخير ، وينشط كذلك نشر المراجع الأندلسية . وقد نشر فى الأعوام العشرين الأخيرة بالقاهرة كثير من المراجع الأندلسية القيمة ، مثل: «أزهار الرياض للمقرى » و « معجم ما استعجم » لأبى عبيد البكرى و « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم و « المغرب » لابن سعيد ، والجزء الأول من « الإحاطة » بتحقيق جديد ، و « حلية الفرسان » لابن هذيل ، وعدة مراجع أخرى قام على نشرها الاستاذ ليڤى بروڤنسال ، وذكرناها فيما تقدم ، وأعيد كذلك نشر طائفة من المراجع الأندلسية الهامة . ونشرت كذلك بالمغرب فى الرباط ، وفى تطوان ، مراجع أندلسية عديدة يضيق المقام عن ذكرها .

وظهرت فى نفس الوقت بالعربية طائفة من الكتب والبحوث الجديدة فى تاريخ الأندلس تمتاز بالدقة ، وبتمحيص الرواية ، وبروحها النقدى ، وتضارع مثيلاتها من الكتب الغربية فى هذا الميدان .

ومما هو جدير بالذكر أن الخزانة العامة (المكتبة العامة) بالرباط ، قد استطاعت فى العامين الأخيرين أن تضع يدها على كثير من المخطوطات من محتويات الزوايا والمجموعات الخاصة . وقد وجد من بينها لحسن الحظ ، عدة من المراجع الأندلسية الهامة ، ومنها نسخة فريدة من الجزء الثالث من « البيان المغرب » ، يمتد سياقها التاريخى حتى أواخر عهد الموحدين ، وتمتاز بزيادات كثيرة فى البداية والنهاية على سائر المخطوطات المماثلة ، وهو فى نظرنا كشف هام ، يفتح آفاقاً جديدة لدراسة عصر الموحدين فى المغرب والأندلس .

وقد كان من أبرز الظواهر فى البحوث العربية الأندلسية فى الفترة الأخيرة أنها تعنى عناية خاصة بالبحوث العربية الإسبانية ، وتستقصى المصادر والمراجع والوثائق فى مواطنها الأصيلة بالإسكوريال وشنت منكش ، ودور المحفوظات الإسبانية التاريخية ، وكذلك فى مكتبات المغرب الحافلة بالذخائر والمراجع الأندلسية .

ولا يسعنا إلا أن ننوه هنا بما بذله « معهد الدرسات الإسلامية » بمدريد فى ذلك الميدان من جهود موفقة ، ومايبذله من معاونات قيمة لطلاب البحوث العربية الإسبانية ، وقد كان لقيام هذا المعهد الجليل أثره القوى فى تنشيط الدراسات الأندلسية .

— ١٤

محمد أحمد دهمان

العراق بين المماليك والأتراك

العراق بين المماليك والأتراك

يخيل لبعض الباحثين أن استيلاء السلطان سليم العثمانى على بلاد الشام ومصر، كان ابن وقته وأن سببه مناصرة السلطان الغورى لشاه إيران ، ولكن النصوص التى تهيئها للنشر توحى بأن مطامع الأتراك العثمانيين بالبلدان العربية تمتد إلى عصر السلطان محمد الفاتح، فهو بعد أن تم له فتح القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ) ووطد أركان ملكه فيها ووضع القوانين لدولته تطلعت عينه إلى البلدان العربية ، وإلى تقويض أركان أعظم مملكة فى ذلك العصر وهى مملكة المماليك المؤلفة من بلاد مصر والشام .

•

فى سنة (٨٧٠) هـ اغتيل نائب الأبلستين سيف الدين ملك أصلان وهو فى صلاة الجمعة فأحضر سيفه إلى القــاهرة وأخبر السلطان الملك الظاهر خشقدم بما جرى ، فعين بدله أخاه «شاه بداق» نائباً على الأبلستين وأعمالها . وقام «الأمير سوار» وهو أخ ثان للأمير المغدور فطالب بالإمارة واتهم سلطان القاهرة باغتيال أخيه ، واستعان بالسلطان محمد الفاتح وأعلن الثورة على الدولة المملوكية .

فمن ذلك الوقت أخذت عينا السلطان العثمانى تتطلع إلى الاستيلاء على دولة المماليك ومساعدة الأمير سوار فى ثورته .

وقد اهتمت حكومة المماليك بهذه الثورة، ففى سنة (٨٧٢هـ) أرسلت حملة عسكرية لإخمادها ولكن هذه الحملة هزمت شر هزيمة ، فأرسلت حملة ثانية فى هذه السنة فأخفقت أيضاً .

وفى سنة (٨٧٣ هـ) أرسلت حملة ثالثة فلم تنجح وهزمت ، وكثيراً ما نجد المطالع فى كتاب «الضوء اللامع» للسخاوى فى تراجم المماليك أن فلاناً قطعت يده فى كائنة سوار ، وفلاناً قلعت عينه فى كائنة سوار ، وفلاناً قتل فى كائنة سوار .

*

أنهكت هذه الحملات المتقدمة الدولة فى المال وأفقدتها عدداً كثيراً من الرجال ، وانحطت هيبتها أمام الدول المجاورة لها وطمعت فى الاستيلاء على بعض حدودها ، فبذلت الدولة المملوكية كل جهدوجهزت جيشاً لجباً بقيادة « الأمير يشبك الدوادار» ، وقدمت له كل ما تستطيع من قوة ورجال وعتاد، وجهزته بعدد من المكاحل (المدافع) وساعدت جميع البلاد الشامية بأموالها وجنودها فاستطاع الأمير يشبك القضاء على هذه الثورة فى الحملة الرابعة ، وتمكن من القبض على سوار والإتيان به إلى القاهرة فصلب على باب زويلة فى سنة (٨٧٦ هـ) .

وبنيت على قمة جبل قاسيون المطل على مدينة دمشق قبة تذكارية عرفت بقبة النصر على سوار بقى بعض أطلالها إلى سنة (١٩٤١ م) فهدمتها جيوش الحلفاء فى الحرب العامة الأخيرة خوف اتخاذها علامة لضرب المواقع العسكرية .

*

وضع شمس الدين محمد بن محمود بن خليل بن أجا الحلبى قاضى الجيش فى هذه الحملة كتاباً سماه السخاوى « سفرة يشبك » وهو عبارة عن رحلة عسكرية استمرت من سنة (٨٧٥ – ٨٧٦) ابتدأت من القاهرة ومرت ببلاد الشام وانتهت إلى بلاد الإمارة الدلغادرية التى كانت تقوم على ما يسمى قديماً « بالعواصم والثغور » وقد وصف فيها المؤلف تحركات الجيش وما جرى له من شئون وكيف هزم الأمير سوار وألقى القبض عليه ، ثم يصف فيها رحلة ثانية للمؤلف قام بها من هذه البلاد إلى تبريز واجتمع هناك بالأمير حسن الطويل ووصف بلاده وبلاطه ومناظرته لعلماء السلطان المذكور وهو وصف فريد فى بابه .

اطلعت على هذا الكتاب منذ عشر سنين فى مكتبة المجمع العلمى العربى بدمشق فنسخته وحققته ثم توسعت بعد ذلك فى الدراسة فوجدت هذه الرحلة لا تحتوى غير وصف الحملة الرابعة، فأضفت لهذا الموضوع ما ينقصه من بحوث كما أضفت إليه نصوصاً كثيرة عن الحملات الثلاث التى تقدمته ، وأضفت إضافات أخرى عن الإمارة الدلغادرية التى ينسب لها سوار الثائر ووجدت الثورة لم تطفأ نارها بعد القبض على « سوار » فإن السلطان محمداً الفاتح دفع على دولت أخا شاه سوار إلى إشهار الثورة والعصيان على المماليك فعادت الدولة المملوكية تجهز الجيش تلو الجيش حتى قضت على هذه الثورة أيضاً .

وأخيراً برز السلطان العثمانى إلى الميدان وتظاهر بالعداء لدولة مصر والشام فكانت بين الدولتين معارك عديدة كان النصر فى أكثرها حليف دولة مصر ، وقد أسر فى هذه المعارك أحمد هرسك صهر السلطان محمد الفاتح وأتى به إلى القاهرة ، وشيدت بهذه المناسبة فى القاهرة بناية تذكارية نقشت عليها كتابة تاريخية تسجل أسر صهر السلطان الفاتح العثمانى .

ولا يمضى على هذه الحوادث خمس وعشرون سنة إلا ويتم فيها احتلال الشام ثم مصر من قبل السلطان سليم ، ولذلك رأيت تتميم هذه السلسلة بإضافة « كتاب تاريخ السلطان سليم خان بن السلطـــان بايزيد خان مع قانصوه الغورى سلطان مصر وأعمالها تأليف الشيخ أحمد بن زنبل الرمال المحلى » وهو كتاب شعبى طريف طبع طبعة حجرية سنة (١٢٧٨ هـ) وقد أصبح نادراً جداً ، وأضفت إلى ذلك نصوصاً كثيرة عن ابن طولون فى هذه الموضوعات ومن أجملها وأندرها وصف موكب السلطان الغورى . وأتبعت ذلك بذكر ثورة جان بردى الغزالى نائب دمشق من قبل العثمانيين وانتفاضته على العثمانيين بعد موت السلطان سليم وتولى السلطان سليمان .

وإنى أرجو أن أكون قدمت هذه البحوث خدمة لتاريخنا العربى وذللت عقبات صعابا أمام الباحثين والدارسين .

موضوعات الكتاب

المقـــدمة :

وصف كتاب « سفرة يشبك الدوادار » ، اسم هذه الرحلة ، مؤلف هذه الرحلة ، نهج تحقيق هذه الرحلة ، علاقة الشام بمصر ، العواصم والثغور ، بلاد الإمارة الدلغادرية ، تحقيق تسميتها بالدلغادرية — أو — ذى القدرية ، ملخص تاريخ هذه الأسرة .

نصوص وإضافات على الرحلة :

أول الفتنة بين الدلغادرية ودولة المماليك ، شاه سوار ، سبب ثورته ، التجريدة الأولى ، الملك الأشرف قايتباى الظاهرى ، التجريدة الثانية ، التجريدة الثالثة ، التجريدة الرابعة ، حربها مع شاه سوار ، القبض عليه ، إعدامه بالقاهرة ، حسن الطويل ودولته ، تحرشـــه ببلاد المماليك ، إرسال تجريدة لحربه ، انسحابه من حدود دولة المماليك ، تجريدة لتأديب سيف أمير آل الفضل لقتله نائب حماه ، يشبك الدوادار أمير هذه التجريدة ، طمعه فى الاستيلاء على بعض بلاد حسن الطويل وتأسيس دولة جديدة فيها ، حصاره لمدينة الرها ، قتل الأمير يشبك الدوادار وإبادة جيشه ، على دولت ، وقوع الخلاف بين دولة المماليك والدولة العثمانية ، السلطان محمد الفاتح ومساعدته الثائرين ضد دولة المماليك ، حرب المماليك مع العثمانيين وأسر أحمد هرسك ، الصلح مع السلطان العثمانى ، فتح السلطان سليم ببلاد الشام ومصر ، ثورة جان بردى الغزالى على العثمانيين بعد موت السلطان سليم ، القضاء على هذه الثورة .

*

أما ما اعترضنى من عقبات فهى تتلخص فى الأمور الآتية :

١ — عدم وجود مخطط يمتد من القاهرة إلى دمشق تحدد فيه منازل الجيش المصرى الذى خرج من القاهرة إلى حدود البلاد التركية ، وهذه المنازل

هى مراكز البريد المذكورة فى صبح الأعشى تقريباً وهى : القاهرة ، الريدانية ، سرياقوس ، بلبيس ، الخطارة ، الصالحية ،الغرابى ، قطيا ، بير العبد ، السوادة ، العريش ، الزعقة ، الخ .

٢ — الأسماء الدخيلة الواردة فى « سفرة يشبك الدوادار » وغيرها .

٣ — أسماء البلاد الواردة فى « سفرة يشبك » وغيرها ، وقد تغيرت أسماؤها ولم يعرف موضعها فى المخططات الحديثة ، أو كانت بلدة كبيرة فأصبحت قرية ليست ذات شأن فلم تذكر فى المخططات العامة .

*

لذلك فإنى أقترح الأمور الآتية :

١ — وضع معجم للأسماء الدخيلة الواردة فى كتب التاريخ العربى وخاصة فى العصر الأيوبى والمملوكى إلى آخر العهد التركى العثمانى .

٢ — وضع مخططات تاريخية للبلدان والقرى الوارده فى الكتب العربية .

٣ — وضع مخططات تاريخية للدولة المصرية فى العهود الإسلامية وما كان يتبعها من بلدان .

٤ — وضع مخططات تاريخية للدول الشامية وما كان يتبعها من بلدان . مثلا دولة مصر أيام الفاطميين كانت تشمل صقلية ، ومملكة دمشق أيام الساجوقيين كانت تشمل بلاد ديار بكر ، ودولة دمشق أيام الملك الأشرف الأيوبى كانت تمتد إلى خلاط فى قلب البلاد التركية اليوم ، ومملكة مصر والشام أيام المماليك كانت تشمل القطر المصرى والأردن وفلسطين ولبنان وقسما كبيراً من البلدان التركية وغيرها .

٥ — وضع مخطط لمراكز البريد فى العهد المملوكى يشمل جميع مراكز البريد فى المملكة المصرية وملحقاتها ، ولهذا المخطط ميزة خاصة لأنه تتبين به طرق المواصلات فى أنحاء هذه المملكة .

لبيلى الصبّاغ

— ١٥

حول تاريخ بلاد الشام

في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي

حول تاريخ بلاد الشام
فى القرن العاشر الهجرى - السادس عشر الميلادى

يركز معظم المؤرخين العرب المعاصرين بحوثهم فى التاريخ العربى الحديث على القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ضاربين صفحا عن تاريخ القرون التى سبقتهما كالقرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر ، أو ملمحين تلميحاً . ولعل الدافع لهم فى هذا الاتجاه هو تأثرهم كمواطنين عرب بالحركة القومية التى نبض بها كيان المجتمع العربى فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وبالأزمات الدولية ، والتطورات الداخلية التى عاناها هذا المجتمع فى هذه المرحلة من التاريخ فنشطوا فى دراساتهم باحثين عن الجذور التاريخية لهذه الثورة العربية الجديدة ، والتفاعلات العميقة التى ولدتها أو أحاطت بها ، وإنهم نادراً مايندفعون فى استقصائهم إلى ماوراء القرن الثانى عشر . وبذلك وقعوا فيماوقع فيه زملاء لهم فى أوربا فى مطلع عصورها الحديثة ؛ إذ انصرف أولئك — كما انصرف مؤرخونا اليوم — عن بحث العصور الوسيطة مندفعين وراء تألق النهضة الحديثة وألوانها الإبداعية الشتى ، وكرسوا جهودهم كلها للإحاطة بتلك اليقظة التى عاصروها . فقد تبدت لهم العصور الوسيطة وهم الذين يتفتحون على عالم كله جدة وحركة وحياة ، فترة ركود وجمود تصم المجتمع الأوربى الناهض آنذاك بوصمة التخاذل والضعف ، فهى من ثم لاتستحق منهم الدراسة والعناية وإنما الإهمال والنسيان .

وهكذا تخلل التاريخ العربى بل العصر الحديث ثغرات عديدة يجب ملؤها بالدراسة والبحث كيلا يبقى هذا التاريخ سلسلة متقطعة الحلقات ، ناقصة التكوين .

ومن هذه الثغرات تاريخ سوريا أو بلاد الشام فى القرن العاشر الهجرى وخاصة النصف الأول منه عندما انتقلت هذه البلاد من سلطة المماليك لتقع فى أيدى الأتراك العثمانيين وتتأقلم بنظمهم . ولا يقصد بسوريا هنا الإقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة فحسب وإنمـا بلاد الشام بحدودها الطبيعية فهذه المرحلة من تاريخ بلاد الشام مرحلة غامضة فى الأذهان عامة ، مرتبكة الأحداث وسطحية البحث فى كتب المؤرخين ، يدرسها الأتراك منهم ، المعاصرون لها كجزء من التاريح العثمانى فتبـدو هزيلة فى خضم تاريخ الإمبراطورية العثمانية الواسعة الأرجاء ، ويكتب فيها مؤرخو المماليك فتظهر مقلصة فى تلافيف سقوط الدولة المملوكية ، ويبحث فيها مؤرخو التاريخ الإسلامى فتضيع فى ثنايا هذا التاريخ العام الزاخر ، ويشـير إليها مؤرخو الفرس والمؤرخون الغربيون إشارة عابرة على أساس أن سوريا لعبت دوراً صغيراً أو كبيراً فى النزاع الذى احتدم أواره فى ذلك القرن فى هذه البقعة من العالم . وفى كل الأحوال تبدو هذه الحقبة من الزمن فى تاريخ سوريا مهتزة الصور ، مبهمة المعالم ، مع مالها من أهمية كبيرة فى مجرى تاريخ الشرق الأدنى عامة والبلاد العربية وسوريا خاصة .

فقد كانت على حد تعبير المؤرخ « توينبى » مرحلة صدام بين المجتمعين الإيرانيين المسلمين القائمين آنذاك فى كل من آسيا الصغرى وبلاد فارس انتهت بتغلب المجتمع الإيرانى السنى منهما المحتل بالدولة العثمانية على المجتمع الإيرانى الشيعى المحتل بالدولة الصفوية ، كما أسفرت عن حجب المجتمع الأخير من الامتداد غرباً والوصول إلى حوض البحر المتوسط ، وتطويقه بحيث غدا جزيرة شيعية منعزلة وسط بحر سنى لجب .

كما أنها كانت الحقبة من الزمن التى اصطرع فيها المجتمع الغربى ممثلاً بالدولة المملوكية الحاكمة فى بعض أجزائه بالمجتمع الايرانى السنى، وانتهى فيها ذاك الصراع بابتلاع المجتمع الإيرانى السنى للمجتمع العربى المتمايز عنه ، الذى كان يمتد على بلاد سوريا ومصر وشبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا ، كما أدى إلى إعادة بلاد العراق التى انفصلت عن المجتمع العربى منذ سقوط الخلافة العباسية فى بغداد بيد التتر عام ٦٥٦ هـ ، إليه أو بمعنى آخر أدى إلى إعادة الوحدة السياسية للعالم العربى اليه ثانية .

وإلى جانب ماذكر فإن هذه المرحلة التاريخية تمثل فى الواقع نهاية المطاف فى المقاومة الإيجابية التى أبداها المجتمع العربى فى سوريا ومصر ضد الأزمات العنيفة التى هزت وجوده منذ القرن السادس الهجرى . من حملات صليبية وغزوات تترية ، فبعد أن تمكن من إخراج الصليبيين من أرضه ورد التتر عنها تراخت قواه أخيراً أمام طرقات الأتراك العثمانيين فوقع فى قبضتهم ليعيش تابعاً لهم وفى إطار امبراطوريتهم لأربعة قرون كاملة .

ويلاحظ أنه فى هذا القرن تبلور اهتمام الغرب بمنطقة الشرق الأدنى عامة وسوريا خاصة ، لا على اعتبار أنها محط الأماكن المقدسة المسيحية كما نادى بذلك الصليبيون الغزاة سابقاً ؛ وإنما لأنها منطقة اقتصادية تقع على مفترق الطرق التجارية العالمية العامة : فهى ضرورية لكيان أوربا التجارى وتطورها الاقتصادى الجديد فى مطلع عصورها الحديثة. ومن ثمَّ بدأ التنافس بين الدول الأوربية للحصول على امتياز تركيز جالياتها التجارية فيها ، وأخذت تلك الجاليات بدورها تنشط فيها .

ومن هذا يستنتج أن تاريخ سوريا فى القرن العاشر للهجرة لم يكن تاريخا محليا منعزلا يرتبط بتاريخ منطقة الشرق الأوسط فحسب أو تاريخ البحر المتوسط فقط — كما نظر اليه معظم المؤرخين — بل كان تاريخاً ملتصقاً بالتاريخ العالمى لتلك الفترة الزمنية . فالفتح العثمانى مثلا لم يكن حدثاً صغيراً عابراً نجم عن صراع دينى سنى شيعى فحسب بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية ،

أو عن تناحر وتنافس بين الدولتين المملوكية والعثمانية فى هذه البقعة من العالم؛ وانما هو حدث عالمى تأتى من تفاعلات سياسية دولية أوسع مدى من نطاق الشرق الأدنى وأسهمت فى إخراجه الى حيز الوجود دول من أوربا وآسيا وأفريقيا على السواء كالبرتغال والبندقية واسبانيا وفرنسا ، ولعب فيه التطور الاقتصادى الجديد لأوربا آنذاك دوراً كبيراً الى جانب العاملين السياسى والدينى المحليين .

وكما تبدو أهمية هذه المرحلة الزمنية فى بناء التاريخ السياسى لمنطقة الشرق الأدنى وللعالم العربى فإنها تظهر واضحة فى البناء الاجتماعى والاقتصادى والإدارى والفكرى لسوريا ، هذا البناء الذى استمر مع ترميمات ضئيلة حتى وقتنا الحاضر . ففى القرن العاشر الهجرى هذا وُضعت أو ثُبتت بالأحرى الأوضاع التى عاش المجتمع العربى السورى فى ظلها أربعة قرون كاملة ولا يزال يعيش فى بعض من بقاياها حتى الآن . ولا يعنى هذا أن الأطر الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والفكرية قد أطبقت بها الدولة العثمانية المحتلة على المجتمع العربى فى سوريا فأوقفت حركته وجمدته كما يتراءى لأول وهلة ، وكما درج على القول كثيرون ممن عالجوا هذا الموضوع ، وإنما يتبين أن هذه الأحوال بغثها وسمينها قد ورثها المجتمع من ماضيه . ولم تعمل الدولة الجديدة الحاكمة سوى أنها حافظت عليها إيماناً بها بكمالها وصلاحها أو عدّلت فى بعضها لنقص رأته فيها . وفى الحقيقة ، لقد لعبت الرعية بسلبيتها تارة وإيجابيتها أخرى دوراً معيناً فى تثبيت الأوضاع العامة التى تجمد المجتمع العربى السورى فى قالبها . وإذا كان يلحظ أن سلبيتها أكثر من إيجابيتها . ولهذا وصفت دائماً مرحلة الاحتلال العثمانى للبلاد العربية الركود الحياتى — فإن هذا لا يرجع فقط — كما نحا كثير من المؤرخين — إلى الدولة الحاكمة الجديدة وإنما إلى ضعف تمكن من المجتمع فى القرون التى سبقت الفتح العثمانى ، واستفحل أمره فى العهد العثمانى نفسه ، لأن الدولة العثمانية لم تكن لتحمل معها حضارة بالغة أو نظماً مبتكرة أو قوى إبداعية ذاتية تبثها فى حنايا المجتمع العربى السورى المتهافت

على نفسه : فقد كانت وريثة لحضارات ذاوية كالحضارة البيزنطية والفارسية ؛ ومن ثم لم تتمكن من رفع مستوى المجتمع الذى ضمته إليها فى هذه المرحلة الزمنية أو فى المرحلة التى تلت .

•

وإذا كانت هذه الثغرة فى التاريخ العربى فى العصر الحديث تجتذب الباحث إليها إلا أن هناك عقبات عدة تقف عائقاً فى وجه الاستقصاء والتمحيص .

أولها :

صمت المؤرخين النسبى عند الكلام عن سوريا بالذات ، فكل من كتب فى هذا الموضوع أو حوله من المؤرخين الذين عاصروا تلك الحقبة من الزمن أو الحديثين منهم وجه دراسته لبلاد مصر على اعتبار أنها كانت آنذاك مركز الخلافة الإسلامية والمقر الأول للامبراطورية المملوكية . كابن إياس ، وابن زنبل وغيرهما . إذا تناول سوريا فبالإشارة العابرة أحياناً والسريعة أخرى ؛ وإذا حاول التفصيل فلأن ذلك مقدمة أو جزء متمم للبحث فى فتح العثمانيين لمصر وتركيز حكمهم فيها . فسوريا بالنسبة إليهم كانت فقط أرضاً اجتازها العثمانيون وضموها إلى امبراطوريتهم ليصلوا منها إلى مصر ، وإذا كانت مؤلفات ابن طولون « المؤرخ الدمشقى المعاصر ، والنعيمى ، والغزى ، والبورينى تسد فجوة كبيرة فى البحث ، إلا أن تركيز الأول والثانى بحثهما على مدينة دمشق بالذات جعل ما كتبوه محلياً بحتاً ولونهما محدوداً نسبياً ، هذا إلى أن كتب التراجم مثل « الكواكب السائرة » و« تراجم الأعيان » تتطلب دراسة عميقة ودقيقة لاستخلاص ما يجب استخلاصه من أحوال المجتمع عامة ، لأن تلك الكتب فى واقعها ، وبخاصة منها ما كتبه البورينى ، وصف غير مباشر لتلك الأحوال والأوضاع ، وإن كان وصفاً ناقصاً .

ثانيها :

عدم معرفة الباحث للغة التركيــة القديمة السائدة فى تلك الحقبة من الزمن ، تلك اللغة التى كانت مزيجاً من الكلمات الفارسية والتركية والعربية والأولى منها هى الأطغى ، ويبدو أن تلك اللغة عويصة حتى على الأتراك المثقفين منهم اليوم ككتاب « تاج التواريخ » لسعد الدين .

*

ثالثها :

عدم توافر المصادر والمراجــع المعاصرة لتلك الحقبة من الزمن بين أيدى الباحث. ولايمكن إعطاء صورة صادقة وواضحة عن ذاك العهد ، وربما تصحيح كثير من الآراء والأفكار الدارجة ، إلا باطلاع والبحث فى كل ما أنتج فيه من أدب وتاريخ وعلم وفن ، وفرمانات سلطانية ، وتنظيمات حكومية . ولابد أن هناك مؤلفات عديدة فى شتى النواحى إلا أنه على مايبدو مما جمعه « بروكلمان » وماقامت به الجامعة العربية وماكتبه « جرجى زيدان » عن إنتاج هذا القرن ، أن هذه المؤلفات مبعثرة فى مكتبات العالم ، ولم تدرس بعد الدراسة الكافية ولم تمحص كما أنه لم يحقق فيها ولم ينشر منها إلاالنزر اليسير. وقد حاولت الجامعــة العربية جمع أسماء تلك المؤلفات والحصول على صور لها ، إلا أنها لاتزال تثوى فى مكتبتها وتحتاج إلى تحقيق ونشر وبحث ودراسة .

*

رابعها :

عدم وجود أية وثائق حكوميــة عن تلك الحقبة فى بلاد الشــام بالذات تستمد منها معلومات واقعية عن مختلف التنظيمات ، ولعل هذا يرجع إلى عدم انشاء — حتى سنة مضت فقط — مكتبة للوثائق فيها أو مديرية لها تسهر على جمعها وترتيبها وتصنيفها والمحافظة عليها . مما يدفع الباحث إلى

الاعتماد على مانشره «عمر لطفى باركان» المؤرخ التركى المعاصر عن التنظيم المالى والاقتصادى فى الامبراطورية العثمانية ، وماترجمه من تلك الوثائق «مانذان وسوقاجه»،وماجمعه المؤرخ «أحمد رفيق» التركى . وماترجمه «أوربيل هيبر» من فرمانات .

خامسها :

ارتباط تاريخ هــذا القرن بالأحداث العالميــة لابأحداث محلية محدودة جعل ملاحقته فى مختلف المصادر العــربية والتركية والفارسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية . وخاصة منها تقارير قناصل البنادقة فى هذه الحقبة، ضرورياً وعسيراً وطويلا لعدم تمكن فرد واحد من الإلمام باللغات المختلفة الشتى هذا إلى وجود كثير من الكتب التى تشير إليها بعض المصادر الأجنبية فى المكتبات العربية .

•

وأمام هذه العقبات أرى من الضروري لتشجيع البحث فى هذا الميدان الهام من ميادين التاريخ العربى وتسهيله للباحث ومده بكل مايحتاج إليه من وسائل أن نعمل متضافرين لتأمين مايلى :

١ ـ أن توجه الجامعات والمعاهد أقسامها التاريخية الى بحث هذه الحقبة الزمنية من جميع النواحي وخاصة منها الناحية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بتجرد علمي بحت ، وذلك بأن تكون مواضيع بعض الرسائل الجامعية تدور حول هذه المرحلة .

٢ ـ أن تعلم فى تلك الأقسام اللغة التركية القديمة والحديثة واللغة الفارسية لطلاب التاريخ العربى الحديث ، لما لمجتمعنا فى هذا القرن من اتصال بالفرس والأتراك معاً .

٣ – أن يجرى بحث دقيق من قبل المؤرخين عن الإنتاج الفكرى والفنى لهذه الفترة التاريخية ، وأن يكلف بعضهم بزيارة مختلف مكتبات العالم للتحقق من وجود تلك المؤلفات فيها ، وأن يحصر هذا الإنتاج بمختلف مؤلفاته فى فهارس خاصة توضع فى مختلف المكتبات العربية الكبرى : وتلحق بتلك الفهارس تعريفات مختصرة لكل مؤلف من تلك المؤلفات .

٤ – العمل على تحقيق وطبع ونشر كثير من المخطوطات التى تدور بحوثها حول هذا العهد كمخطوط «تاريخ ابن طولون» وتتمة « تراجم الأعيان » للبورينى ومؤلفات « رضى الدين الحنبلى » (٩٧١ هـ) [الزبد والضرب فى تاريخ حلب] و [در الحبب فى تاريخ أعيان حلب] إلى غير ذلك من المخطوطات المبعثرة فى أنحاء العالم .

٥ – أن تجرى اتصالات منظمة بين المؤرخين الأتراك المعاصرين الذين يبحثون فى الامبراطورية العثمانية ونظمها وبين المؤرخين العرب الذين يخوضون مثل هذه البحوث فى القرن السادس عشر . وتكون هذه الاتصالات على شكل مؤتمرات صغيرة يتداول فيها ما وصل إليه الطرفان ، أو عن طريق تبادل البحوث بالمراسلة أو بطريق المجلات .

٦ – أن تنقل صور أمينة عن جميع الوثائق والفرمانات التى تخص بلاد الشام فى هذا القرن من أرشيف استامبول وأنقرة . وأن تحفظ فى مكتبة الوثائق فى الإقليم الشمالى ، وأن يعمل على ترجمتها إلى اللغة العربية لتكون فى متناول الباحث العربى .

٧ – أن تعمل دور الكتب فى الشام على ضم كل مؤلف تاريخى صدر عن تاريخ هذه الحقبة دون النظر إلى جنسية مؤلفه أو نوعيته .

٨ – أن يؤلف فهرس لجميع ما كتب حول هذا القرن فى بلاد الشام تجمع مادته من مختلف المكتبات العالمية ويضم بالطبع المخطوطات والكتب الأجنبية مهما كانت لغتها .

٩ ــ أن تزود دور الكتب فى الإقليم الشمالى بصور عن المخطوطات التى تبحث فى هذه الفترة الزمنية أو حولها سواء أكانت هــذه المخطوطات فى مكتبات الاقليم الجنوبى أو فى مكتبات العالم .

١٠ــ أن تجمع كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا هذه البقاع فى هذه المرحلة الزمنية وأن تترجم من لغاتها إلى اللغة العربية .

•

وإذا وضعت هذه الاقتراحات موضع التنفيذ فإن الباحث العربى سيجد مستنداً له وعوناً ليحقق عملا أوفى .

الدكتور نادر العطار

— ١٦

أهمية الوثائق وتاريخ الأقليم السوري

أهمية الوثائق وتاريخ الإقليم السوري

ليس هناك من شك فى القيمة العظمى التى يتمتع بها التاريخ بين العلوم الأخرى وفى أثره عليها وخصوصا على العلوم السياسية والتربية القومية. الأمر الذى حدا بالدول المتمدنة الكبرى إلى الاهتمام به على نطاق واسع فجمعت له الأصول وألفت له الموسوعات والبحوث ، وأقامت دور الوثائق وخصصت له اقساماً محترمة فى المكتبات العامة عدا المكتبات التاريخية الخاصة .

وأقدم المؤلفات التاريخية ، بالمعنى المقصود من الكلمة ، بدأت سرداً ووصفاً ، ثم انتقل الكتاب إلى التفسير والاستنتاج . واقتصروا على الناحيتين السياسية والدينية بادىء ذى بدء ، ثم انتقلوا إلى دراسة التاريخ وأسبابه من كافة النواحى الإنسانية ولما كان التاريخ صعباً بل شبه مستحيل إذا لم تتوافر الآثار والوثائق الدالة على أحداثه ووقائعه ، فقد عمد المؤرخون إلى مراجعة الوثائق الأصلية ، ومن هنا كانت أهمية الوثائق للتاريخ ، نظراً لأن الحوادث التاريخية تخرج عن نطاق التجريب كالعلوم الطبعية ، وتقتصر على عرض الماضى بشكل علمى بالاعتماد على مختلف المصادر وخصوصاً الوثائق التى هى أصول للتاريخ والتى يسبب ضياعها ارتباك المؤرخ وحيرته ، واعتماده على الاستنتاج والتخمين ، وهو فى ذلك معرض للخطأ والصواب ، والخروج على هدف التأريخ العلمى الذى يتوخى الحقيقة ويبحث عنها فى كل مكان بصرف النظر عن جميع العوامل الأخرى .

وقد انتبه الأقدمون إلى أهمية هذه الوثائق فسمعنا عن مجموعات قيمة منها فى مصر منذ العصور الغابرة ، وحدثنا المؤرخ اليهودى يوسيفوس عن مكتبة الوثائق فى مدينة صور ، أما فى أثينا فقد حفظت تلك الوثائق فى دور خاصة تدعى أرخيون Archaion ثم فى الهيكل المسمى ميترون Metroon كما اعتنى الرومان بذلك أيما اعتناء ، فخصصوا للمحفوظات أمكنة معينة ، وعينوا لها موظفين مختصين ، وحفظوا ما أمكنهم من تلك الوثائق الهامة .

أما فى العصور الحديثة فقد أقامت الدول الأوربية دور الوثائق الكبرى ، وأسست لصيانتها المدارس مثل معهد الوثائق فى باريس Ecoles des Chartes) ولترميمها وتعقيمها المشاغل الكبرى مثل مستشفى الكتاب فى روما (Clinique du Livre) وأنشأت لجمعها وحفظها وتنسيقها وترتيبها الأبنية الفنية التى تجمع بين جدرانها الوثائق الرسمية بصورة علمية من محفوظات المؤسسات العامة وإدارات الدولة والسجلات الرسمية وجميع الوثائق والقرارات والبراءات والمراسيم والمستندات الخاصة المحفوظة عند الأشخاص والأسر المختلفة . حيث تصان ، وتصنف وتفهرس وتسهل مراجعتها وتحفظ للدولة تاريخها القومى وتشكل المنبع الصحيح لماضيها بكل مظاهره ، وهكذا رأينا دور الوثائق القومية(Archives Nationales) فى فرنسا ودار المحفوظات (Record Office) فى إنكلترا وأميركا والوثائق العامة (Archives Générales) فى بلچيكا ،ودار الوثائق(Archivbauten) فى ألمانيا ألخ . . . ولم تقتصر تلك الدور على الوثائق الخطية والقرطاسية ، بل تعدتها إلى حفظ الأفلام والوثائق الصوتية والأشرطة المسجلة وكل ماله علاقة بتاريخ البلد وماضيه ، وأصدرت لها المجلات الخاصة وطبعت لها الفهارس المنتظمة ثم انتقل العمل إلى المجال الدولى فتألف مجلس الوثائق الدولى Conseil International des Archives وبدأت تصدر بإشراف اليونسكو مجلة الـ Archivum وعقدت المؤتمرات الدولية التى كان آخرها المؤتمر الرابع للوثائق الذى عقد فى استوكهولم فى ١٧ / آب — أغسطس —

سنة ١٩٦٠ حيث تم تبادل وجهات النظر فى أحدث الوسائل لصيانة المخفوظات والاعتناء بها .

ولا شك فى أن افتقار الإقليم السورى إلى دار للوثائق من هذا النوع فى الماضى جعل تاريخ هذا الإقليم سلسلة من الأحداث متقطعة الحلقات تتخللها عصور غامضة يحار المؤلف فى التأريخ لها واستنباط أحداثها ، لعدم وجود الأصول التاريخية التى توضح له السبيل وتدله على الحقيقة التاريخية ، وكثيراً ما يعتمد فى ذلك على الكتب الأجنبية ومؤلفات المستشرقين وفى الكثير منها تشويه للحقائق وتعصب على العروبة والإسلام بحيث يصعب على الباحث النزيه التسليم بها كحقائق تاريخية مجردة ، كما يصعب عليه الرجوع إلى الوثائق الأصلية التى تبين له الحق من الباطل وتجلو له ما غمض وما نقص فى المؤلفات المذكورة ، لعدم وجود دور الوثائق الخاصة بذلك فى الإقليم ، الشيء الذى أساء إلى تاريخه الحديث وسبب هذه الثغرة فى المكتبة العربية ، وأقصد وجود دراسة عربية دقيقة لتاريخ سوريا الحديث وهو ما يفتقر إليه التاريخ العربى العام حتى الآن .

تاريخ سوريا فى للقرن السادس عشر والسابع عشر مثلا ، ليس له مصدر موثوق ، ولم يؤرخ حتى الآن بالمعنى العلمى الصحيح ، وهذه الحقبة من تاريخ هذا الإقليم لا تزال غامضة على البحاثة ، فيما عدا قبسات من خلال كتابات المستشرقين وبعض وثائق الأسر الخاصة ، وبالمقابل فإن تاريخ سوريا بين سنتى ١٨٣٣ – ١٨٤٠ مدروس على أساس الوثائق المصرية المتعلقة بمراسلات محمد على وإبراهيم ، أى من جانب واحد ، بينما لم تصدر عن تلك الحقبة نفسها أية دراسه تستند على الوثائق العثمانية ، الجانب الآخر الذى يفسر ما غمض من المراسلات المذكورة ، ولكن الدراسة المومى إليها سدت على كل حال ثغرة فى التاريخ السورى وجعلت ذلك العهد أكثر وضوحاً للمؤرخ والبحاثة على السواء .

ولتلافى هذا النقص أنشئت فى الإقليم السورى (مديرية الوثائق التاريخية) التى حدد القانون أهدافها بجمع وحفظ وصيانة وترتيب الوثائق الخاصة بتاريخ هذا الإقليم وما يتعلق به فى جميع العصور ونشر ما يمكن نشره منها وتيسير دراستها على البحاثة والعلماء .

وقد بدأت المديرية المذكـــورة أعمالها منذ أيلول (سبتمبر) سنة١٩٥٩ فاتصلت بمختلف الإدارات الحكومية والشخصيات السياسية والأسر العريقة، فإذا بصعوبات جمة تعترض الطريق أولا من بعض الإدارات الحكومية التى اعتبرت أن نص القرار الصادر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومى غير ملزم لها بتسليم الوثائق التى هى فى حوزتها حتى غير اللازمة منها ، رغم أنها كانت تقوم بإتلاف هذه الأوراق أو بيعها إلى مصانع الورق لجعلها ورقا مقوى (كرتون) فى الماضى ، وقد وجدت فى جولتى الأخيرة للمحافظات السورية ، أن كميات كبيرة من الوثائق العثمانية — الهامة وبعض الوثائق عن عهد الانتداب الفرنسى فى سوريا قد أحرقت وأتلفت أو بيعت إلى معامل الورق ، ولذلك فقد التاريخ مجموعة ثمينة من المصادر ، وبعض عناصرها لا تعوض ، كما أن هناك كميات كبيرة من تلك الوثائق فى زوايا أقبية بعض دور الحكومة ومستودعاتها تعانى من التمزيق والتشويه والغبار عدا العوامل الطبيعية التى أفسدت أكثرها وشوهته كالأمطار والرطوبة والعفونة،وعدا الحشرات التى عملت فى بعضها تمزيقاً واستئصالا .

أما من ناحيةالأفراد ، فإن الشرق بصورة عامة دأب على النظر إلى الوثيقة الأصلية الصفراء القديمة نظرة إهمال وازدراء ، جعلته يتلفها ، أو يتركها عرضة لكل العوامل آنفة الذكر التى تقوم بإفسادها أو إزالتها من الوجود وعلى هذا كانت بعض وثائق الأفراد عديمة القديمة ، أما وثائق المثقفين ، والمتعلقة على الأغلب بأقربائهم المتوفين أو وثائقهم الخاصة فإنهم — يرفضون تسليمها أو بيعها أو التنازل عنها بأية صورة من الصور ، رغم أنهم يقتنعون

بأن وجود تلك الوثائق فى المديرية الخاصة بها يحفظها ويصونها ويعرضها على الباحثين ويرفع اسم الأسرة بحفظ أعمالها ومناقبها إلى الأبد مع باقى أصول تاريخ الإقليم .

أما الصعوبة الثالثة التى نواجهها فهى تبعثر الوثائق وتفرقها ، فى أرجاء الإقليم من جهة ، وفى العواصم الأوربية من جهة أخرى ، مثل باريس ولندن وڤينا واستانبول وجنوا والبندقية ومرسيليا وغيرها ، وبعض تلك الدول ترفض إمدادنا حتى بصور عن الوثائق التى فى حوزتها - لأسباب سياسية بحتة ، ومعظم تلك الوثائق دبلوماسية أو تقارير قنصلية .

وقد استطاعت مديرية الوثائق التاريخية أن تتخطى الكثير من الصعوبات وسارت قدماً فى تنفيذ الأهداف التى قامت من أجلها ولكنا على كل حال مازلنا فى مبتدأ الطريق ، وهو وعر وشاق .

* * *

وإزاء أهمية الوثائق المذكورة بالنسبة لتاريخ الإقليم السورى ، كمستندات وصكوك نزيهه فى الأعم الأغلب ، يرى المؤرخ بين ثنايا سطورها من الحقائق مايسد الثغرات الناقصة ويستكمل الحلقات المفقودة ، ورغبة فى تجنيب الطلاب والعلماء والبحاثة العرب عناء السفر إلى الغرب كلما حاول أحدهم الكتابة عن تاريخ الإقليم المذكور ، أقترح مايلى لمعالجة الصعوبات آنفة الذكر :

١ - إصدار توصية من المجلس إلى مرجعه رياسة الجمهورية بضرورة إصدار نص قانون يلزم الدوائر الحكومية فى الإقليمين على تسليم الوثائق التى لم تعد تلك الإدارات بحاجة إليها ، وعدم إتلاف أية وثيقة أو أى نوع من الأوراق إلا بعد موافقة لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق فى الإقليم صاحب العلاقة ، وذلك بعد الاتفاق على تلك الوثائق حسب كل إدارة من الإدارات.

٢ ـ استصدار نص قانونى آخر ، من رياسة الجمهورية ، بناء على توصية المجلس الأعلى يجبر الإدارات والمؤسسات العامة على ترتيب الوثائق التى تحتاج إلى الاحتفاظ بها على أساس علمى حديث ، مستعينة بأحد موظفى مديرية الوثائق إذا احتاج الأمر ، حتى يأتى وقت تسليمها إلى هذه المديرية ، وذلك لأن الكثير من هذه المؤسسات ترفض تسليم محفوظاتها القديمة نظراً لوجودها بحالة يرثى لها وعدم التمكن من تنظيفها وإعدادها لتسليمها إلى مديرية الوثائق .

يؤخذ بعين الاعتبار عند هذا التنظيم مايلى :

ا ـ المحفوظات التى يجب على الإدارة حفظها إلى أجل غير مسمى .

ب ـ المحفوظات التى يجب على الإدارة حفظها لأجل مسمى ، تنتهى حاجتها إليها بانتهائه وعندئذ يصار إلى تشكيل لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق ، لانتقاء مايلزم من هذه ـ المحفوظات ، والسماح بإتلاف الباقى .

حـ ـ المحفوظات التى يمكن تسليمها حالا إلى مديرية الوثائق .

د ـ تعين كل إدارة ترتيب الوثائق التى بحوزتها ونوعها ويضع جهازها الإدارى والقانونى نظاما لذلك تبلغ نسخة عنه إلى مديرية الوثائق وتجرى عمليات التسلم والتسليم على أساسه .

٣ ـ توصية دور الإذاعة والتلفزيون ومديرية الدعاية والأنباء (أو مصلحة الاستعلامات) بضرورة نشر الوعى عن أهمية الوثائق وضرورة الحفاظ عليها والتنبيه إلى ضرورة تسجيلها وصيانتها ، أو تسليمها إلى مديرية الوثائق بدلا من تركها إلى التلف والاهتراء والحشرات فى منازل أصحابها ، ويكون ذلك بأحاديث وبرامج فى الإذاعة والتلفزيون والمقالات العامة فى الصحف والمجلات ودور النشر وغيرها من وسائل الإعلام .

٤ — إصدار نشرات خاصة عن الوثائق المتعلقة بالكفاح الوطنى لكل من إقليمى الجمهورية .

٥ — إيفاد بعثات تدريبية قصيرة المدى إلى البلاد العريقة فى هذا الفن لموظفى الوثائق لتدريبهم — كل حسب اختصاصه — على تنسيق وترتيب وفهرسة الوثائق وتعقيمها وترميمها لأن وجود شخص واحد أو اثنين لا يكفى لتنهض الدار بأعبائها كاملة .

٦ — إيجاد مادة دراسية خاصة بالوثائق والمستندات والصكوك وأهميتها فى التأليف والمراجعة فى كل من كليتى الآداب والحقوق ، تعين الطالب فيما بعد على البحث والتنقيب ، وتخلق مؤرخين على أساس علمى ، وتوفر لمديريات الوثائق حاجتها من الموظفين لمديريات الوثائق فيما بعد .

٧ — التوصية إلى وزارة الخارجية بإجراء مفاوضات مع البلاد التى تحتفظ بقسم كبير من الوثائق المتعلقة بالإقليم السورى ، كإيطاليا وفرنسا وإنكلترا والنمسا وتركيا ، للاتفاق على تبادل أو شراء أو تصوير الوثائق المتعلقة بالإقليم ، اعتماداً على اتفاقية بروكسل المؤرخة فى ١٥ آذار — مارس سنة١٨٨٦ (المتعلقة بالتبادل الدولى للمستندات الرسمية والمطبوعات العلمية والأدبية والجريدة الرسمية والنشرات والمستندات البرلمانية) وعلى الاتفاق الدولى المؤرخ فى ٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ المتعلق بالتعاون الفكرى ، والاعتماد على الأونسكو أحياناً فى هذا الصدد وإبرام اتفاقيات خاصة عند اللزوم .

٨ — ومتى تم ذلك يؤخذ أحد الموظفين المختصين لانتقاء الوثائق اللازمة المتعلقة بالإقليم لاستنساخها أو تصويرها أو غير ذلك مما يكون قد تم الاتفاق عليه .

كل هذا يسهل الحصول على وثائق جمة القيمة ، ويحفظ لتاريخنا القومى وثائق تحتوى على معلومات هامة ، بعضها على غاية الخطورة يكشف النقاب عن أسرار نجد أنفسنا فى أشد الحاجة إليها لإدراك خفاياها السياسية الدولية والأصول التاريخية والسياسية للمطامع الأجنبية ، وفهم بعض أخطاء الماضى وتجنبها فى المستقبل ، وفى بعضها الآخر تقوية لمعنويات الجيل الجديد وإعداده بشكل قومى صالح ، عدا ما يتيحه استكمال الوثائق للبحاثة والمؤرخين من إجراء دراسات عن تاريخ الإقليم السورى وسد الثغرات التاريخية العربية ببحث ما غمض من هذا التاريخ ، وبالبدء فى تأليف الموسوعة التاريخية والمعجم التاريخى اللذين نفتقر إليهما كل الافتقار من الناحيتين القومية والدولية .

إن التاريخ اليوم لم يعد يقتصر على الحوليات والسرد والنسبة والنقل ، بل تعدى ذلك إلى الطرق العلمية التى تعتمد على التمحيص والنقد والتفسير والضبط والربط والاجتهاد وكل ذلك يستدعى وجود الأصول التاريخية ، والوثائق الأساسية التى بدونها يشك القارىء فى كل ما يراه من تاريخ مكتوب

وليس أجدر من هذا العهد المبارك باستكمال ذلك فى نطاق النهضة العلمية الكبرى التى أخذ العرب بتلابيبها ، وفى زمان أصبح فيه إيمان الجندى وتربيته القومية والتاريخية لا تقل أهمية عن سلاحه وذخيرته ، إن لم يفوقاها فى الأهمية وتقرير المصير .

الدكتور نور الدين حاطوم

— ١٧

أزمة الدراسات التاريخية والأثرية في الإقليم السوري

أزمة الدراسات التاريخية والأثرية في الإقليم السوري

يرى الباحث فى نهضة سورية الثقافية الحديثة منذ خمسين عاماً أن الدراسات التاريخية تعانى أزمة ملحوظة ما زالت آثارها ماثلة للعيان فى نقص المؤرخين وقلة المؤلفات التاريخية التى تبحث فى التاريخ العام من جهة ، وفى التاريخ العربى والتاريخ الإقليمى من جهة أخرى .

١ — قلة المؤرخين :

أما نقص المؤرخين فيمكننا أن نعزوه لعدة أسباب : منها أن الدراسات التاريخية كانت تعتبر نوعاً من ترف أو من دراسة كمالية لا يهتم بها إلا الهواة المتفرغون الذين يجدون من فراغهم ومقدرتهم المادية ما يسمح لهم بالقيام بهذه الدراسات التى هى هامة ومفيدة فى آن واحد لا سيما وأن التاريخ يتمتع بحظوة خاصة فى جميع الأوساط .

ومما لا شك فيه أن النهضة الثقافية التى قامت فى سورية منذ أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن قد تناولت التاريخ كما تناولت غيره من الدراسات الإنسانية . ونشأت نتيجة ذلك طبقة من المؤرخين مخضرمة جمعت بين الثقافة التقليدية الاتباعية والثقافة الحديثة وحاولت بجهدها أن تنتج آثاراً تبحث فى تاريخ سورية من القديم إلى الحديث ، أو فى تاريخ بعض البلدان السورية .

ولكن هذه الطبقة لم يبق منها إلا نفر قليل . ومن الواجب أن نعترف بفضلها وبالمجهود العلمى الذى قدمته ؛ لأنها كانت فى الحقيقة صلة الوصل

بين مؤرخينا القدامى ومؤرخينا المحدثين ، ولأن الأعمال التى قامت بها يمكن أن تعتبر نقطة انطلاق للدراسات التاريخية الحديثة .

ومن هذه الأسباب أيضاً أنه لم يكن فى سورية فى العهد العثمانى أو فى ظل الانتداب الفرنسى كلية للآداب تعنى بالتاريخ وتعد الشبيبة المحبة له الإعداد الكافى للعمل فى الحقل التاريخى .

وأخيراً أن البعوث العلمية التى كانت توفدها الدولة السورية للخارج كانت تتجه فى الغالب نحو الجامعات الفرنسية لتحضير الليسانس فى الآداب (قسم التاريخ والجغرافيا) بغية تدريس هاتين المادتين فى المدارس الثانوية ، وإذا عرفنا الشروط الصعبة التى كانت توفد فيها المبعوث ، وقلة المدارس الثانوية فى سورية آنذاك ، أمكنا أن ندرك قلة مدرسى التاريخ ، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء المدرسين كانت تشغلهم أعمالهم التدريسية فلا تترك لهم مجالا واسعاً من الوقت يجعلهم يتطلعون إلى القيام بعمل تاريخى رصين ؛ ولذا كانت المؤلفات التاريخية التى صدرت عنهم خاصة بالمدارس الثانوية .

أما البعوث الخاصة القائمة على التشبثات الفردية والغواية الشخصية فلم تكن موجودة فى حقل التاريخ ، وإذا وجدت كانت فى حكم النادر ، لأنها كانت تعتبر بمثابة خروج على إرادة الأهل الذين يفضلون أن يوفدوا أبناءهم لتحضير الدكتوراه فى الطب أو الدكتوراه فى الحقوق لأن التخصص فى هذين العلمين يدر على الطبيب أو المحامى أرباحاً طائلة من تعاطى المهنة ومن التدريس فى كليتى الطب والحقوق وهما الكليتان الوحيدتان اللتان كانت تضمهما الجامعة السورية (جامعة دمشق بعد الوحدة) فى عهد الانتداب الفرنسى . أما الدكاترة فى الآداب الذين تخرجوا فى جامعات الغرب فقلة وأقل من ذلك وأندر الدكاترة فى التاريخ .

وظلت حال البعوث العلمية على هذا النحو إلى أن بدأ الحكم الفرنسى فى البلاد يتراخى تحت تأثير المقاومة الوطنية وضغط الظروف الدولية ، وأصبح

بالإمكان التفاهم بين قادة البلاد وسلطة الانتداب وتسلم الزعماء الوطنيين زمام الأمر، ولو بصورة مقيدة ، منذ عام ١٩٣٦ الى أن تم جلاء القوات الفرنسية أخيراً عن سورية ونعمت البلاد بالاستقلال .

ولقد أدركت الحكومات الوطنية المتعاقبة حاجة البلاد إلى الاختصاصيين فى مختلف فروع العلوم والآداب فأكثرت من البعوث ، وحاولت فى هذه المرة أن توجهها حسب الوجهة التى تريدها الى القاهرة والى الجامعات الأجنبية التى تثق بقوة تعليمها أو تخصصها من غربية وشرقية .

ووجد فى ديار الغرب ولاسيما فى الجامعات الفرنسية نفر من الطلاب لم يتمكنوا من العودة لبلادهم فى أثناء الحرب العالمية الثانية فلبثوا حيث هم وأفادوا من إقامتهم الطويلة ومواظبتهم على الدراسة الجامعية والقيام بالبحوث العلمية خبرة واسعة ، وتمكنوا من تحضير الدكتوراه والاضطلاع بمادتهم ومزاولة البحث التاريخى والتأليف فيه .

وبعد الحرب وضعت على بساط البحث قضية توسيع جامعة دمشق بكليات الآداب والعلوم والمعهد العالى للمعلمين (كلية التربية حديثاً) والهندسة لتزويد البلاد بالاختصاصيين والمدرسين . وضمت كلية الآداب فى هذا العهد قسما للتاريخ يجهز الطلاب بالثقافة التاريخية الضرورية ويعودهم على البحث العلمى ويؤهلهم لنوال الليسانس فى الآداب (قسم التاريخ) ويحبب إليهم العمل التاريخى .

وقد احتضن قسم التاريخ ، عند افتتاح كلية الآداب عدداً من الدكاترة ممن تخصصوا فى الغرب ويبشرون بالنتاج العلمى الرصين ، ولكن ما لبث عقد هؤلاء الدكاترة أن انفرط بعد أن استدعتهم وظائف أخرى فى الدولة فلبوا نداءها وأصبحوا عن العمل التاريخى فى شغل شاغل ، أو استهواهم العمل فى الجامعات الأجنبية فغادروا البلاد دون ما أمل بالعودة ، وخسر قسم التاريخ

من افتقاد هؤلاء وأولئك خسارة لا تعوض بسهولة ويسر ، وآلت به الحال إلى أن أصبح يضم فى الوقت الحاضر أستاذاً للتاريخ الحديث ومدرساً للتاريخ الإسلامى .

وحاول القسم سداً للعوز أن يستعين بالأساتذة الاختصاصيين العرب من غير أبناء الجمهورية وبالأساتذة المحاضرين وتكليف هؤلاء بساعات تدريسية إضافية إلى عملهم الوظيفى خارج الجامعة ، وهؤلاء على ما يتمتعون به من مؤهلات علمية وخبرة ونشاط لا يستطيعون التفرغ إلى العمل التـــدريسى والتأليف التاريخى نظراً لتعلقهم بوظائفهم الأساسية واستيعاب هذه الوظائف أكثر وقتهم وجهدهم .

كما حاول القسم أيضاً الإعلان عن الوظائف الشاغرة لضم أكبر عدد من الاختصاصيين بغية التدريس أو الانقطاع للتأليف علماً منه بأن جو الجامعة أكثر ملاءمة لهذه الأعمال من غيره .

وبالرغم من هذه الصعوبات المختلفة التى يعانيها قسم التاريخ فى الحاضر فإن المستقبل يبشر بإقبال المؤرخين ممن يعدون حالياً فى جامعة القاهرة وجامعة عين شمس ومعهد الدراسات العربية العالية والجامعات الأجنبية الأوربيـــة والأمريكية ، ولكن يجب أن ننتظر بضع سنين أخر لضم هذا الجيل الصاعد إلى القسم .

٢ — التأليف التاريخى :

لقد تضافرت هذه العوامل الآنفة الذكر وأدت إلى قلة المؤرخين بل وإلى ندرتهم أيضاً . ولا شك فى أن نقص العنصر البشرى هذا أدى إلى نقص آخر وهو نقص المؤلفات التاريخية التى تعالج القضايا التاريخية عامة والتاريخ العربى والإسلامى والإقليمى بصورة خاصة . وإلى الآن ما زالت المكتبة التاريخية فى سورية تضم عدداً محدوداً جداً من المؤلفات التاريخية للمؤلفين السوريين ،

أضف إلى ذلك أن نوعية بعض هذه المؤلفات ليست على درجة من عمق البحث وقوة الطريقة التى تجعلها فى مصاف المؤلفات التاريخية العالمية، وما زلنا نشكو إلى الآن من عدم وجود سلسلة تاريخية كبرى تتضمن تاريخ سورية منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر بحيث يصح أن تعتبر مرجعاً أساسياً لكل باحث . وكل ما بين أيدينا إنما هو كتب مقتضبة أو كتب معربة عن كتب أجنبية غير وافية بالغرض أو كتب تتناول ناحية معينة بالذات كأن تكون ناحية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دبلوماسية إلى آخره ، أو كتب تبحث فى تاريخ فترة قصيرة أو رسائل عن قضية من القضايا لمؤلفين سوريين قدمت إلى جامعة من الجامعات لنوال درجة الدكتوراه أو الماجستير . والطابع العام لهذه المؤلفات هو أنها غير متكاملة مع بعضها ، إذ ما زالت هنالك ثغرات كبيرة ، بل وفترات زمنيــة طويلة نجهل منها الشيء الكثير ، وكل ما نعرفه عنها إنما هو معرفة يسيرة نستشفها فى الغالب خلال المؤلفات الأجنبية من كتب الرحلات وغيرها .

ومن هنا نرى الضرورة الماسة إلى تأليف تاريخ عام لسورية يعرفنا بمختلف التطورات التى مر بها الإقليم عبر العصور التاريخية . وتنفيذ هــذا التاريخ يتطلب أولا وجود المؤرخين الاختصاصيين ، وثانيا تعاونهم على إخراجه بنظرة سورية عربية ، وإذا ألححنا على هــذه النظرة فذلك لأن المؤلفات التى تبحث فى تاريخ سورية ولا سيما الأجنبية منها كثيرا ما ألفت خدمة لوجهة نظر خاصة أو مصلحة معينة أو منفعة ذاتية ، أى أنها كتبت بروح مغرضة . يضاف إلى ذلك أن المؤلفين الأجانب تغيب عنهم أمور كثيرة من أخلاق البلاد وعاداتها وأعرافها ونزعاتها وطبيعة لغتها ، فيلجئون إلى تفسير هذه الظاهرات الاجتماعية تفسيراً خاطئاً ، إن لم يكن مقصودا . وهذا مايقتضى منا إجراء التصحيحات اللازمة لهذه الأخطاء الأجنبية بتآليف تظهر وجهة نظرنا وتعليلنا للحوادث تعليلا مستمدا من واقع حياتنا .

٣ — المكتبة التاريخية :

هذا ولا يغرب عن البال أن مثل هذا التأليف التاريخي يحتاج إلى وسائل عمل كافية توضع تحت تصرف المؤرخين للقيام بالبحوث . والمكتبة العامة في دمشق ومكتبة الجامعة ما زالتا تفتقران إلى العديد من المصادر المختلفة المبعثرة في مكتبات أوربة ، أو في دكاكين الوراقين وباعة الكتب والخزائن الخاصة ، هذا بالإضافة إلى الوثائق التي تحاول وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الإقليم جمعها في مديرية الوثائق المنشأة حديثاً .

واقتناء وسائل العمل هذه يتطلب جهوداً متضامنة من نواحي مختلفة، ومثل هذه الجهود لمّا تبذل بعـــد ، ولما يرسم لها أي تخطيط ، فضلا عن الاعتمادات الضئيلة التي تخصص غالبا لشراء الكتب الحديثة دون الاهتمام في البحث عن أمهات الكتب والمصادر القديمة الضرورية ، والعقبات المالية والشكليات الرسمية المختلفة وما إلى ذلك من روتين قرطاسي ،وغني عن البيان أن نقول إن الباحث المتعمق يصدم لأول وهلة بهذا النقص، في المصادر ولا يجد حلا مباشرا حتى ولو حاول ذلك . فقد يقع أن دراستنا تضطرنا بين حين وآخر إلى زيارة مكتبتي الجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية في بيروت لا لاستكمال المصادر التي نجدها في مكتبات دمشق ، بل للبحث عن هذه المصادر بالذات التي هي موفورة ومعدة في المكتبتين السالفتين . ولكن مثل هذه الزيارة إن جاد بها الزمان مرة فقد لا يجود بها إلا بمقدار نظرا للصعوبات والعقبات التي تصنعها الإدارة في وجه المسافرين إلى بيروت حتى ولو كان هذا السفر في طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، ولا شك في أن كل هذة العوامل مجتمعة تعمل على عرقلة البحث إن لم تحذفه تماماً وتحلْ دون إنتاج الأثر العلمي الأصيل .

٤ ـــ قلة الآثاريين :

وإذا كانت هذه حال الدراسات التاريخية ، فليست الدراســـات الأثرية بأحسن منها وضعاً ، وذلك لأن تدريس الآثار غير موجود بعد ، وإعداد الآثاريين الاختصاصيين الضروريين للبلاد مازال فى حيز الإعداد الضئيل إن لم يكن فى حيز العدم . وكلية الآداب فى جامعة دمشق لا تضم قسما خاصا بالآثار . والدراسات الأثرية لا تأتى فى قسم التاريخ إلا عرضاً أو مساعداً ، هذا مع العلم بأن سورية لا تجمع إلا نفرا قليلا من الآثاريين والمهتمين بالدراسات الأثرية ، على الرغم من خصب الأرض السورية بالآثار المتنوعة التى خلفتها العصور التاريخية ، والبحوث الأثرية وأعمال الحفريات والتنقيب عن الآثار والتفاسير الضرورية للمكتشفات الأثرية وما إلى ذلك من تقارير أولية مازالت عالة على الآثاريين والباحثين الأجانب ممن تستعين بهم المديرية العامة للآثار والمتاحف . والحق يقال إن جهود هذه المؤسسة ممثلة فى شخص مديرها وأعضائها لتستحق كل ثناء وتقدير وإعجاب .

ولكن القضية التى توضع بالنسبة إلينا هى إعداد الآثاريين السوريين بحيث يتوافرون فى البلاد لدرجة تسمح فى يوم من الأيام بالاستقلال الذاتى والاستغناء عن الأجانب كهدف أساسى ،ولقد آن لإقليمنا السورى أن يتحرر من وصاية الأجانب والاتكال عليهم فى كل شىء ليكون لنا آثاريونا الذين نفتخر بهم وبتنقيباتهم ومؤلفاتهم كما يعتز إقليمنا المصرى بالنخبة المختارة من آثارييه ونشاركه بهذا الاعتزاز نحن أبناء الاقليم السورى .

•

ونعتقد بعد هذا أن من حقنا أن نقترح إعداد طبقة من الآثاريين السوريين ، فى جامعات الإقليم المصرى وفى الجامعات الأجنبية ، مستكملين

لجميع الشروط الضرورية التي تؤهلهم للقيام بما يأتي :

١ ـ التدريس في قسم خاص بالآثار ينشأ في كلية الآداب بجامعة دمشق لهذا الغرض ويجهز بوسائل العمل الكافية .

٢ ـ القيام بأعمال التنقيب للكشف عن الحضارات القديمة في سورية .

٣ ـ إعداد طبقة من المشتغلين بالآثار على أيديهم .

٤ ـ القيام مع أعضاء قسم التاريخ بالدراسات التاريخية والأثرية التي تكشف النقاب عن ماضي الإقليم،وتمد المكتبة التاريخية والأثرية بالبحوث العلمية التي يصح أن تتخذ مرجعاً للباحثين.

*

ولا يخفى أن دراسة التاريخ القديم والآثار تتطلب من المختصين بها معرفة باللغات القديمة ، ومثل هذه المعرفة ما زالت تنقص المشتغلين بالآثار عندنا من أبناء الإقليم . ولما ينشأ بعد في كلية الآداب قسم خاص باللغات القديمة والدراسات الكلاسيكية . ونرى أن إنشاء مثل هذا القسم ضروري للأسباب الآتية :

١ ـ تزويد المؤسسات الأثرية بالمختصين باللغات القديمة والدراسات القديمة .

٢ ـ تجهيز الأقسام الأخرى بكلية الآداب بالمدرسين الأكفاء لتعليم هذه اللغات والدراسات القديمة حسبما تتطلبه مناهج الدراسات الحديثة .

٣ ـ القيام بالدراسات الإنسانية واللغوية المقارنة التي تفتقر إليها أكثر الأقسام في كلية الآداب .

*

هذه بالجملة أسباب الأزمة التى تعانيها الدراسات التاريخية والأثرية فى الإقليم السورى . ونعتقد أن حل هذه الأزمة منوط بالتسهيلات وتهيئة الوسائل الملائمة التى يجب على المؤسسات العلمية المعنية أن توفرها للعمل التاريخى والأثرى ، وذلك يكون بما يلى :

١ ـ إعداد المؤرخين والآثاريين حسب الخطة التى قدمتها لجنة التاريخ والآثار فى الإقليم السورى إلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وأقرتها شعبة العلوم الاجتماعية فى هذا المجلس وقدمت بها مذكرات إلى الجهات ذات العلاقة .

٢ ـ العمل على إنشاء قسم خاص للآثار فى كلية الآداب بجامعة دمشق وتجهيزه بما يلزم من وسائل العمل .

٣ ـ العمل على إنشاء قسم خاص باللغات والدراسات الكلاسيكية وإعداد جهازه التعليمى ووسائل عمله قبل تأسيسه .

٤ ـ العمل على إنشاء قسم خاص باللغة الألمانية ومثله للأسبانية والروسية والشرقية لتزويد طلاب قسمى التاريخ والآثار باللغات الحية التى تتطلبها طبيعة الدراسة ، هذا فضلا عن ضرورة إنشاء هذه الأقسام نظراً لحاجة البلاد إليها .

٥ ـ العمل على إنشاء مكتبة خاصة بالتاريخ والآثار وتجهيزها بالمصادر الكافية التى تسهل على الباحثين والدراسين أعمالهم فى البحث والدرس والتأليف

•

ونرى بعد هذا أن أزمـــة الدراسات التاريخية والأثرية ستحل من نفسها وأن الإنتاج فى هذا الحقل سيكون خصيباً وطيبا ، وأن العمل التاريخى سيؤدى رسالته .

١٨ — الدكتور علاء الدين الخاني

استكمال التأهيل العلمي لمدرسي التاريخ

استكمال التأهيل العلمي لمدرسي التاريخ (١)

ليس فى مدارس الإقليم السورى الإعدادية والثانوية معضلة خاصة بالمؤهل العلمى لمدرسى التاريخ إذ أن جلهم يحمل الإجازة فى التاريخ من الجامعات العربية أو الأجنبية . حتى أن وزارة التربية والتعليم بدمشق اكتفت منذ العام ١٩٥٩ بما لديها من مدرسات ولم تعلن عن مسابقة لوظائف جديدة لهن فى مادة التاريخ . إلا أن الموضوع الذى يشغلنا ويشكل بحثنا هنا هو استكمال هذا التأهيل العلمى وتجديده ليكون مدرس التاريخ ذا ثقافة تاريخية كافية ومتكاملة تساعده على تأدية مهمته التعليمية خير أداء وتفسح له مجال التتبع والتقصى والبحث .

ولانتعرض هنا للتأهيل التربوى لأن إدارة التدريب فى وزارة التربية والتعليم تعنى به حاليا ، كما لا نتعرض لمدرسى التاريخ غير الاختصاصيين وأكثرهم من حملة الإجازة فى الحقوق،لأن هذه الوزارة تعمل على الانتفاع بهم فى مجالات أخرى كالإدارة وغيرها .

فهدفنا إذن استكمال الثقافة التى يتلقاها مدرسو التاريخ فى جامعاتهم وتجديدها وتنمية شغف المطالعة والتتبع والبحث ، وإذكاء الوجدان والحياد العمليين .

أولا — الواقع العلمى لمدرسى التاريخ

١ — التكون الجامعى :

يتلقى طلاب التاريخ الاختصاص فى الجامعات على مدى أربع سنوات، ويتزودون خلالها بالمعلومات عن التاريخ القديم ، والتاريخ الوسيط ، وتاريخ العرب والإسلام ، وتاريخ العصور الحديثة ، وتاريخ العرب الحديث ، ومنهج البحث التاريخى . ويقومون بتمارين فى القراءات التاريخية وتفسير النصوص الأجنبية . وكان خريجو كلية الآداب بدمشق إلى وقت قريب يقدمون بنهاية عامهم الجامعى الرابع بحثا يؤلفونه ويحصلون بنتيجته على درجات تفيدهم فى نجاحهم الأخير ، ثم ألغى هذا النظام منذ العام ١٩٦٠ .

إلا أن الواقع ، وهذا من صلب النظام الجامعى ، يظهر لنا ما يلى :

أن طالب التاريخ القديم مثلا لا يتلقى تاريخ الشعوب القديمة كلها، بل ولا تاريخ الشرق القديم بكامله وإنما يتلقى بحوثاً من التاريخ القديم : بحوثاً عن أمم دون أخرى وعن حضارات دون حضارات أخرى ، وتترك له البحوث الباقية لدراستها بوسائله الخاصة . ذلك أن الجامعة لايعترض فيها ، ولابد ، أن تعطى طالب الآداب جميع البحوث التى تدخل فى دائرة اختصاصه ، بل تقدم له نماذج عنها ، وفيرة أحياناً يستفيد منها فى السير على منوالها فى دراساته الشخصية .

ولكن يصدف غالبا أن الطالب لايدرس مطلقا هذه المواد التى تركت له أو يدرسها بصورة سريعة ،وإن درسها فإنه فى بعض الأحيان يدرسها فى كتب ومؤلفات لايطمئن إليها العلم التاريخى .

فينجم عن ذلك أن خريجى قسم التاريخ عندما يصبح مدرسا يحمل ثقافة اختصاصه معهود إليه أمر استكمال الناقص منها ، ويحمل ثقافة جامعية فى بعض البحوث الهامة متروك اليه أمر تنميتها ، بالإضافة إلى أنه يلاقى أبحاثاً

مستجدة يلزم عليه دراستها . وهذه الفجوات فى دراسته التاريخية يظهر أثرها فى ممارسة مهمته التعليمية إنلم يتداركها بالدراسة ، وتصبح هذه الفجوات خطيرة جداً إن كانت تتعلق بتاريخ الوطن المحلى بصورة خاصة أو تاريخ الوطن العربى الكبير عامة والتاريخ العام بصورة أعم .

هذا من حيث التكون الجامعى العلمى ، أما من حيث اكتساب ملكة المطالعة والبحث ، والوجدان العلمى ، أثناء الدراسة الجامعية ، فإننا لانشك فى ذلك قط ، إد أن النظم الجامعية تلحظ تنمية روح المطالعة والبحث لدى الطلاب والتقيد بالوجدان العلمى والحياد التام فى تعليل حوادث التاريخ . ولكن الواقع يظهر لنا بالنسبة لوسائل الدراسة عند الطلاب ، إن هؤلاء يعنون أول ما يعنون بدراسة الكتب ومذكرات الأساتذة التى يفحصون بها دون غيرها ، ولايميلون إلى قراءة المؤلفات الأخرى أوالكتب التى لاتدخل بحوثها فى مواد فحوصهم . وقد تكون هذه البحوث هامة جداً والمؤلفات ذات قيمة علمية عالية ، فيفقد الطالب فائدة الاطلاع عليها وتبقى ثقافته محدودة بالمعلومات الجامعية .

هب أن طالباً لم يطلع على كتاب التاريخ للطبرى أو لابن الأثير ولم يقرأ كتاباً فى الحروب الصليبية أو فى الحضارة العربية ، أو اليقظة العربية فى القرن العشرين ، ولم يعرف كتاب خطط الشام للأستاذ كرد على ، وكتب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى وغيره ، ولم يقرأ كتاباً فى الثورة الفرنسية أو فى النظم الاقتصادية الكبرى . . . الخ ، فكيف نطمئن إلى ثقافته التاريخية وإلى تمكنه من مادته التى سيصبح مدرساً فيها ؟

فالجامعة ، فى هذه الناحية ، مدعوة إلى العناية بكتب المطالعة والترغيب فيها ، وهى مهما ألحت على طالب التاريخ فى قراءة أمثال هذه الكتب بل وسألته أثناء الفحوص عن دراسته لها فهى لاتبالغ فى ذلك ولاتشتد عليه . وهى أيضاً مهما اهتمت بتدريب الطالب على الإنشاء التاريخى وجمع الوثائق والمصادر

لاتكن قد خرجت عن مهامها ، إذ أن اكتساب الطالب روح البحث وطريقة الدراسة وملكة الكتابة التاريخية يوازى تماما التدريس الجامعى النظرى بل يدعمه ويوصله إلى الغاية المنشودة ، وإذا كانت المعاهد الأمريكية تبالغ بعض المبالغة فى هذه الناحية فمن الممكن اتخاذ موقف وسط يؤمن الفائدة التى نبغيها .

ويجب ألا يغرب عن البال أن معرفة الطالب الجامعى باللغة الأجنبية ضعيفة أشد الضعف . ولا نرغب هنا فى أن نقدم أمثلة على ذلك ولكننا نكتفى بالقول بأنها لاتحقق الغرض المرجو منها . والخريج الجامعى الذى لايتقن لغة أجنبية حية هامة يبقى فاقدا وسيلة رئيسية من وسائل الثقافة التاريخية لايعوض عنها نشاط حركة الترجمة . والمسئولية فى هذا الضعف لاتقع وحدها على الجامعة بل تشترك فيها المدرسة الثانوية وقبل الثانوية . فهل يستطيع المدرس أن يرقى إلى مستوى مهمته واختصاصه إن بقى غريباً عن المصادر والمؤلفات والبحوث الأجنبية ؟

•

٢ — المطالعة والدراسة بعد التخرج الجامعى

إن وسائل المطالعة والتتبع أصبحت متيسرة فى الوقت الحاضر أكثر من ذى قبل ، وهى سائرة فى ازدياد مستمر . فدور النشر تعيد طبع عدد من الكتب التاريخية العربية الكبرى وتصدر مؤلفات قيمة فى كثير من الموضوعات وتنشر كتباً ثمينة مترجمة عن اللغات الأجنبية ، وأصبحت المكتبة العربية غنية بالكتب التاريخية على تنوع موضوعاتها . ولكن المطالعة والدراسة عند المدرسين لا تبلغ الحد الذى نرغب به . وقد يكون للتكون الجامعى أثر فى ذلك ، ولا سيا بالنسبة للغة الأجنبية ، إذ أن ضعف المدرسين فى اللغة الأجنبية أدى بهم مما أدى إلى ضعف هواية المطالعة والدراسة بعد التخرج الجامعى ، ولكن ليس للتكون الجامعى كل الأثر فى ذلك ، فهنالك أسباب أخرى سنتطرق لمعالجة

بعضها فى هذا البحث . والشيء الملاحظ عند جمهور المدرسين أن عدداً منهم يجعل اهتمامه بالمطالعة والدراسة أمر ثانوياً بالنسبة لمشاغله الأخرى ، بل إن بعضهم يكتفى بالثقافة التى تلقاها فى أثناء الدراسة الجامعية ويستذكر معلوماته قبل إعطاء الدرس من الكتاب المدرسى . وهذا الأمر يصبح خطيراً جداً إذا نظرنا إلى أننا نضطر فى بعض الأحيان إلى الاستعانة ببعض هؤلاء لتقويم الكتاب المدرسى أو لتدقيق الكتاب المقدم للمسابقة وما هو مهم جداً هو أن بعض هؤلاء المدرسين قد يعجز عن ملاحظة خطأ وارد فى الكتاب أو تصحيح فكرة شخصية واردة فيه أو بعيدة عن الصحة التاريخية .

ولا يعم هذا القول جميع المدرسين إذ أن هنالك عدداً منهم عرف بالدراسة الحثيثة والدأب على المطالعة بل والتتبع والتأليف . وقد برز أثرهم فى المؤتمر التوجيهى لمدرسى العلوم الاجتماعية الذى أقامته إدارة التدريب لوزارة التربية والتعليم فى منتصف العام الدراسى السابق . ويتصف مدرسو التاريخ بصورة عامة فى الإقليم السورى باتساع الثقافة العامة وحسن التعبير ووضوح التفكير .

•

٣ — التتبع والتأليف التاريخى وحيازة المكتبة الشخصية :

إن روح التتبع والتأليف التاريخى ما تزال ضعيفة فى جمهرة المدرسين . وأسباب ذلك كثيرة منها انهماكهم بمهمتهم التعليمية وقصر العطلة الصيفية وعدم اهتمامهم بالمكتبة الشخصية وبتغذيتها بالكتب الهامة ... الخ . والمكتبة الشخصية ذات أثر كبير فى تنمية حب المطالعة والدرس والتتبع وهى جليلة الفائدة للمدرس .

ينجم عن ذلك ضآلة الاتجاه العلمى لدى أغلب المدرسين وضعف الرغبة الحقيقية فى متابعة الدراسة والتقصى والتنقيب . فكأن الإجازة فى التاريخ قد حققت غايتها بحصول صاحبها على الوظيفة . ولا ننكر أن لدينا عدداً من

المدرسين يقوم حالياً بالتأليف المدرسى إلا أن أغلب هذا التأليف تنقصه الأصالة والتحريات الجدية ، بل يتأثر عامة بالكتب المدرسية الأخرى الأجنبية أو العربية . هذا مع اعترافنا بأنه صدر فى الإقليم السورى عدد من الكتب المدرسية القيمة جداً، الأصيلة . إلا أن معظم أصحابها انتقلوا إلى جامعة دمشق ودوائر الدولة الأخرى وفقدهم التعليم الثانوى .

وإن من أسباب ضعف الحركة العلمية لدى مدرسى التاريخ عدم وجود جمعيات تاريخية فى الإقليم ، ومكتبات عامة غنية بكتب التاريخ ، ومجلات تاريخية ... الخ .

ولسنا نبالغ فى إلحاحنا بتوجيه المدرسين إلى وجوب العناية بالتتبع العلمى ، إذ أن معظم مناطقنا ذات ماضٍ تاريخى عريق ، تشجع المدرسين على القيام بدراسات محلية جزيلة الفائدة .

*

ينتج مما ذكرنا عن واقع مدرسى التاريخ أن معظمهم اختصاصيون فى مادتهم . ينتقون خير انتقاء ، لا تنقصهم الرغبة الحسنة فى الاطلاع والدراسة والاستزادة من الثقافة المسلكية . إلا أن الظروف الحالية التى هم فيها تجعلهم بصورة عامة أقل تمكناً بمادتهم من أقرانهم فى البلدان الأجنبية الراقية وإن كانوا يستطيعون أن يبزوهم لو أتيحت لهم الشروط الثقافية والعلمية المتوفرة لهؤلاء . وهنالك حلول وتدابير عديدة تساعد على خلق الجو العلمى لدى المدرسين والسير بهم نحو إنماء ثقافتهم التاريخية . ولا نتعرض هنا إلا إلى ما يخص وزارة التربية والتعليم ، تاركين بعض الحلول التى تتعلق بالجامعة وغيرها إلى التوصيات التى سنوردها بآخر هذا المقال .

ثانياً — الحلول والتدابير

يمكن استكمال الثقافة التاريخية لمدرسي التاريخ وتنميتها ، فيما يخص وزارة التربية والتعليم ، بالحلول والتدابير الآتية ، وهي تتضمن مجموعة من التوجيهات الفنية والتدابير الإدارية :

١ — التوجيهات الفنية :

توجه وزارة التربية والتعليم إلى مدرسي التاريخ عددا من البلاغات التوجيهية تتعلق بالنواحي التالية :

— لزوم تهيئة الدروس التي سيعطيها المدرس ، في كتب أوسع ثقافة وأكثر تفصيلا من الكتب المدرسية

— لزوم العناية التامة بدراسة تاريخ الجمهورية العربية المتحدة ، خاصة ، وتاريخ الأمة العربية عامة ، وذلك في جميع فترات التاريخ : القديم والعربي الإسلامي والحديث وفي التاريخ الحضاري إلى جانب التاريخ السياسي ، على ألا تقتصر هذه الدراسة على المؤلفات القديمة بل تشمل مايستجد من بحوث وألا تقتصر على مايؤلف باللغة العربية بل تشمل مايؤلف باللغة الأجنبية .

— لزوم الاطلاع الكافي على التاريخ العام ، تاريخ الإنسانية في مختلف العصور ، والانتباه إلى الترابط المشترك بين أحداث العالم وإلى الأثر المتبادل فيما بينها .

— لزوم العناية بدراسة القضايا الدينية المعاصرة والقوة الاستعمارية التي تتألب على الوطن العربي .

— سؤال المدرسين عن الموضوعات العامة التي يودون استكمال ثقافتهم التاريخية بها أو تنميتها ، فتبعث إليهم الوزارة بقائمة بالكتب العربية والأجنبية عنها .

— لزوم الاهتمام بتنمية المعرفة بإحدى اللغات الأجنبية والتدرب على ترجمة بعض المقالات التاريخية عنها .

– تنبيه المدرسين إلى أن الثقافة التاريخية النامية تساعدهم على كشف الأخطاء التي قد ترد في الكتاب المدرسي بسبب الطباعة أو سهو المؤلف فيعمل على تصحيحها . كما تساعده على حسن أداء الدرس وحسن التصرف بعرضه .

إن المدرس الواسع الاطلاع يستطيع التوفيق بين الاتجاهات السياسية والقومية المعاصرة وبين ظروف الأحداث التاريخية والأسس التي قامت عليها، مثال على ذلك : ننبذ نحن العرب ، فكرة الاستعمار والسيطرة الاستعمارية . فبحث المدرس في التوسع الفينيقي الذي هو صورة فذة عن نشاط أبناء وطننا القدماء يجب مع ذلك ، أن يأخذ شكلا ينسجم مع تفكيرنا فلا نعرضه على الطلاب بشكل يعطيه صورة الاستغلال والاستثمار .

مثال آخر : ذكرى الحركة العربية ، في أوائل هذا القرن وتمجيد رجالها وشهدائها وقادة الثورة العربية ، عزيزة على نفوسنا ، إلا أن انحراف أنجال الشريف حسين عن مبادىء الثورة وتعاون بعض قادتها مع الاستعمار يجب ألا يفسد على الأجيال ذكراها . فالمدرس الواثق من ثقافته يستطيع أن يوفق بين كل ذلك فيوضح انحراف الثورة فيما بعد وخروج بعض رجالها عن أهدافها السامية .

مثال ثالث : إن إعجابنا بالحضارة الهلينستية وآثارها المنتشرة في إقليمي الجمهورية لا تنسينا أن نظهر للطلاب أن الحكم المكدوني – وحكم كليوباطرة بالذات – إن هو إلا حكم أجنبي استعماري غريب عن هذا الوطن . فالمدرس الواعي لا يلهو عن هذه الحقيقة ولا يسترسل في تمجيد عهد المكدونيين . وكذلك بالنسبة للرومان ... الخ .

– تذكير المدرسين بفائدة الكتابة في المجلات والصحف ، المدرسية منها وغير المدرسية ، لأنها تساعد على إنماء الإنشاء التاريخي والتأليف . والرحلات العلمية مناسبة هامة لتنمية ملكة الملاحظة والمشاهدة والكتابة في الانطباعات الشخصية .

– تنبيه المدرس إلى الإفادة من وجوده فى إحدى المناطق النائية للتعمق بدراسة بعض أحوالها وتقصى تاريخها وجمع المصادر والوثائق عنها. ولا يظنن المدرس أن عمله يجب أن يقتصر على الأحوال الماضية بل يمكن أن يتركز حول الأوضاع الاجتماعية القائمة. فيدون مشاهداته ويجمع المستندات والإحصاءات عنها، ويسجل انطباعاته.

– تنبيهه إلى أن الدراسة والتتبع هدا بدء العلم. ولا تعطى الدراسة والتتبع ثمارها إلا فى الاختصاص الدقيق. فعلى المدرس أن يتعرف على ميوله واتجاهاته ثم يعين الناحية التى يرغب التخصص بها ويتعمق بدراستها ويطلع على ما أُلف فيها ويسلك سبيل التحليل والنقد وينتبه إلى ما ينبثق من دراسته من أفكار واستنتاجات فيدونها ويحقق فيها. ثم يكتب عنها أو يؤلف فيها. ويجب أن يعلم أن كل كتابة أصيلة هى مساهمة فعالة فى ارتقاء العلم بل هى معلم بذاته. ويجب أن يعلم المدرس أن باستطاعته دوماً أن يكون عاملا فعالا فى تأليف التاريخ وأن يضع لبنة فى بناء صرح التأليف التاريخى. ولا يتحقق له ذلك إلا إذا اتسم علمه بالحياد والدقة فى سرد الوقائع. فالوجدان العلمى شرط أساسى من شروط المؤرخ. لا يطلب من المؤرخ أن يستخلص العبر من الأحداث التى يؤرخ فيها ولا يعطى رأيه فيها، فذلك من مهام رجال آخرين: نقاد أو فلاسفة أو مربين، وإنما يطلب منه تصوير الحوادث على النحو الصحيح حسبما شاهدها وسرد الأقوال كما سمعها. لا يتخلى المؤرخ قط عن واجب التدقيق والتحقيق عند دراسة المصادر، والمقابلة فيما بينها، ولكن ليس عليه أن يقوم بأى تحوير. لقد كتب كثيرون من أدباء أوروبا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عن الدولة العثمانية وعن الشرق وادعوا أنهم يؤلفون تاريخاً. ولكن لم تكن كتاباتهم إلا مجرد صحائف أدبية، خيالية، شخصية. لذلك اندثرت وبقى بدلا عنها تقرير صغير من شاهد عيان مقيم فى هذه المدينة أو تلك، لا تمحوه السنون. وكذلك فالمدرس فى قرية نائية أو مدينة مهما صغرت

حين يشاهد الحوادث التى تمر بها ويكتب عنها ، تبقى كتاباته ذات قيمة لا تمحى .

ولا يطلب من المدرس أن يدون من الحوادث تلك التى يعتقد أنها تاريخية فحسب ، بل يمكنه تدوين أى حادث هام يجد أنه ذو أثر سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى أو فنى فى تاريخ المنطقة أو الوطن أو فى تطور المجتمع وللنقاد وللأجيال من بعده أن تتحقق فيما قال أو كتب وتستخلص النتائج ، ولكن يكفيه رضا أنه صدق فيما ذكر وقدم للمحققين من بعده مصادر للبحث ، وأسهم إسهاماً فعالاً ، مهما ضؤلت قيمته ، فى تطور علم التاريخ وارتقائه . على أن يلتزم فى كتاباته قبل كل شىء قواعد الطريقة العلمية فى البحث ، تلك التى عرفها فى أثناء دراسته الجامعية .

— توجيه المدرس إلى وجوب تكوين مكتبة تاريخية شخصية وتنميتها باستمرار حتى تصبح لائقة بمدرس التاريخ . وتحوى مكتبة المدرس الشخصية — بالإضافة إلى المؤلفات العامة والكتب الاختصاصية ، الصور والوثائق والمستندات ، ومقتطفات عن الصحف وعن أقوال رجال الفكر والسياسة ، وبعض وسائل العمل التاريخى كالمعاجم والأطالس وغيرها ، يجب ألا يغرب عن بال المدرس أن النظر إلى الخارطة والتمعن بها تفاعل ذاتى عميق مع الأرض التى يرى صورة مصغرة عنها ومع الأمة التى تنبىء عنها . والرأى صحيح أيضاً بالنسبة لروائع الفن وصور الأثر القديم .

هنالك فن فى تكوين المكتبة الشخصية وتنميتها . إذ أنها تعطى صورة عن ميول صاحبها واتجاهاته وأفكاره الشخصية . ولا يمكن أن تكون المكتبة الشخصية حاوية كل شىء ، فالفن فى حسن الانتقاء .

إن تنمية ملكة المطالعة والدراسة وخلق روح البحث العلمى والتتبع لدى المدرسين تساعدان على وضعهم فى الجو العلمى الذى تهيئوا له وتحببان إليهم الاختصاص الذى اختاروه وتنميان ثقافتهم ، ويشع نور ذلك كله

على تلامذتهم . فيكون للدرس التاريخ عند هؤلاء أثر فى نفوسهم وأى أثر وتكون للمدرس عندهم حرمة وأى حرمة .

•

٢ – التدابير الإدارية :

متابعة تنفيذ التوجيهات – حلقات البحث العلمى – الدورات التدريبية – كتاب المدرس – قائمة الكتب الرئيسية لاستكمال الثقافة التاريخية –...الخ .

أ – متابعة تنفيذ التوجيهات :

يجب ألا تبقى التوجيهات الفنية التى تعمم على المدرسين مجرد نصائح وإرشادات يأخذ بها المدرسون أو لا يأخذون ، بل يجب معرفة مدى تفهمهم لها وتنفيذها . ويتحقق ذلك بصورة خاصة عن طريق المفتشين . يستطيع هؤلاء إبان جولاتهم التفتيشية أن يتحدثوا مع المدرسين عن فائدة النواحى التى تطرقت إليها التوجيهات وأهميتها ويوضحوا ما أشكل لهم بشأنها ، ويسألوهم عن تنفيذها . يجب أن يشجع المفتشون المدرسين على استكمال ثقافتهم الاختصاصية وتنميتها ويقدروا المتبعين والباحثين ويفيدوا منهم فى المهام العلمية . المفتش قبل كل شئ مرشد وموجه ، إذ أن العلاقة بين المدرس والإدارة التعليمية تبقى دوما علاقة ود وتعاون ، فالمدرس موضع ثقة مطلقة من الجميع . ولا يمكن أن يشككنا فيها إلا تقصير متعمد . لذلك يجب أن يتركز حديث المفتش مع المدرسين حول مدى فائدة الطلاب من الكتب والمناهج ووسائل تحقيقها والمعضلات التى تنجم عنها وحلولها ، وتبدأ هذه الحلول بتمكن المدرس من مادته وتنمية اختصاصه ، وإن متابعة المفتش تنفيذ التوجيهات التى ذكرناها آنفا خير ضامن على الفائدة المرجوة منها .

ب ـ حلقات البحث :

يستطيع المفتشون أيضاً أن يعقدوا فى مناطقهم حلقات بحث يناقشون فيها بعض النقاط التى يقع الاختلاف فيها بين المدرسين .

مثال على ذلك : هل يجب التوسع – فى المدارس الإعدادية – بفتنة عثمان أم أنه يجب عدم التوسع بها بل إغفالها . إن مثل هذه الناحية قد يختلف فيها المدرسون – وقد اختلفوا فعلا – بناء على وجهة نظر كل منهم فى لزوم تزويد طالب الإعدادية بجميع النواحى الثقافية التاريخية أم عدم تزويده بها لئلا نتوسع بإيراد هنات التاريخ العربى .

مثـــال آخر : هل يجب التوسع بالفتوحات فى العهد الأموى فى المرحلة الإعدادية أم عدم التوسع بها مطلقاً ، بناء على الرأى القائل بعدم الاهتمام بالحروب فى المنهج المدرسى . أو الرأى القائل بوجوب الاهتمام بهذه الحروب الأموية بالذات لأنها أساس بناء الدولة العربية ؟

إن هذه المناقشات وأمثالها مفيدة جداً . فيستطيع المفتش فى حدود منطقته أو الوزارة فى الإقليم أن تعقد حلقة بحث علمى تناقش به هذه النقاط فى ضوء توجيهات المنهج .

ويمكن أيضاً عقد حلقة علمية من قبل المفتش أو من الوزارة نفسها بمستوى علمى بحت . مثال على ذلك : مصـــادر (Sources) تاريخ الثورة العربية سنة ١٩١٦ والحكومة العربية فى سورية (١٩١٨–١٩٢٠) أى مصادر تاريخ الحركة العربية قبيل الدستور العثمانى وبعده – مقدمات الثورة – يومياتها Chronologie الوثائق الرسمية العربية والأجنبية – المذكرات – آراء المعاصرين – المؤلفات العربية – المؤلفات الأجنبية – مقتطفات من الصحف – الصور والرسوم والخرائط – الأزياء العسكرية والمداليات والأسلحة – الأناشيد والقصائد الوطنية والزجل الشعبى – التحقيقات (الأعمال) الإدارية للحكومة العربية بدمشق – الاستعداد العسكرى – السياسة الدولية – الخ ... الخ ...

فيطلب من المدرسين عند الإعلان عن موعد هذه الحلقة أن يرشح كل منهم نفسه لواحد من هذه المواضيع ، فيهيئ المصادر المتعلقة بها ، ويقدم فى الحلقة بيانا ودراسة عن هذه المصادر .

والأمثلة عن البحوث التى يمكن أن تعقد بها حلقات علمية محلية أو عامة كثيرة ليس من الضرورى الآن إيرادها .

حـ – الدورات التدريبية العلمية :

هنالك موضوعات كما قلنا فى بدء هذا البحث لم يطلع عليها المدرسون فى أثناء دراستهم الجامعية أو لم يتوسعوا بدراستها ، كما أن هنالك موضوعات برزت أهميتها حديثا بسبب نمو حركة التحرر العربى والحركة التحررية للشعوب الأخرى . فيجب دراسة هذه البحوث من جديد والاهتمام بها الاهتمام اللازم . فالدورات التدريبية كفيلة بتحقيق هذا الغرض . ونورد فيما يلى عدداً من هذه الموضوعات لندرك أهميتها القصوى :

– استقلال الأقطار العربية فى السنوات العشر الأخيرة .
– علاقة إمارات الجزيرة العربية بالدول الاستعمارية .
– الكفاح العربى فى الجزائر منذ الاحتلال حتى وقتنا الحاضر .
– ثورة السودان ١٩٥٨ .
– قضية لواء الإسكندرون .
– السياسة الاستعمارية فى سورية عقب الحرب العالمية الأولى (خلق كيانات جديدة فى سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرقى الأردن .)
– أهداف ثورة ١٩٥٢ فى الإقليم المصرى وتحقيقاتها .
– الأحلاف الاستعمارية ومؤتمرات الحياد الإيجابى (باندونج بريونى ، القاهرة).
– أنظمة الحكم فى سورية من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى قيام الجمهورية العربية المتحدة (النضال الوطنى فى سورية والمحاولات السياسية الفاشلة للسلطة الاستعمارية – سياسة الحكومات الوطنية بعد الجلاء لصيانة الاستقلال)

— أثر كارثة فلسطين فى تحقيق الوعى العربى .
— التحقيقات (Réalisations) الاجتماعية والاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة .
— صور من المقاومة الشعبية فى الإقليم المصرى ضد بونابرت وضد السلطة العثمانية (عمر مكرم ... الخ) .
— اتحاد مصر وسورية زمن الأيوبيين وأثره فى طرد الصليبيين من بلاد العرب .
— السياسة الاستعمارية والتميز العنصرى زمن الرومان فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة .
— السياسة الاستعمارية والتميز العنصرى زمن المكدونيين (البطالمة والسلوقيين)
— التكامل الاقتصادى بين أقطار الوطن العربى .
— واجبنا نحو المستقبل .
— الحركات الاستقلالية فى إفريقيا السوداء والجمهوريات المستقلة حديثاً فيها ... الخ ... الخ .

تقام هذه الدورات العلمية فى كل من الإقليمين وتنظمها وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم التنفيذية . والدورة التدريبية تقام لواحد من هذه الموضوعات ولموضوعين أو أكثر ، وتنتهى المحاضرات بثبت بالمراجع ، وتطبع وتوزع على المدرسين .

إن الدورات التدريبية وحلقات البحث تشكل ، بالإضافة إلى الفائدة العلمية المباشرة ، جواً علمياً يحبب إلى المدرسين الدراسة والتتبع العلمى ويرقى بهم إلى مستوى رفيع ويدفعهم إلى تنمية اختصاصهم ويخفف عنهم المتاعب التى يلاقونها فى مهامهم التعليمية .

والمهم فى هذه الدورات التدريبية تزويد المدرسين بثقافة نامية فى الموضوعات الجديدة والهامة ولا سيما العربية منها وإرشادهم إلى الكتب الأساسية التى تعالجها .

د ـ إبلاغ المدرسين قائمة بالكتب الضرورية للثقافة التاريخية ولتكوين نواة المكتبة الشخصية :

لا بد وأن المدرسين قد عرفوا أثناء دراستهم الجامعية وممارستهم التعليم أسماء عدد من الكتب الهامة والأساسية المتعلقة بموضوعات اختصاصهم . فمن الممكن تذكيرهم بها وإبلاغهم أسماء مصادر أخرى ومصادر فى الموضوعات الجديدة . وتقديمنا للمدرسين قائمة بالكتب الهامة فيه فائدة كبرى إذ أنها تساعدهم على التعرف عليها وشرائها ودراسة ما لم يدرسوه منها . وكأننا أيضاً بهذه الوسيلة نساعدهم على تكوين مكتبة تاريخية متكاملة ضرورية لهم من أجل مهنتهم التعليمية ومتطلباتها . ولسنا نطمع فى أن نقدم لهم قائمة واسعة فى الكتب بمختلف عصور التاريخ وبمختلف البحوث وإنما قائمة بكتب أساسية يحسن بكل مدرس حيازتها .

وهذه القائمة تتضمن كتباً عن :

نشأة الحضارات ـ تاريخ الأمم القديمة ـ الفراعنة وتاريخ الشرق القديم ـ الإغريق والهيلينستيين ـ الرومان والبيزنطيين ـ البرابرة ـ الجزيرة العربية منذ أقدم العصور ـ الدعوة الإسلامية والفتوح العربية الإسلامية ـ الممالك الإسلامية والعربية ـ تاريخ العرب فى الأندلس ـ الإقطاع فى أوروبا ـ القرون الوسطى الأوروبية ـ الحروب الصليبية ـ الدولة العثمانية ـ أوروبا والعالم منذ الثورة الفرنسية ـ تاريخ العرب الحديث ـ الكفاح العربى واستقلال الأقطار العربية .

وبعض الكتب فى : تطور الفكر الإنسانى ـ المذاهب السياسية ـ المذاهب الاقتصادية ـ الحضارة الأوروبية ـ الحضارة العربية ـ الاقتصاد العربى .. الخ ـ خرائط وأطلس تاريخى .

وهذه القائمة تشمل كتباً عامة ؛ عربية وأجنبية تتعلق بالتاريخ العام والتاريخ العربى والإسلامى ، وكتباً خاصة ببعض البحوث ، وكتباً متعلقة بموضوعات معاصرة . . الخ .

وستقدم بمناسبة أخرى صورة عن هـــذه القائمة – وفق الأسس التي ألمعنا إليها – تلك التي يستطيع المدرسون اقتناء كتبها في سنين قليلة لتكون نواة لمكتبتهم الشخصية .

هـ – كتاب المدرس :

وهنالك تدبير إداري آخر عظيم الأهمية يحقق جزءاً كبيراً من الأغراض التي نسعى إليها ويزود المدرسين بالثقافة لتأدية واجبهم التعليمي خير تأدية ألا وهو كتاب المدرس .

يشترط في كتاب المدرس أن يكون :

– شاملا المنهج الأخير لوزارة التربية والتعليم .
– متوسعاً بالبحوث الأخرى سعة تامة كافية لتزويد المدرس بالمعرفة التاريخية ولربط الأحداث فيما بينها .
– مؤلفاً وفق روح المنهج وأهدافه وتوجيهات وزارة التربية والتعليم دون مساس بالحقائق التاريخية الثابتة .
– متضمنا الوسائل التعليمية المســاعدة كالخرائط والصور والخطوط البيانية والإحصاءات والوثائق اللازمة والقرارات التاريخية ومصادر البحث وأسماء كتب يمكن أن يوجه الطلاب إلى قراءتها .

والكتاب المدرسي مفيد جداً لا نبالغ مهما توسعنا في تبيان فائدته وعند ما يصبح لدى مدرسينا كتاب عن كل صف من صفوف المرحلة الإعدادية والثانوية خاص بهم يبدأ لدينا الاطمئنان على مستقبل تعليم التاريخ في الجمهورية العربية المتحدة وعلى مستوى المدرسين العلمي والثقافي التي يحملها التلاميذ من سني دراستهم .

إن تحقيق أهداف المنهج وغاياته يتوقف قبل كل شيء على شخصية المدرس إلا أن العامل الأول في هذه الشخصية ونجاح المدرس في عمله هو تمكنه من مادته وتوسعه في ثقافته الاختصاصية .

ثالثاً — التوصيات (بما يخص الإقليم السورى)

١ — التوصيات المتعلقة بجامعة دمشق :

— تعيين عدد من الكتب فى كل سنة من سنى الاختصاص لقراءتها من الطلاب ، عدا الكتب المقررة ، وسؤالهم عنها ومناقشتهم فى موضوعاتها أثناء الفحوص الشفهية .

— عند اقتصار الأستاذ الجامعى على تدريس جزء من المادة يطلب إليه تبديل هذا الجزء كل سنتين حتى يصدر عن المدرس أو الجامعة فى مدى عدة سنوات دراسة وافية عنها .

— على كل أستاذ أن يقدم لطلابه فى بدء السنة الجامعية بياناً بالمصادر عن الموضوع الذى سيدرسه ، مبوبة حسب فصول هذا الموضوع .

— على كل أستاذ عند ذكره أثناء التدريس كتابا من الكتب أن يظهر خاصته ويدعو الطلاب إذا رأى لزوماً لذلك إلى دراسته واقتنائه .

— توصية قسم التاريخ فى كلية الآداب بزيادة العناية بتدريب الطلاب على قراءة الوثائق التاريخية وتفسيرها وتحليلها ، وكذلك قراءة صفحات من مؤلفات المؤرخين ونقدها ، وذلك فى كل سنة من سنى الاختصاص .

— تعميم مبدأ فرض الوظائف التاريخية على الطلاب مرة على الأقل فى كل سنة على أن تناقش هذه الوظيفة أمام عموم الطلاب وتنقد من الأستاذ ويجعل لها علامة (درجة) ذات أثر فى نجاح الطالب .

— زيادة العناية باللغة الأجنبية بصورة تجعل الطالب قادراً على المطالعة بها بسهولة والانتفاع منها ، كأن تزاد مثلا الساعات المخصصة لها أسبوعيا... الخ

— العناية بتزويد مكتبة الجامعة أو مكتبة كلية الآداب — إذا كان للكلية مكتبة خاصة بها — بالكتب التاريخية اللازمة والمجلات والخرائط والأطالس .

- تخصيص قاعة خاصة للأستاذ فى مكتبة الجامعة وفى مكتبة الكلية .
- الإكثار قدر الإمكان من الرحلات التاريخية للطلاب مع تنظيمها التنظيم الدقيق على أن يشرف عليها أحد الأساتذة .
- إيجاد مجلة لكلية الآداب يخصص بها ركن للتاريخ يشرف عليه وينظمه رئيس قسم التاريخ ويشترك الأساتذة والطلاب فى تحريره .

*

٢ - التوصيات المتعلقة بوزارة التربية والتعليم :

- تنفيذ التوجيهات الفنية التى أوردناها فى هذا البحث ، صفحة ٢٣٥
- تنفيذ التدابير الإدارية التى أوردناها فى هذا البحث ، صفحة ٢٣٩
- تضمين المناهج فى المرحلتين الإعدادية والثانوية شيئاً من التاريخ العام أو على الأقل البحوث الهامة من التاريخ العام والبحوث التى لها ارتباط بتاريخ الوطن المحلى والوطن العربى الكبير .
- تطوير طباعة الكتب المدرسية بشكل تصبح فيه وسائل الإيضاح (الصور - الرسوم - الخطوط البيانية ..) واضحة وجميلة وجذابة، مع الإكثار بالقدر اللازم من أجزاء المطالعة الحرة (كالوثائق التاريخية والنصوص وفقرات من الكتب الهامة . . . الخ) على أن يكون الكتاب حسن التجليد سهل الاستعمال .
- تغذية مكتبات المدارس بالكتب التاريخية ليرجع إليها المدرسون عند الحاجة .
- تنمية مكتبة الوزارة ومكتبات مديريات التربية والتعليم فى المناطق بالكتب التاريخية الأمهات والكتب الأخرى الهامة، العربية والأجنبية .
- تشجيع المدرسين الباحثين والدارسين . وذلك بالإفادة منهم فى المهام الفنية ونشر بحوثهم فى مجلة الوزارة أو طبعها على حسابها الشخصى وخاصة بإيفادهم ببعثات دراسية .

– إقامة رحلات تاريخية للمدرسين فى حدود المنطقة أو الاقليم أو الجمهورية أو الوطن العربى الكبير أو البلدان الأجنبية ومساعدتهم مادياً فى نفقات بعض هذه الرحلات .
– تبادل المدرسين بين إقليمى الجمهورية .
– عدم التضييق على المدرسين فى منحهم الإجازات الدراسية لفترة قصيرة أو لعدة سنوات .
– تسهيل المطالعة بمكتبة الوزارة أو بمكتبات مديريات التربية والتعليم بالمحافظات . وذلك بفتحها فى الأوقات التى تناسب المدرسين ، أو بالسماح لهم باستعارة الكتب لمدة محدودة .

*

٣ – التوصيات الخاصة بوزارة الثقـــافة والإرشاد القومى :

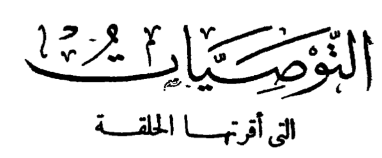
– تجهيز المكتبة الوطنية بدمشق والمكتبات العامة بالمحافظات بالكتب التاريخية الكبرى والكتب الحديثة والهامة وبمجموعات كاملة عن بعض الصحف ... الخ .
– تمديد فترات المطالعة بهذه المكتبات ولا سيما الفترة المسائية .
– تخصيص قاعة فى كل مكتبة وطنية للمدرسين والباحثين .
– تزويد المكتبات الوطنية والعامة بالكتب الأجنبية الهامة .

*

٤ – التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية :

– تشجيع البحث التاريخى عن طريق تقديم جوائز للباحثين .
– تعيين بعض البحوث وإجراء مسابقة بها وتقديم جوائز للمؤلفين المتفوقين .

- إحداث مكتبة تاريخية كبرى .
- إيجاد مجلة للعلوم الاجتماعية عامة وللتاريخ والآثار بصورة خاصة .
- إحداث جمعية تاريخية وآثارية فى السنوات القليلة المقبلة .
- السعى لتسهيل اقتناء الكتب عن طريق تحديد أسعارها بالقدر الممكن .
- السعى لتسهيل حصول المدرسين الباحثين على الوثائق الرسمية السرية أو على المجلات العربية والأجنبية التى لاتدخل الجمهورية .
- السعى لتنظيم اطلاع المدرسين الباحثين على المصادر الإخبارية التى فى حوزة إدارات الدعاية والأنباء .


التوصيات
التى أقرتها الحلقة

التوصيات

أولا — التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

١ — تأليف مجموعة تاريخية جغرافية أثرية للجمهورية العربية المتحدة على أساس الخطط ، وتشكيل لجنة من المجلس للتقدم بمشروع كامل النواحى .

٢ — التوصية بعمل سجل تاريخى أثرى مصور لآثار الجمهورية العربية المتحدة فى مختلف العصور ، ويكون شاملا لجميع الآثار بأنواعها وتفاصيلها حسب ترتيبها الزمنى والمعجمى لإظهار التطور التاريخى والتأثيرات المتبادلة والمميزات الفنية فى كل من إقليمى الجمهورية ، على أن يبدأ المشروع بالعصور الإسلامية .

٣ — وضع مخططات (أطالس تاريخية) للعصور التاريخية المختلفة فى الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها .

٤ — وضع معجم للمصطلحات التاريخية بجميع أنواعها الواردة فى مراجع التاريخ العربى فى مختلف عصوره .

٥ — وضع معجم لتراجم المشاهير من الرجال والنساء فى مختلف العصور .

٦ — وضع معجم تاريخى للبلدان والأمكنة العربية فى مختلف العصور .

٧ — التوصية بعمل معاجم للموضوعات الاجتماعية المختلفة كالملابس والأدوات المنزلية والأثاث ... الخ فى مختلف العصور .

٨ – وضع فهرس تحليلي لمراجع تاريخ الجمهورية العربية المتحدة في مختلف العصور التاريخية من قديم ووسيط وحديث ومعاصر ؛

٩ – القيام بدراسة وافية علمية تمحيصية انتقادية عن الاستشراق وأغراضه وأهدافه .

١٠ – العناية بالنواحي الاقتصادية والاجتماعيـــة في تأليف الكتب التاريخية .

١١ – العناية بدراسة الأندلس والمغرب العربي من حيث التاريخ والآثار والمخطوطات والوثائق .

١٢ – توجيه الرأي العام للاهتمام بالوثائق عن طريق دور الإذاعة والتلفزيون ومديرية الدعاية والأنباء (مصلحة الاستعلامات) وضرورة الحفاظ عليها ، والتنبيه إلى ضرورة تسجيلهـــا وصيانتها أو تسليمها إلى مديرية الوثائق بدلا من تركها عرضة للتلف .

١٣ – التقدم بتوصية إلى بلديات محافظات الإقليمين برعاية الأمكنة التي تضم أبنية أثرية .

١٤ – التقدم بتوصية إلى جامعة الدول العربية بإنشاء مكتب اتصال في إدارتها الثقافية ليكون مركز الصلة بين الآثاريـــين والمؤرخين في البلاد العربية ، وأن يصدر عن هذا المكتب نشرة دورية تعرف المؤرخين والآثاريين بما يجرى من بحوث تاريخية أثرية وما يصور من مخطوطات ، وما يصدر من مؤلفات في التاريخ والآثار في جميع تلك البلاد .

١٥ – التوصية بعقد مؤتمر للدراسات التاريخية والأثرية بين المختصين من أبناء البلاد العربية كلها .

١٦ – طبع البحوث والصور التي قدمت إلى الحلقة مع المناقشات التي دارت فيها والتوصيات التي أقرها الأعضاء في كتاب مستقل .

ثانياً — التوصيات الخاصة بوزارة التربية والتعليم المركزية :

١٧– زيادة الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية فى المدارس الثانوية وفى كليات الجامعات المختلفة .

١٨– العناية بالمكتبات فى المدارس الثانوية ، وفى أقسام التاريخ والآثار فى الكليات الجامعية والمعاهد العليا ، وإنشاؤها فى المدن التى لا توجد بها مكتبات عامة .

١٩– التوصية بالعناية بالدورات التدريبية لمدرسى التاريخ فى المدارس الثانوية لتجديد ثقافتهم التاريخية وتنميتها .

٢٠– التقدم بالتوصية بوجوب العناية بأمر المتاحف المدرسية .

٢١– تشجيع الممتازين من مدرسى التاريخ فى المدارس الثانوية بإيفادهم فى بعثات دراسية قصيرة أو طويلة الأمد لاستكمال دراستهم .

٢٢– إعداد أخصائيين فى التاريخ والآثار والعلوم المساعدة ، بإرسال بعثات إلى الجامعات فى الخارج .

٢٣– إرسال بعثات علمية من خريجى الجامعات لدراسة علم الوثائق وطرق صيانتها وتنظيمها ، وإرسال بعثات تدريبية لموظفى إدارات الوثائق بالجمهورية العربية المتحدة للوقوف على أحدث النظم فى تنظيم الوثائق وصيانتها .

٢٤– إرسال عدد من خريجى كليات الهندسة والفنون الجميلة والفنون التطبيقية فى بعثات عملية تطبيقية إلى الخارج لدراسة ترميم الآثار .

٢٥– إرسال بعثات علمية إلى الأندلس والمغرب العربى لحصر ودراسة الآثار والمخطوطات التى لم يسبق دراستها .

ثالثاً — التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى للجامعات :

٢٦— إصدار مجلة لكلية الآداب بجامعة دمشق لنشر مايقدمه أعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الباحثين .

٢٧— إنشاء معاهد عليا لدراسة الآثار فى كليات الآداب بالجمهورية العربية المتحدة .

٢٨— التوصية بإنشاء قسم لدراسة اللغات الشرقية القديمة والحديثة فى كلية الآداب فى جامعة دمشق .

٢٩— العمل على إنشاء قسم خاص باللغات والدراسات الكلاسيكية فى جامعة دمشق وإعداد جهازه التعليمى ووسائل عمله قبل تأسيسه .

٣٠— التوصية بتدريس اللغات الحية كالألمانية والأسبانية والروسية والإيطالية وغيرها فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة.

٣١— توصية جميع كليات الآداب بإدخال مادتى تاريخ الحضارة وحضارات الشرق القديم فى مناهجها حسب حاجة الطالب العربى ، ووضع مؤلفات ونشر نصوص تاريخية عنهما .

٣٢— الدعوة إلى إدخال مواد التاريخ الاقتصادى والاجتماعى والفلسفة السياسية بالإضافة إلى الجغرافية واللغات الأجنبية فى أقسام التاريخ بجامعات الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على إيفاد بعثات لخريجى أقسام التاريخ للتخصص فى هذه المواد تخصصاً ملائماً للأغراض التاريخية .

٣٣— مساعدة أساتذة التاريخ والآثار على التفرغ لبحوثهم بتقليل ساعات التدريس ومنحهم إجازات التفرغ المنصوص عليها فى لائحة الجامعات .

رابعاً — التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القومى المركزية:

٣٤— التوصية بتنفيذ ما سبق أن اقترحته كل من اللجنتين بعمل كتيبات عن تاريخ كل محافظة من محافظات الجمهورية على حده ، ووضع كتيبات فى تاريخ ووصف المناطق الأثرية الهامة فيها .

٣٥— التوصية بتنظيم معارض متنقلة بين مدن إقليمى الجمهورية ممثلة للحضارات فى كل من إقليمى الجمهورية فى العصور المختلفة.

٣٦— التوصية برعاية الصناع الأخصائيين بترميم الآثار وتشجيعهم والعمل على إيجاد فئة جديدة تحل محلهم إبقاء على صناعتهم .

٣٧— التوصية باستصدار التشريع الكفيل بتسلم الوثائق التى لم تعد الإدارات الحكومية بحاجة اليها إلى مديرية الوثائق على أن تؤخذ بعين الاعتبار عند إصدار هذا التشريع النقاط الآتية :

ا — المحفوظات التى يجب على الإدارة حفظها إلى أجل غير مسمى .

ب — المحفوظات التى يجب على الإدارة حفظها لأجل مسمى وتنتهى حاجتها إليها بإنتهائه ، وعندئذ يصار إلى تشكيل لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق لانتقاء مايلزم من هذه المحفوظات والسماح بإتلاف الباقى .

حـ — المحفوظات التى يمكن تسليمها حالا إلى مديرية الوثائق .

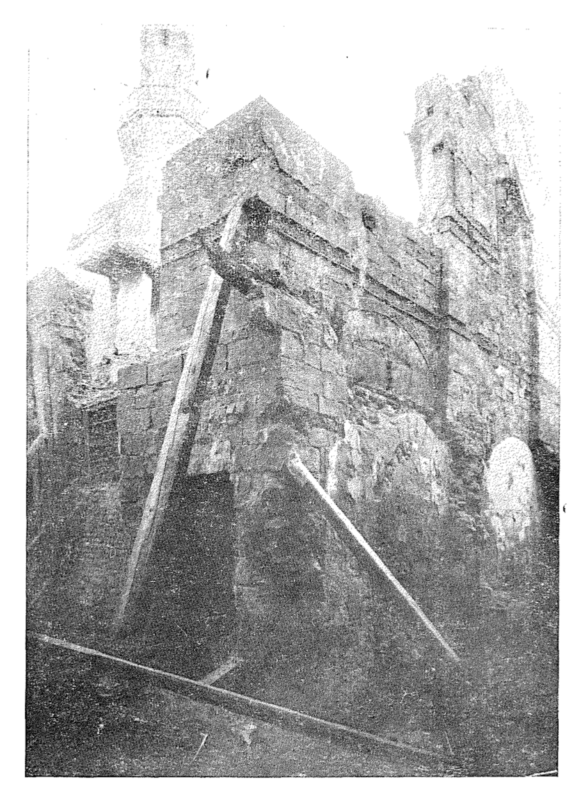
د — تعين كل إدارة ترتيب الوثائق التى بحوزتها ونوعها ويضع جهازها الإدارى والقانونى نظاما لذلك وتبلغ نسخة منه إلى مديرية الوثائق وتجرى عمليات التسلم والتسليم على أساسه .

مقرر اللجنة

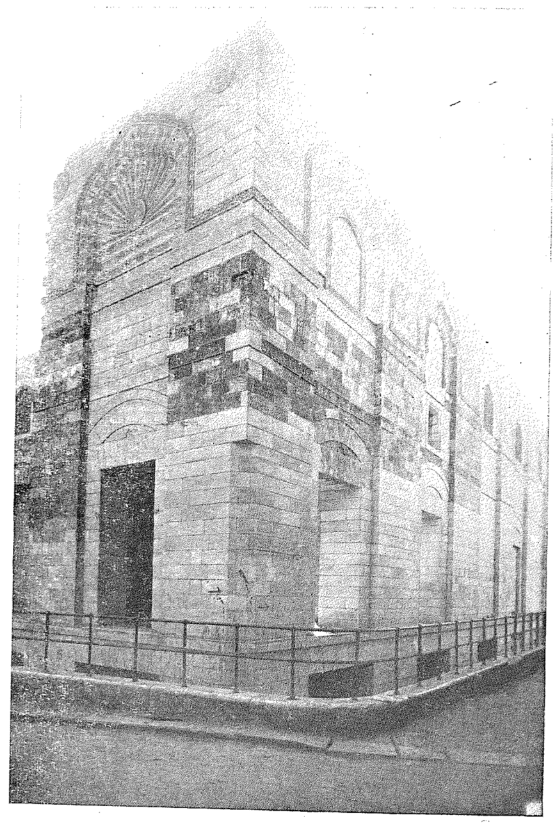
اللوحات الخاصة بموضوع

ترميم الآثار

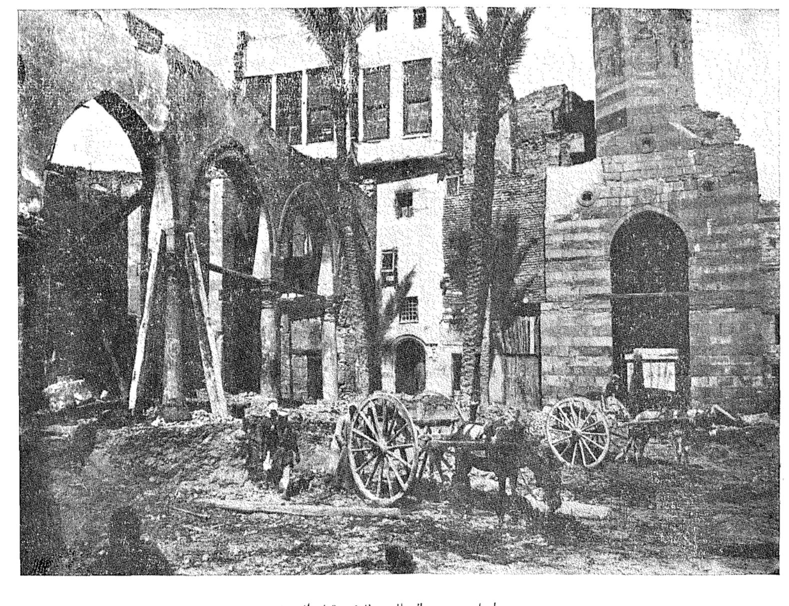
للمهندس محمد عبد الفتاح حلمى



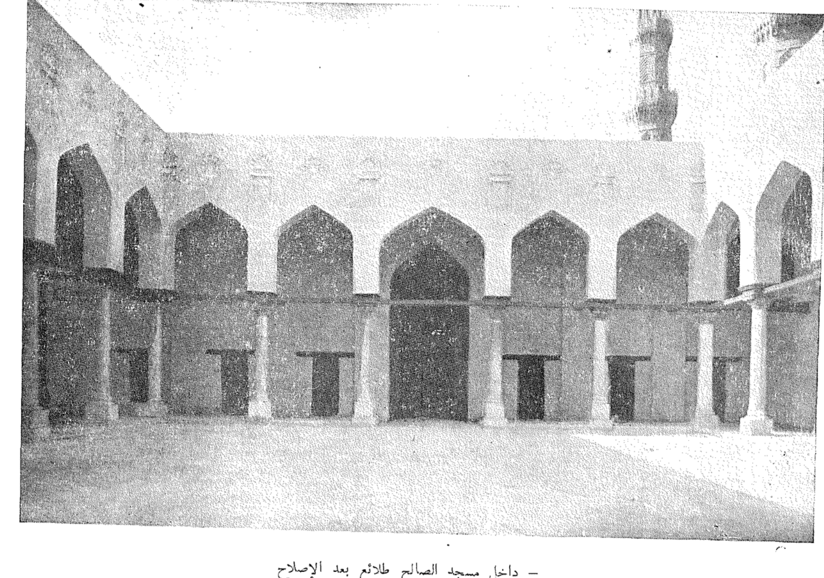
١ - واجهة مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح



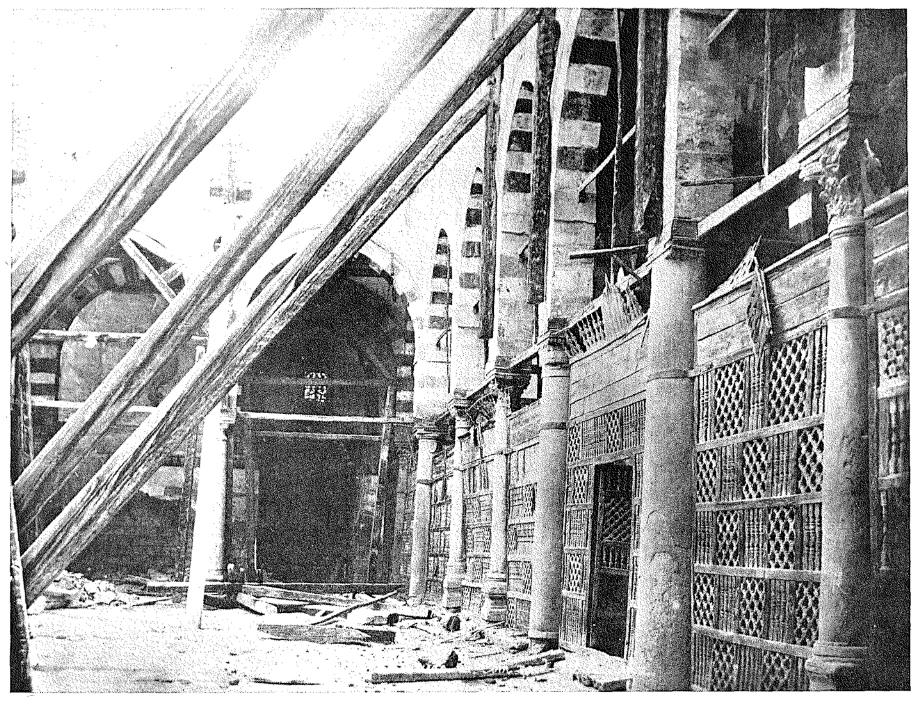
٢ – واجهة مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح



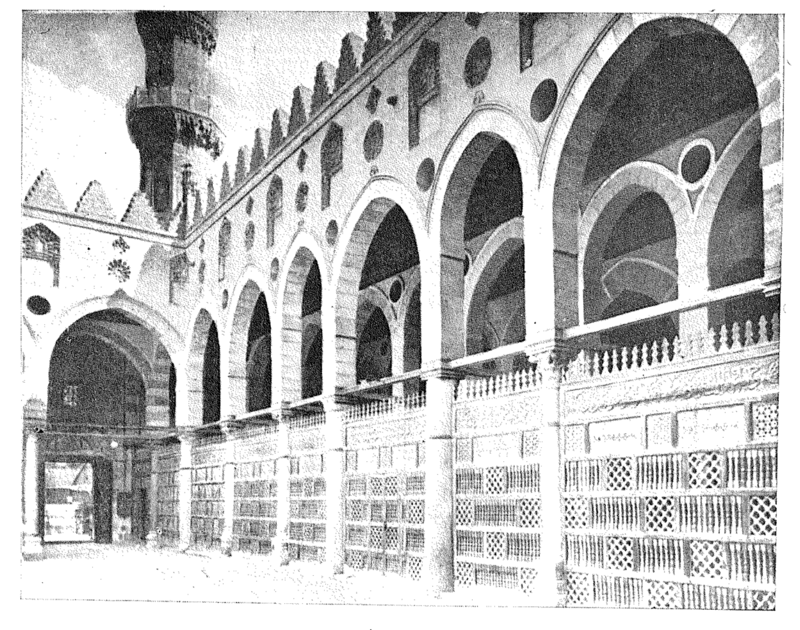
٣ – داخل مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح



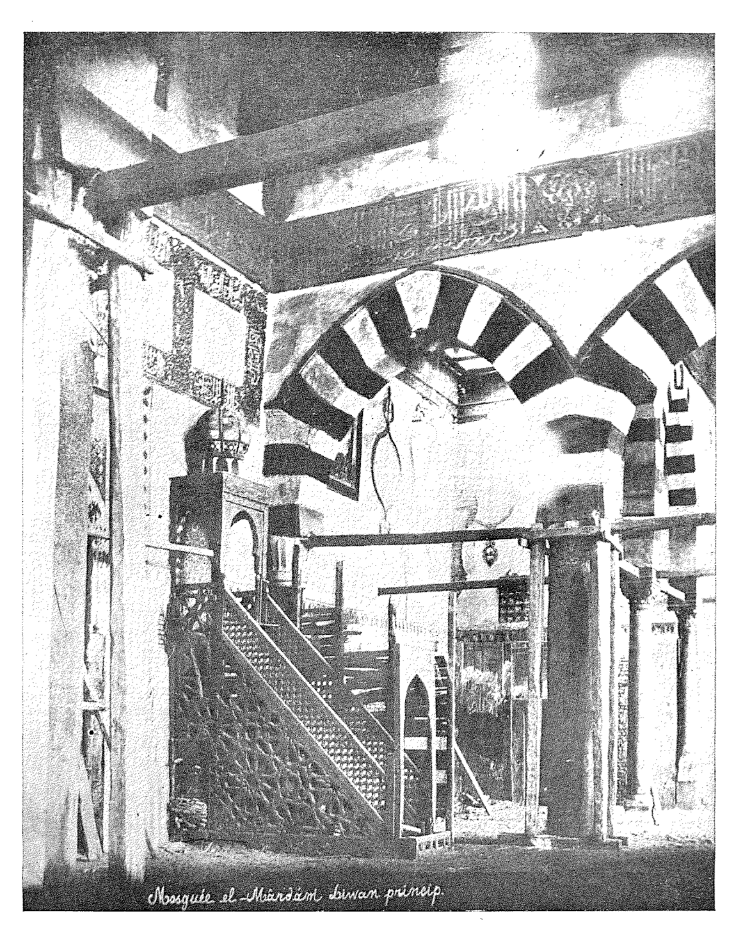
— داخل مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح



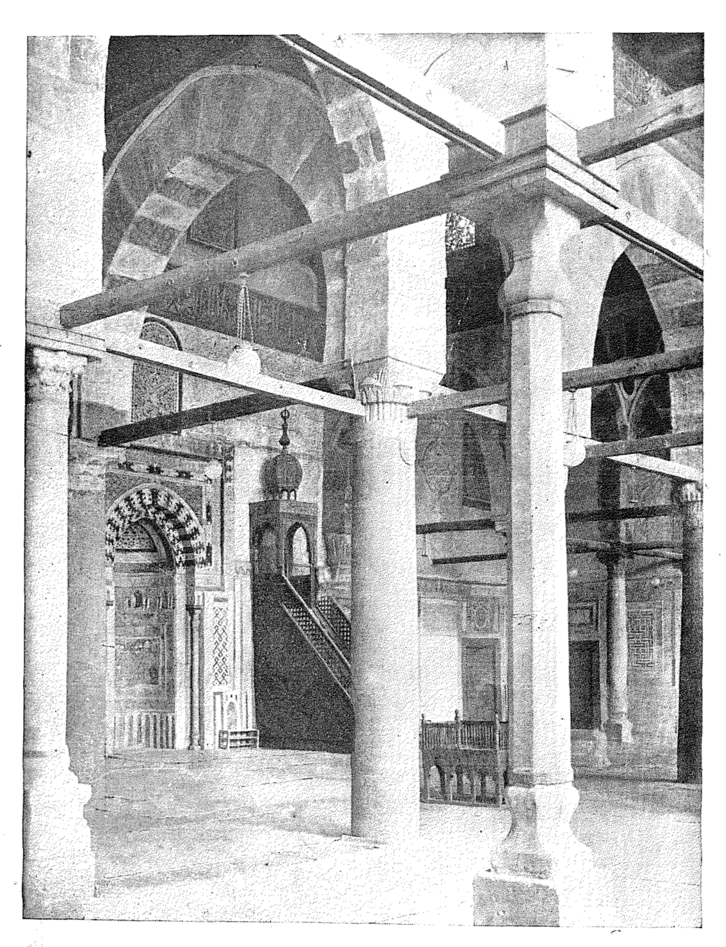
٥ – داخل مسجد المارداني (الصحن) قبل الإصلاح



٦ – صحن جامع المارداني بعد الإصلاح

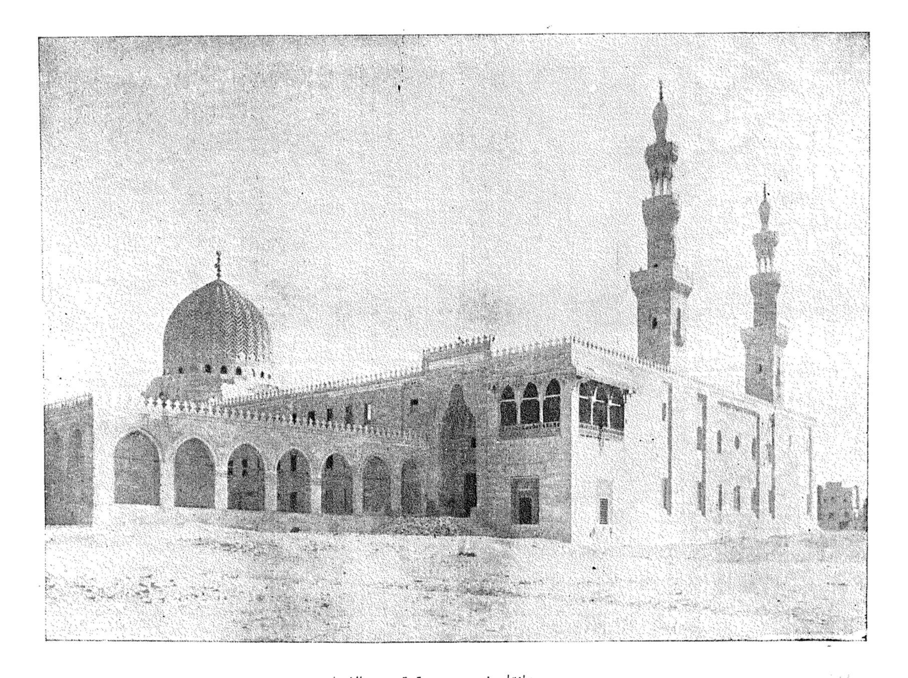


٧ - داخل مسجد الماردانى (المحراب والمنبر) قبل الإصلاح

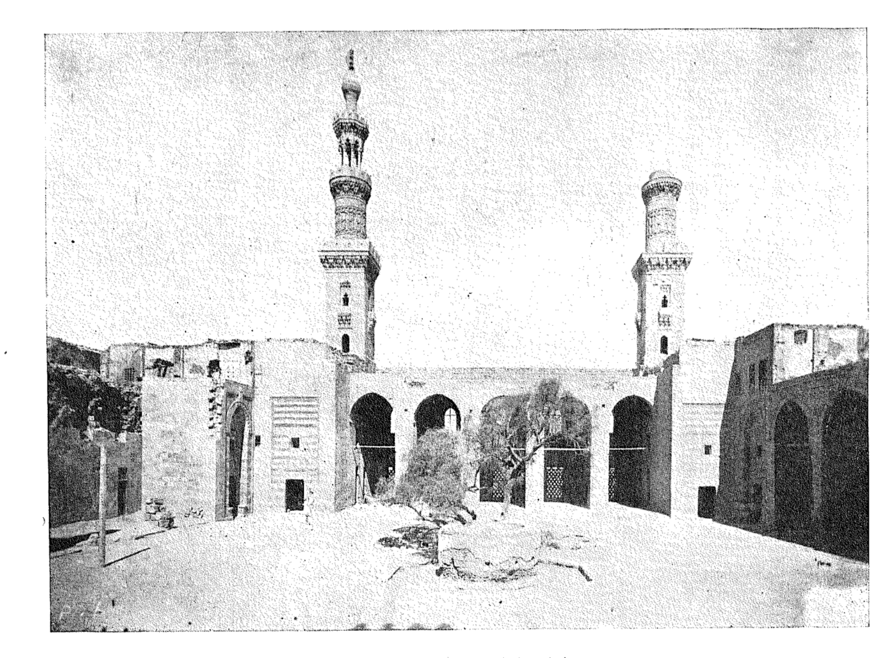


٨ – داخل مسجد المارداني بعد الإصلاح

٩ — خانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية قبل الإصلاح

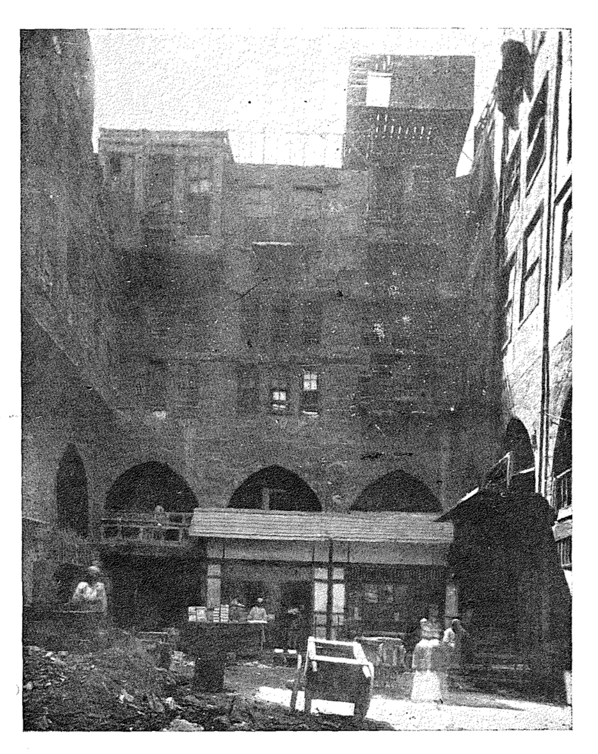


١٠ – خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح

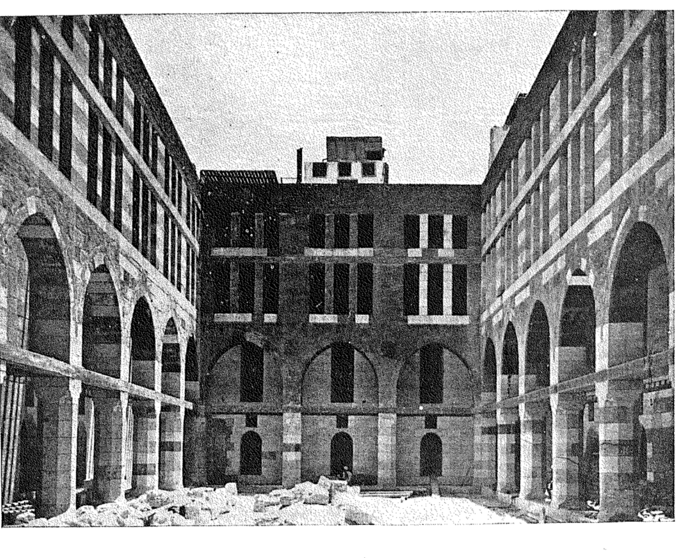


١١ – داخل خانقاه فرج بن برقوق قبل الإصلاح

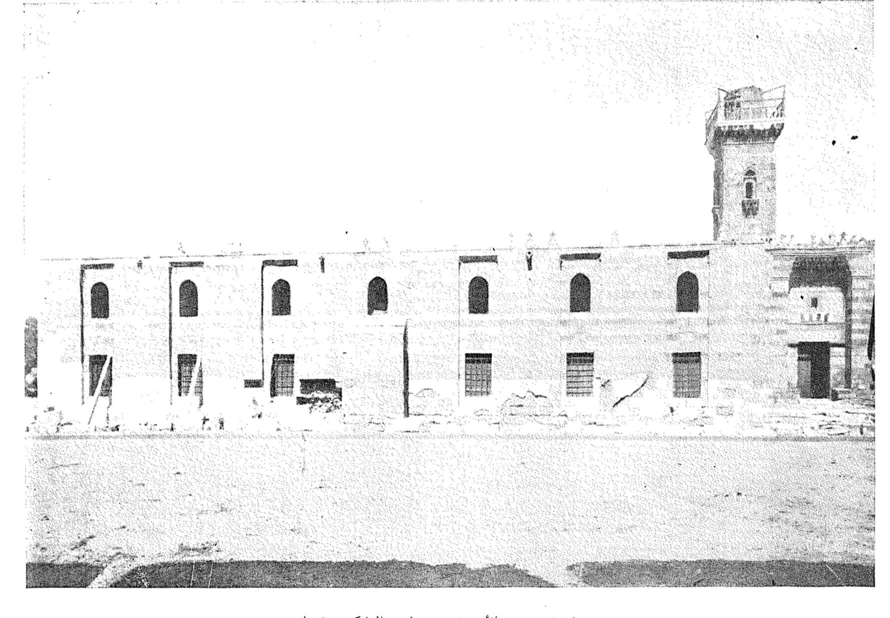
١٢ – داخل خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح



١٣ – داخل وكالة الغورى قبل الإصلاح

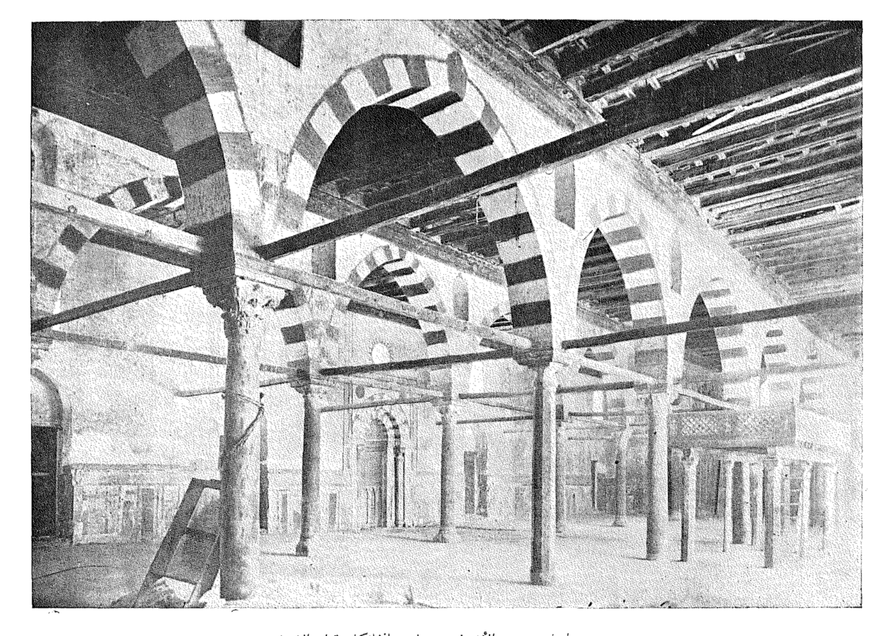


١٤ – داخل وكالة الغورى بعد الإصلاح

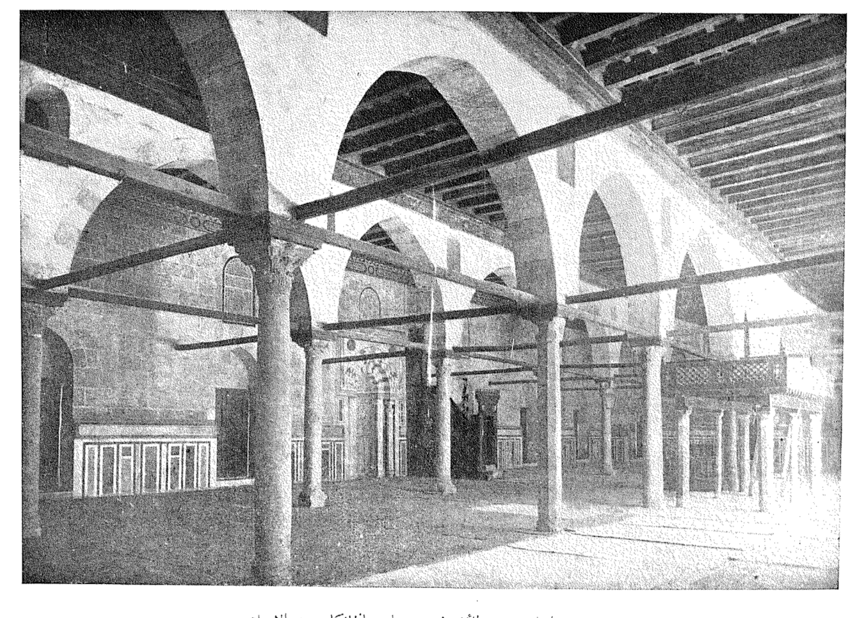


١٥ – واجهة مسجد الأشرف برسباى بالخانكة قبل الإصلاح

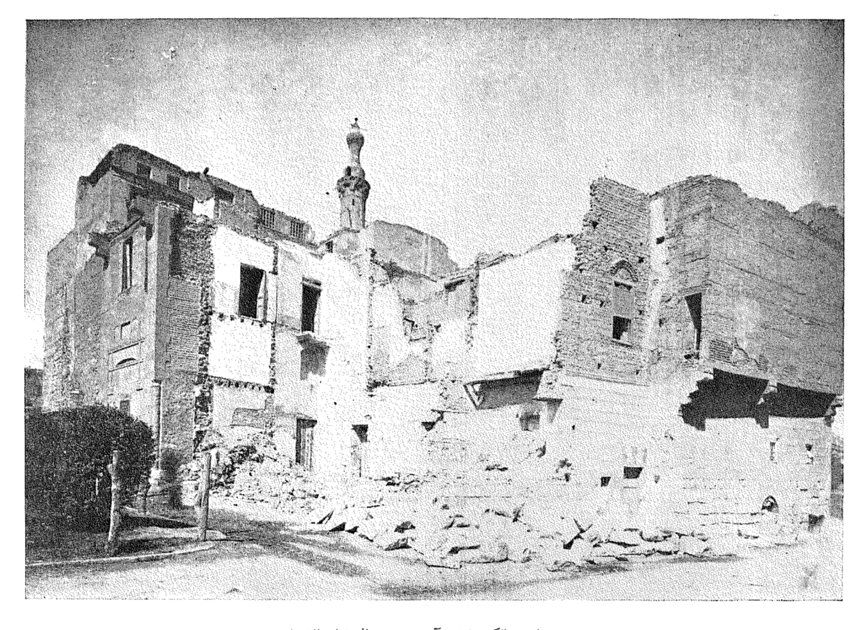
١٦ — واجهة مسجد الأشرف برسباى بالخانكة بعد الاصلاح



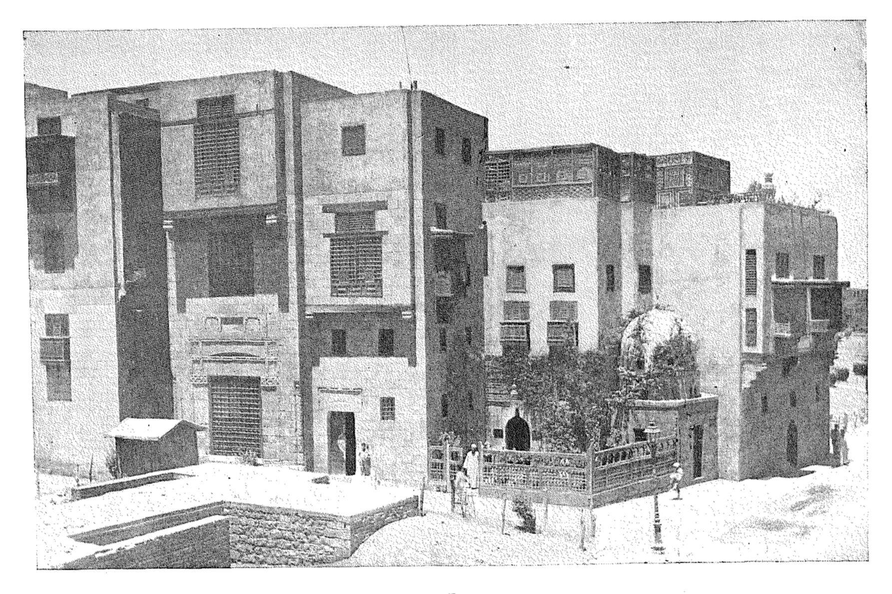
١٧ — داخل مسجد الأشرف برسباى بالخانكاه قبل الإصلاح



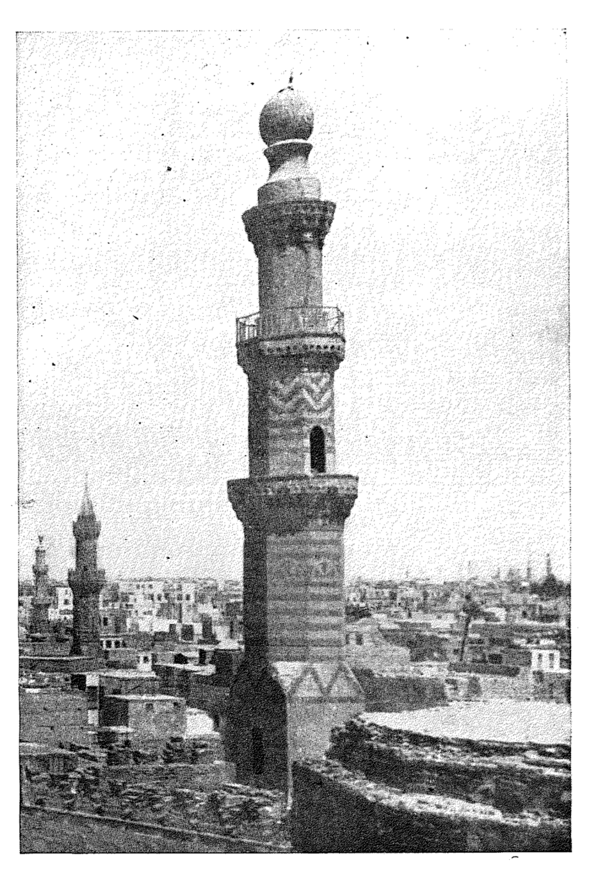
١٨ — داخل مسجد الأشرف برسباى بالخانكاه بعد الإصلاح



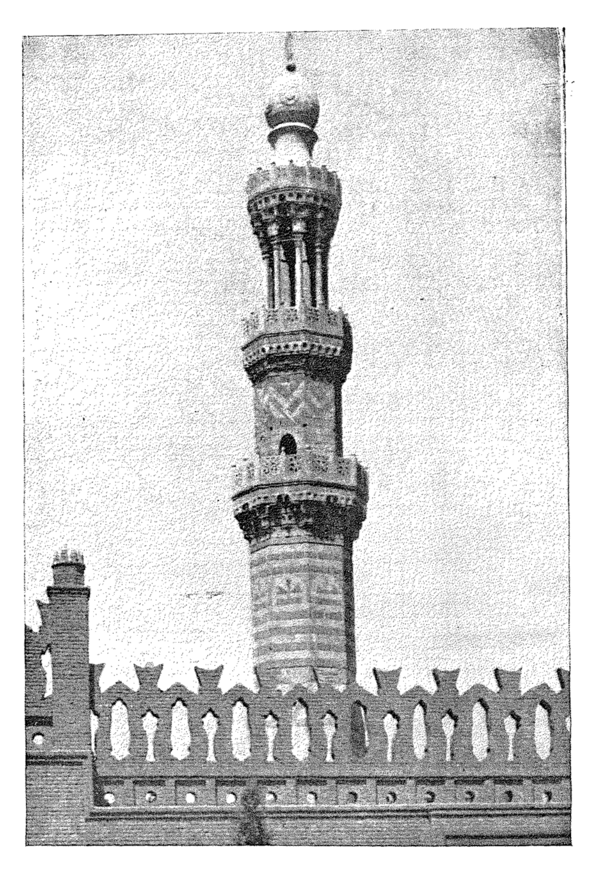
١٩ – منزلا الكرتيلية وآمنه بنت سالم قبل الإصلاح



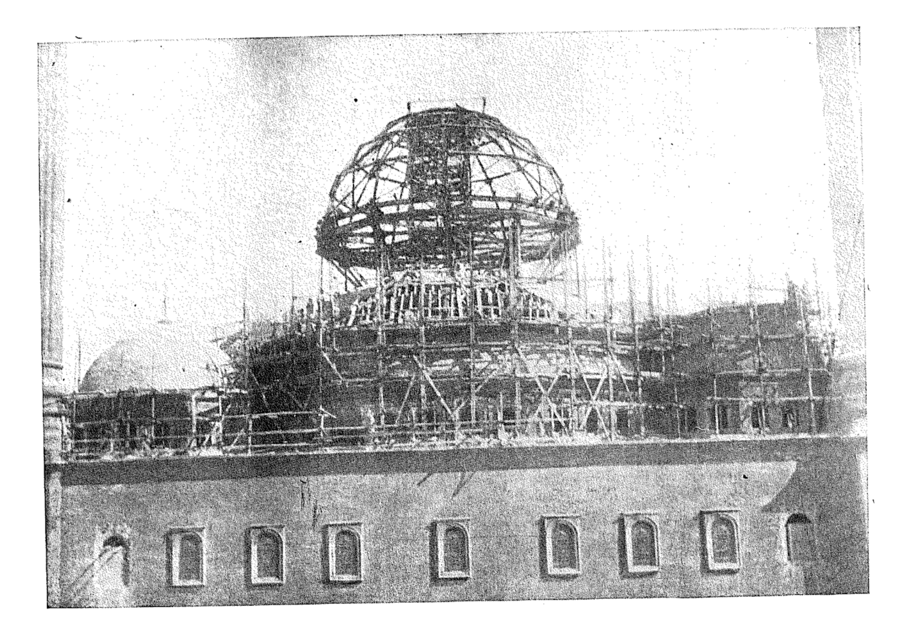
٢٠ – منزلا الكريتلية وآمنة بنت سالم بعد الإصلاح



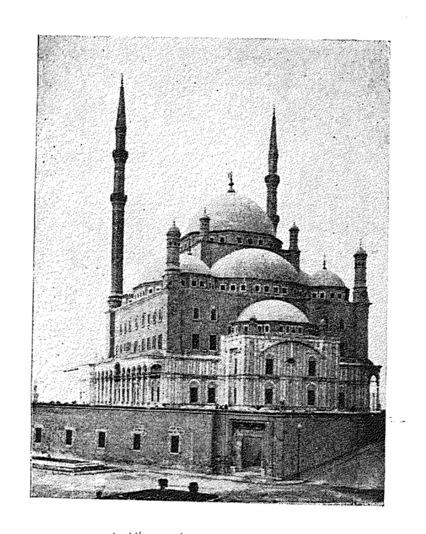
٢١ – منارة مدرسة صرغتمش قبل فكها



٢٢ – منارة مدرسة صرغتمش بعد إعادة تركيبها



٢٣ – مسجد محمد على وقت الإصلاح

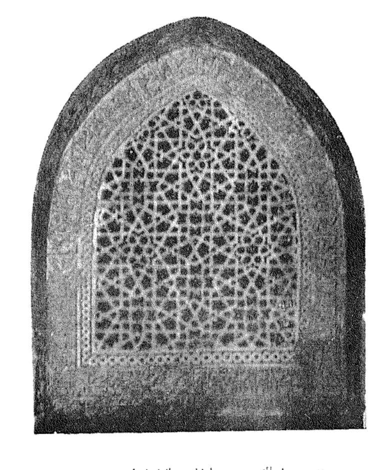


٢٤ — مسجد محمد على بعد الاصلاح

اللوحات الخاصة بموضوع

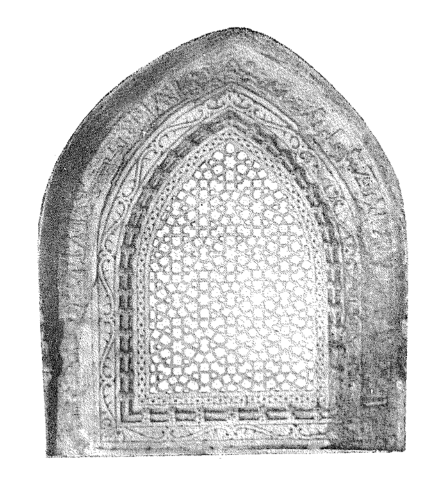
التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر

للأستاذ حسن عبد الوهاب



٢ – شباك جصى بالجامع الطولونى بمصر

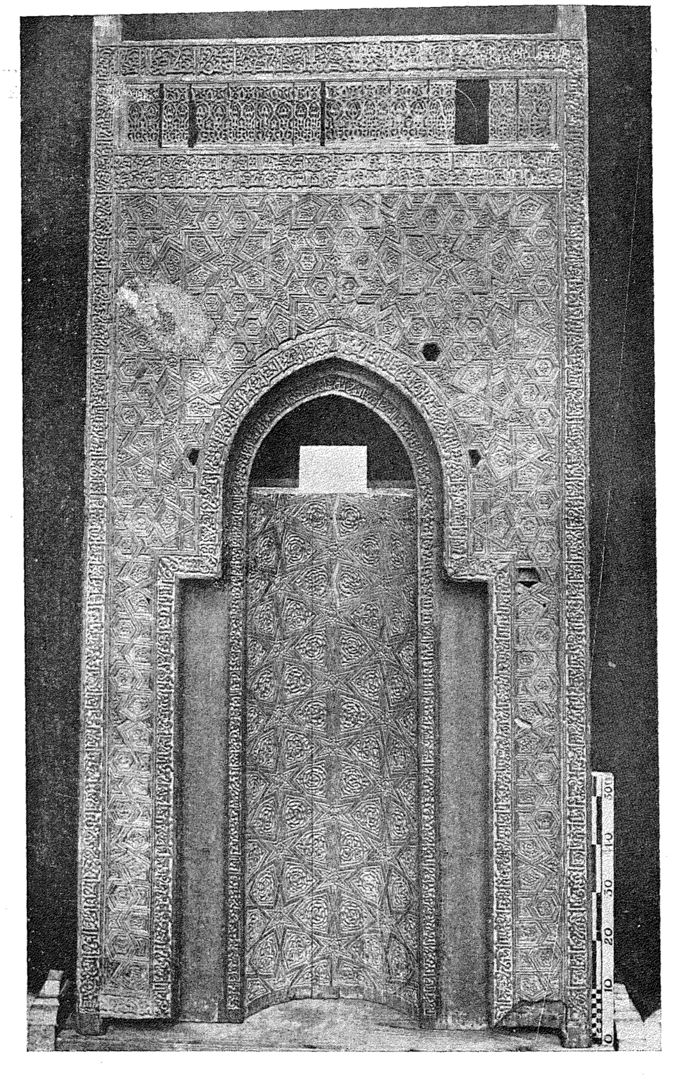
(سنة ٢٦٥ ﻫ . ٨٧٨ م)



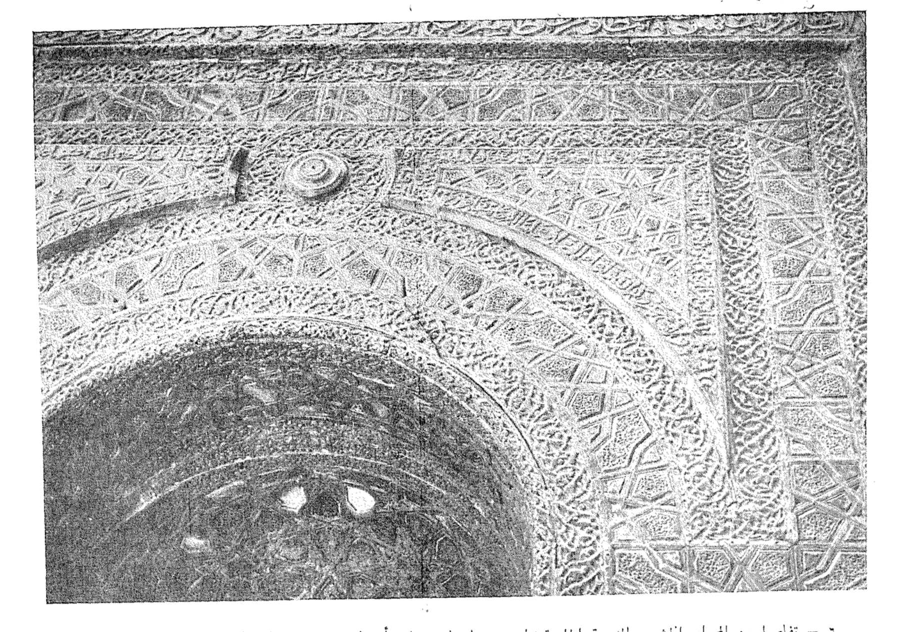
٣ – شباك جصى بالجامع الطولونى بمصر



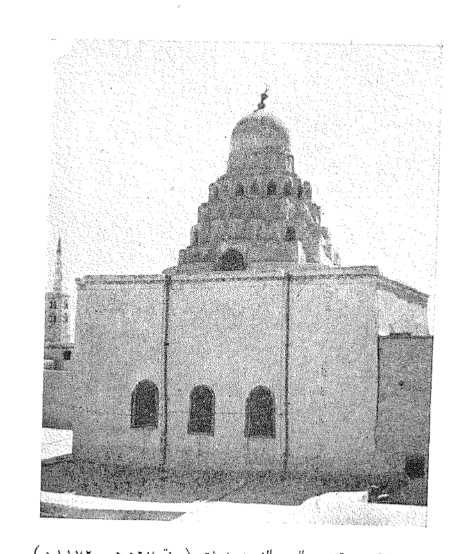
٤ ـ محراب طولونى بالجامع الأموى بدمشق (القرن الثالث الهجرى . القرن التاسع الميلادى)



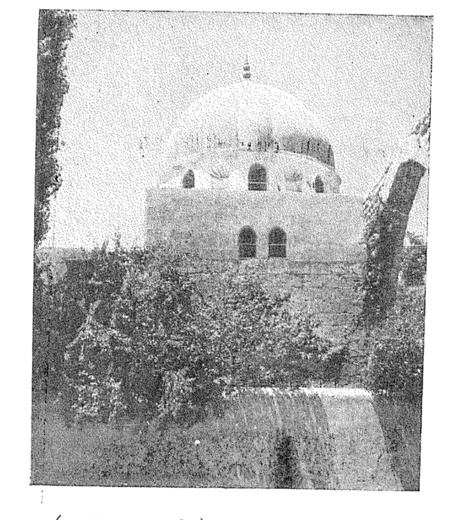
٥ – محراب خشبى متنقل من مشهد السيدة رقية بمصر (سنة ٥٢٧ هـ . ١١٣٢ م)



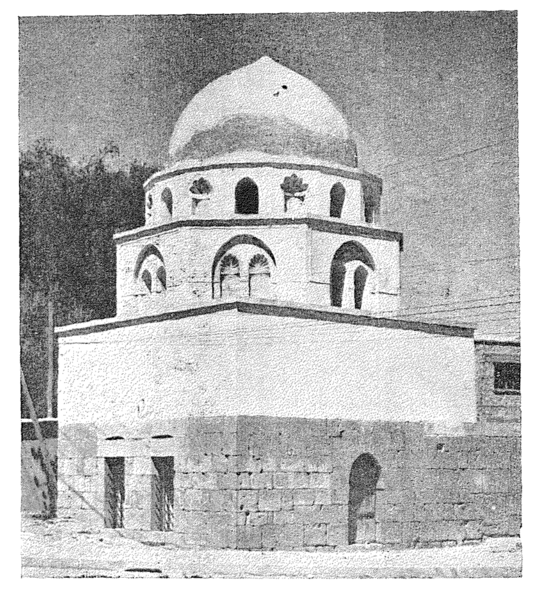
٦ – تفاصيل من المحراب الخشبي بالمدرسة الحلوية بحلب ، وعليه اسم صانعه أبو الحسن محمد بن الحرانى (سنة ٦٤٣ هـ . ١٢٤٥ م)



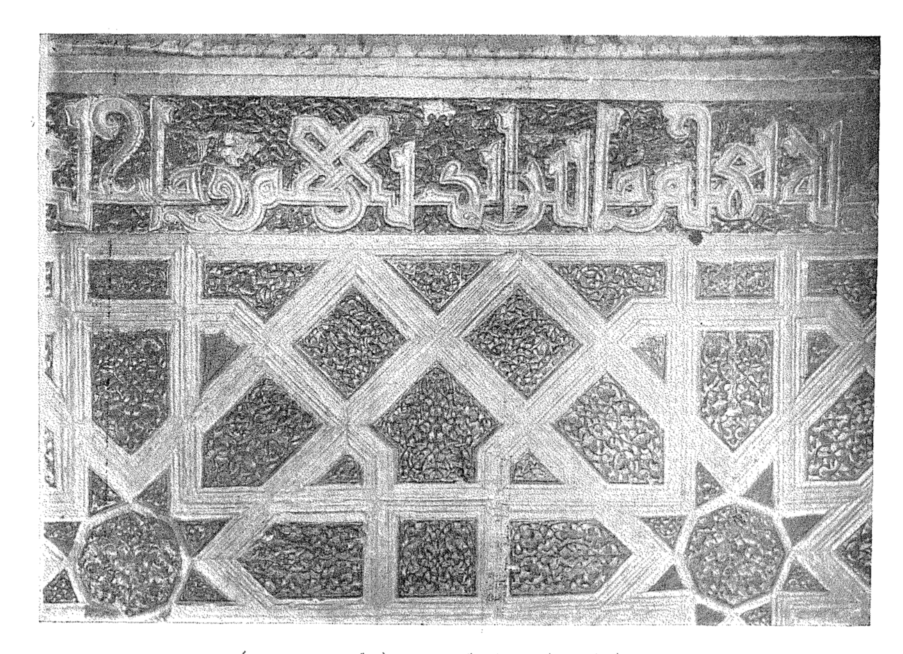
٧ – قبة مدرسة نور الدين الشهيد بدمشق (سنة ٥٦٧ هـ . ١١٧٢ م)



٨ – قبة صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ هـ . ١١٩٥ م)

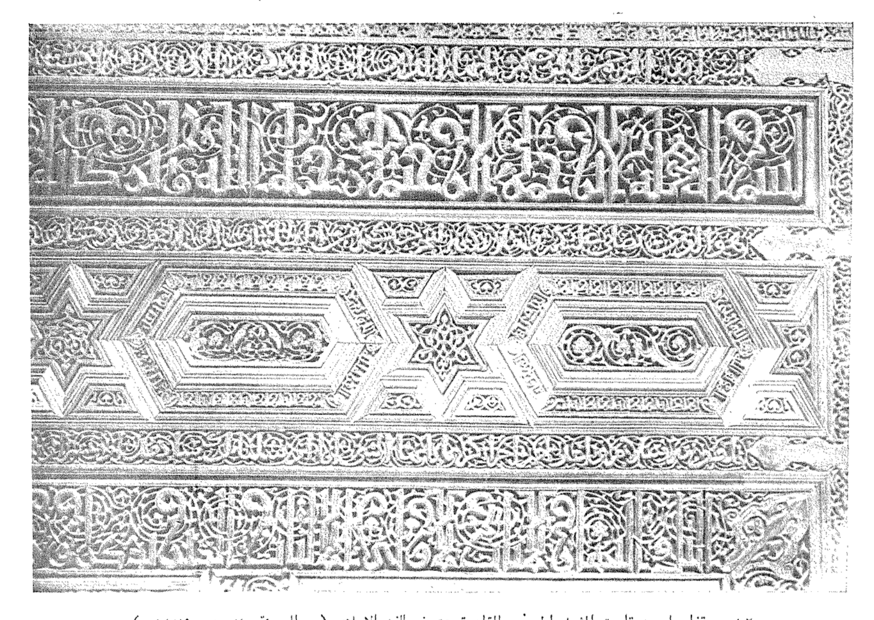


٩ — قبة عبد الرحمن — بالدحداح بدمشق (العصر الأيوبي)

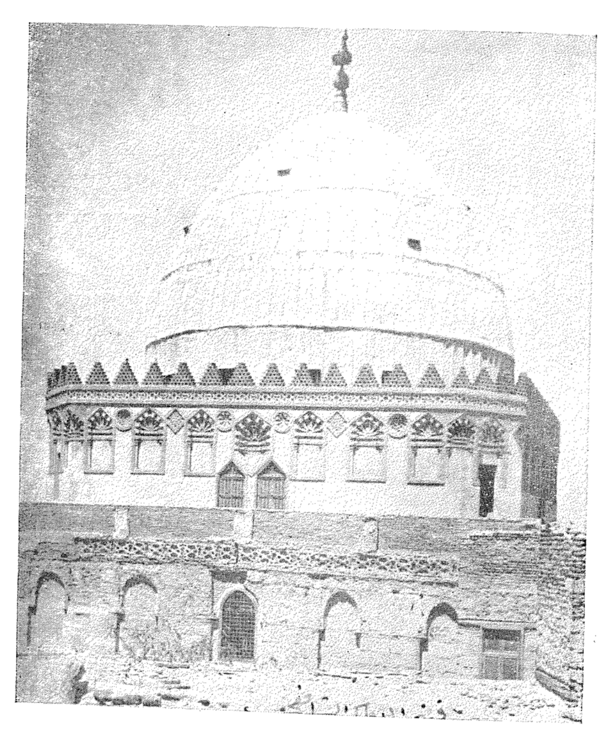


١٠ — تفاصيل من تابوت صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ هـ . ١١٩٥ م)

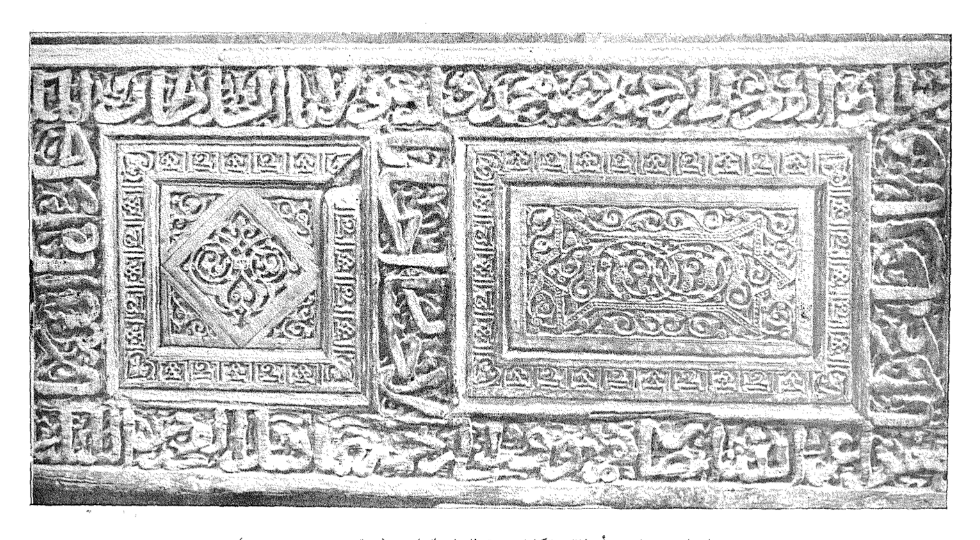
١١ – تابوت الامام الشافعي. مصر (سنة ٥٧٤ هـ. ١١٧٨ م)



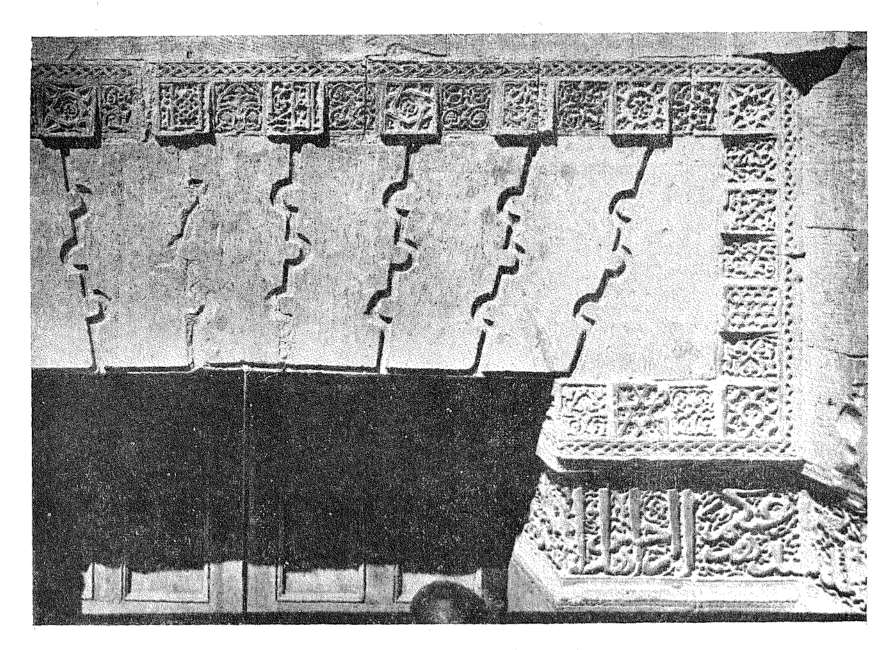
١٢ – تفاصيل من تابوت المشهد الحسينى بالقاهرة بمتحف الفن الإسلامى (حوالى سنة ٥٧٥ هـ . ١١٧٩ م)



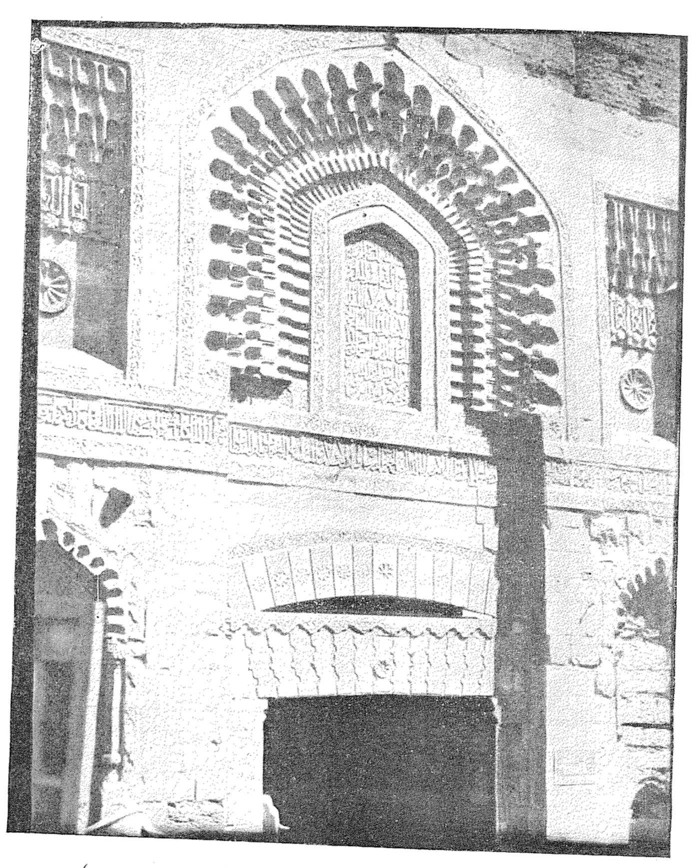
١٣ – قبة الإمام الشافعى (سنة ٦٠٨ هـ . ١٢١١ م)



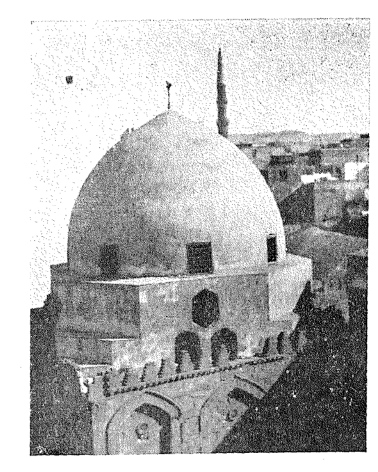
١٤– تفاصيل من تابوت أم الملك الكامل بقبة الإمام الشافعى (سنة ٦٠٨ هـ . ١٢١١ م)



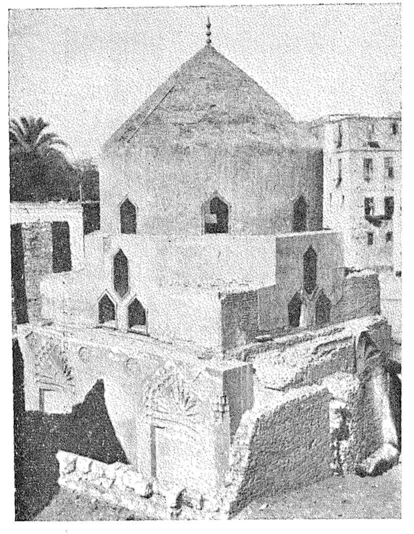
١٥ – باب مدفن السادات الثعالبة (سنة ٦١٣ هـ . ١٢١٦ م)



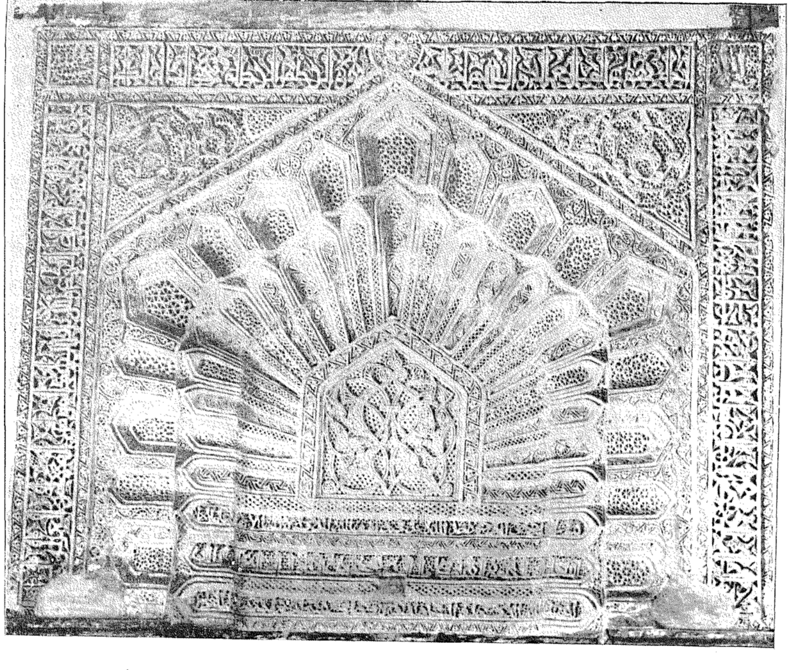
١٦ — مدخل المدارس الصالحية : الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤١ هـ . ١٢٤٣ م)



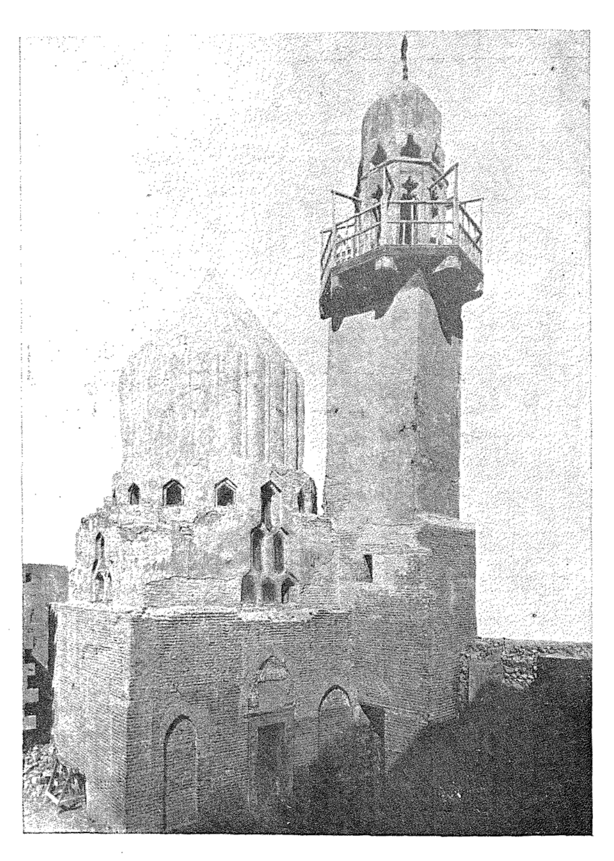
١٧ – قبة الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)



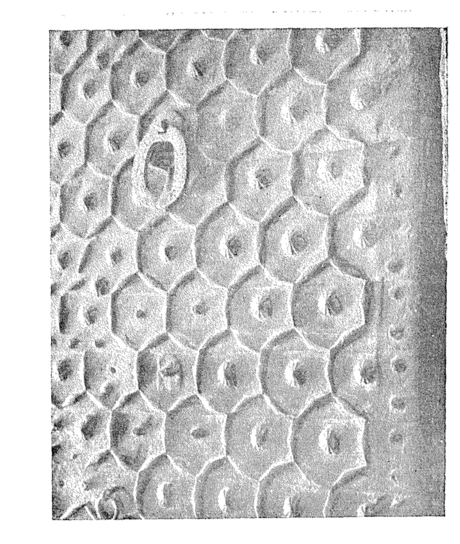
١٨ – قبة شجر الدر بالقاهرة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)



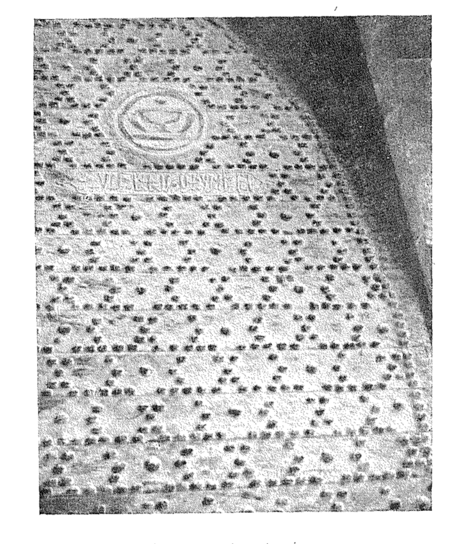
١٩ — زخارف جصية بقبة الخلفاء العباسيين بمصر (حوالى سنة ٦٤٠ هـ . ١٢٤٣ م)



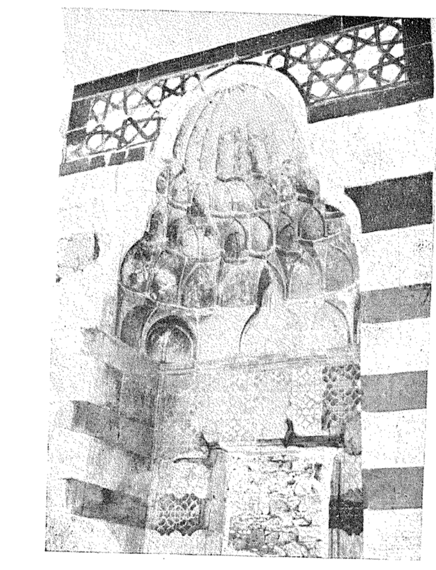
٢٠ — قبة ومنارة أبو الغضنفر أسد الفائزى بالقاهرة (أواخر العصر الأيوبى)



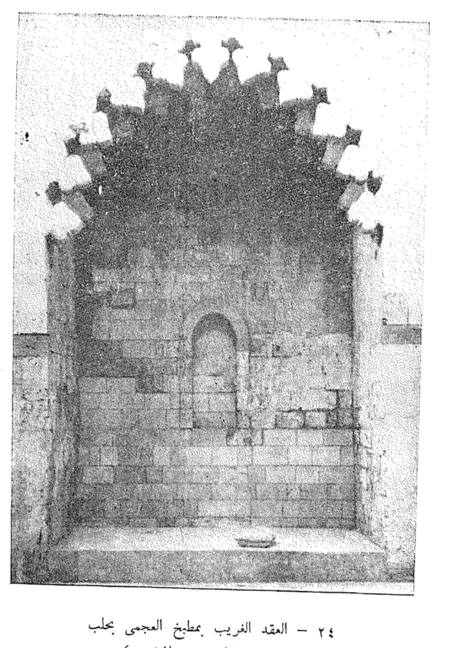
٢١ – مصراع باب المدرسة الشاذبختية (الشيخ معروف) بحلب
(سنة ٥٨٩ هـ . ١١٩٣ م)



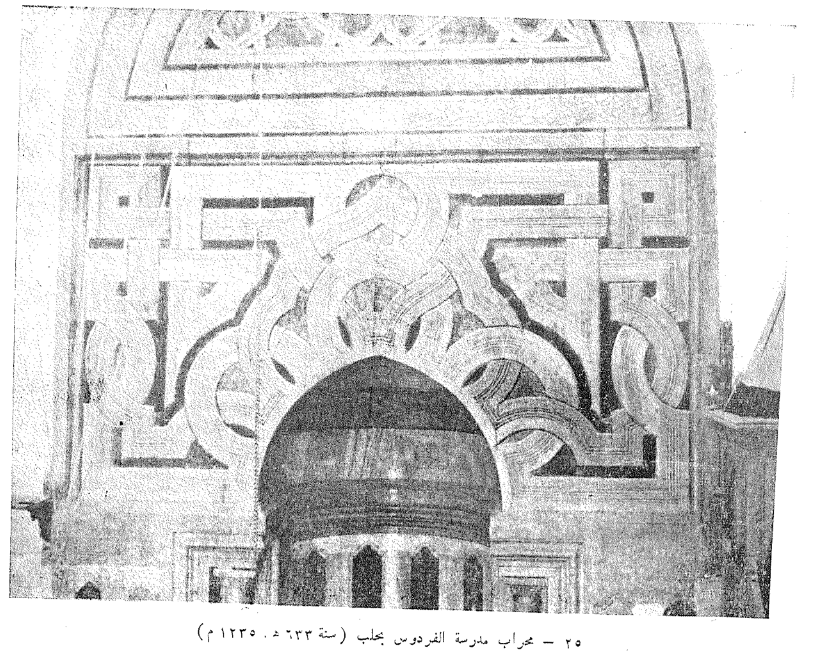
٢٢ – مصراع باب خان خيربك بحلب
(سنة ٩٢٨ هـ . ١٥١٤ م)



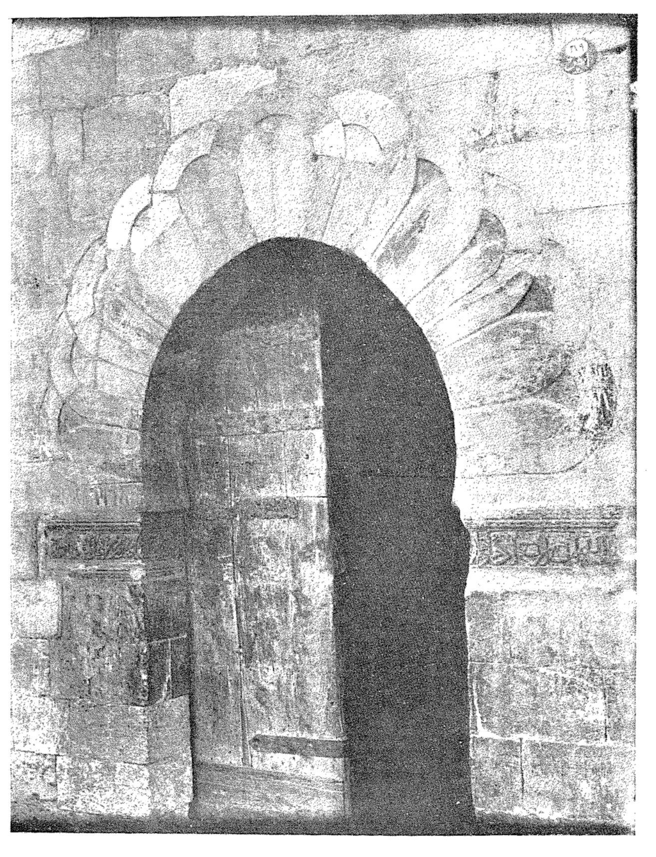
٢٣ – باب المدرسة السلطانية بحلب
(سنة ٦١٣ – ٦٢٥ هـ . ١٢١٦ – ١٢٢٧ م)



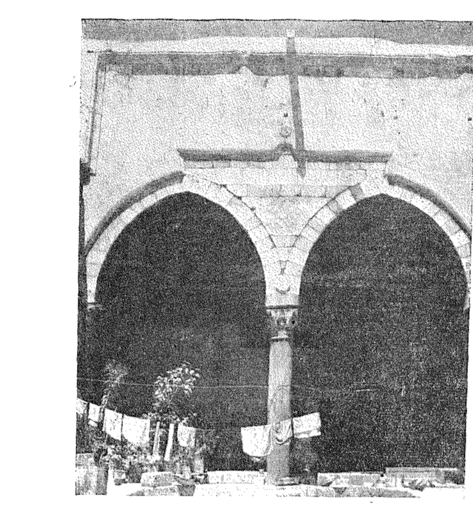
٢٤ – العقد الغريب بمطبخ العجمى بحلب
(القرن الثالث عشر الميلادى)



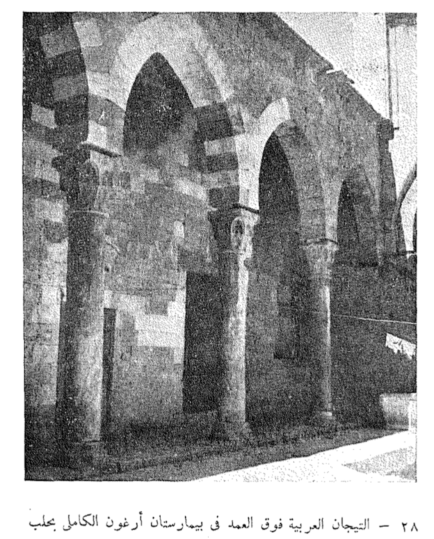
٢٥ — محراب مدرسة الفردوس بحلب (سنة ٦٣٣ هـ . ١٢٣٥ م)



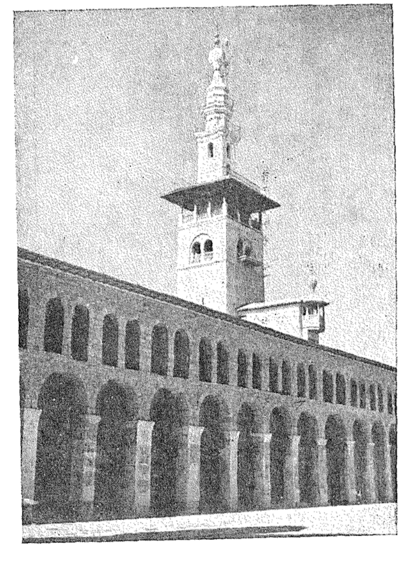
٢٦ – باب رباط أزدمر . مصطفى باشا حاكم اليمن بشارع القادرية بالإمام الشافعى بمصر
(حوالى سنة ٦٦٦ هـ . ١٢٦٧ م)



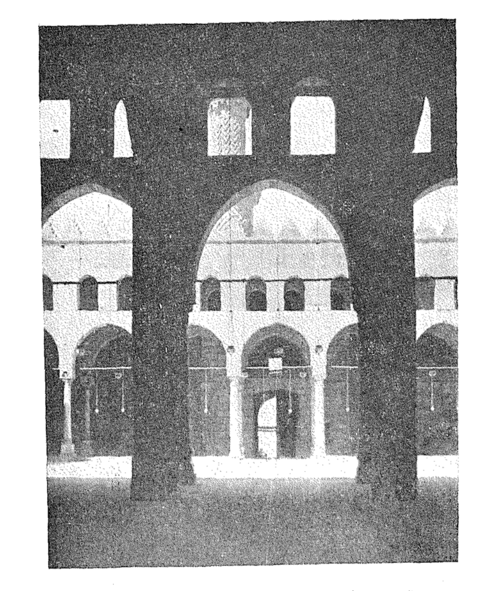
٢٧ – الإيوان الغربى ببيمارستان أرغون الكاملى بحلب (سنة ٧٥٥هـ . ١٣٥٥م)



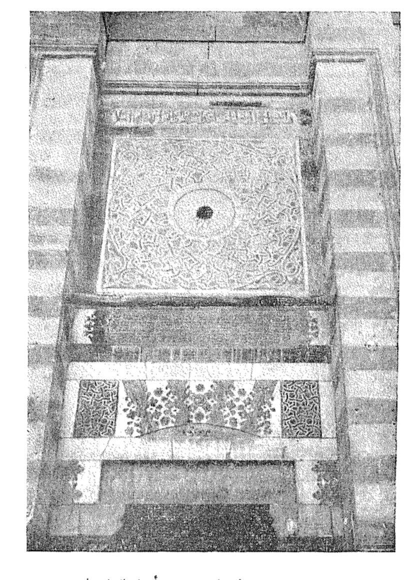
٢٨ – التيجان العربية فوق العمد فى بيمارستان أرغون الكاملى بحلب



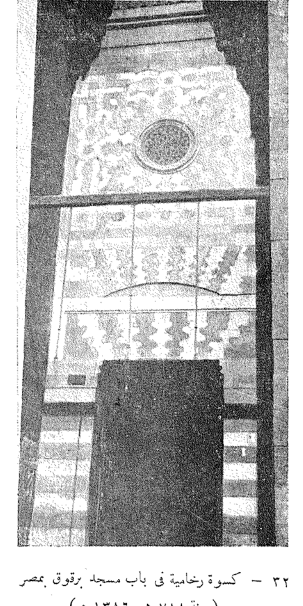
٢٩ – العقود حول صحن الجامع الأموى بدمشق
(سنة ٨٦ هـ . ٧٠٥ م)



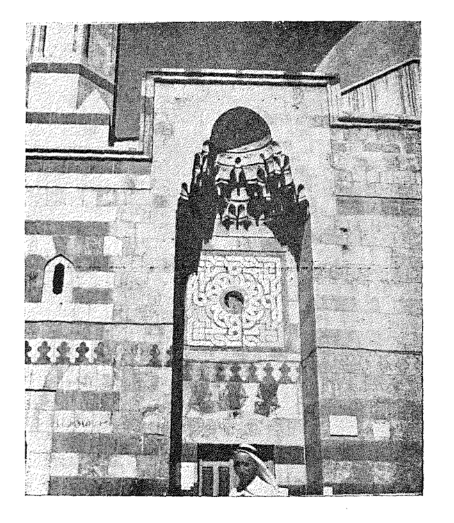
٣٠ – العقود حول صحن مسجد الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل بمصر
(سنة ٧٣٥ هـ . ١٣٣٥ م)



٣١ – كسوة رخامية في باب مسجد أصلم السلحدار بمصر
(سنة ٧٤٥ هـ . ١٣٤٥ م)

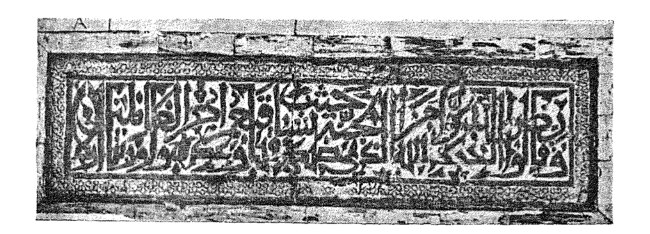


٣٢ – كسوة رخامية في باب مسجد برقوق بمصر
(سنة ٧٨٨ هـ . ١٣٨٦ م)

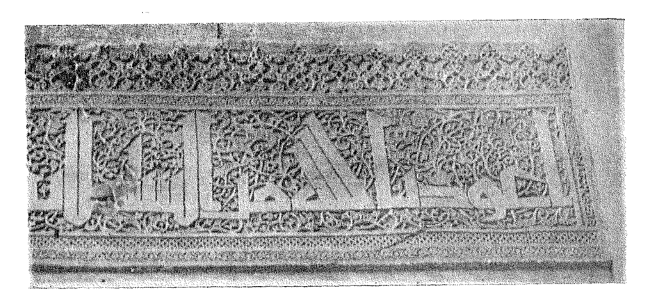


٣٣ – كسوة رخامية فى باب التربة الأرغونية بدمشق

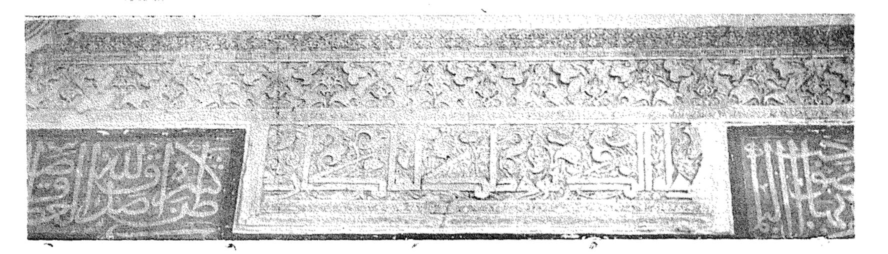
٣٤ — طراز مكتوب بالخطين الكوفى والنسخى برقبة القبة البحرية بخانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية بالقاهرة
(سنة ٨٠٣ ﻫ . ١٤٠٠ م)



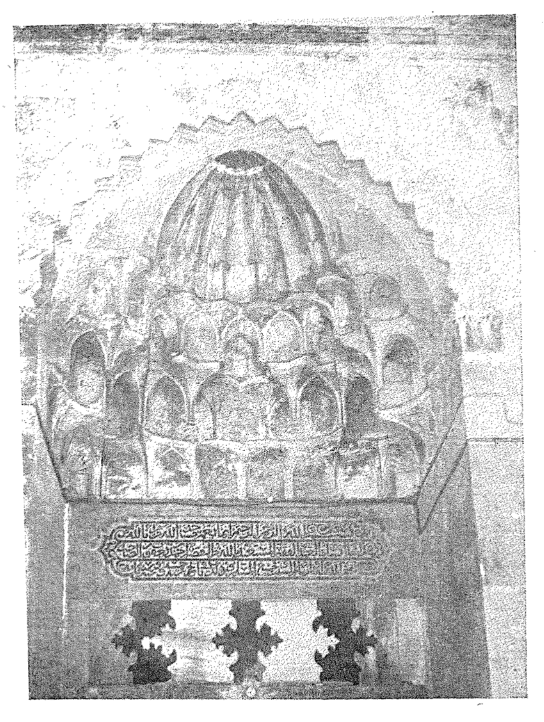
٣٥ — طراز مكتوب بالخطين الكوفى والنسخى بالمدرسة الجقمقية بدمشق (سنة ٨٢٤ ﻫ . ١٤٢١ م)



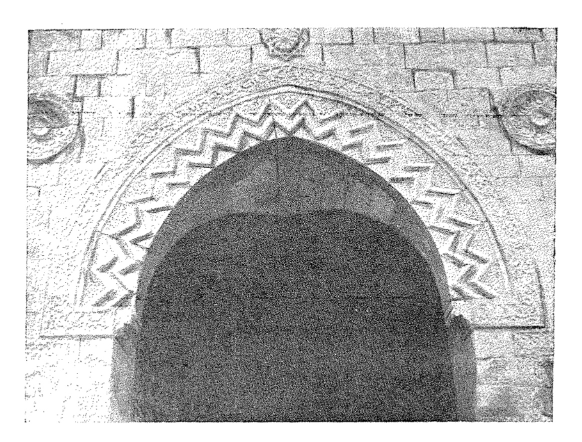
٣٦ – طراز مكتوب بالخط الكوفى بمدرسة السلطان حسن بمصر (سنة ٧٥٧ هـ . ٧٦٤ م)



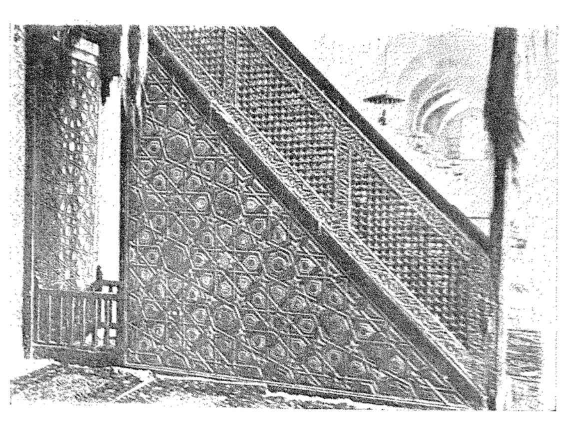
٣٧ – طراز مكتوب بالخط الكوفى فى مسجد يلبغا بدمشق (سنة ٧٤٧ هـ . ١٣٤٧ م)



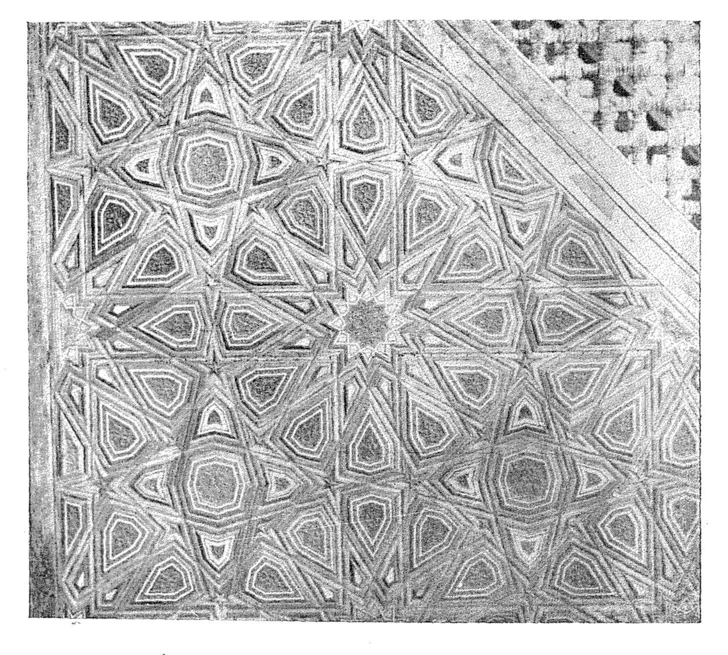
٣٨ – مدخل مسجد الفستق (المدرسة الصاحبية) بحلب (سنة ٧٥٠ ﻫ . ١٣٥٠ م)



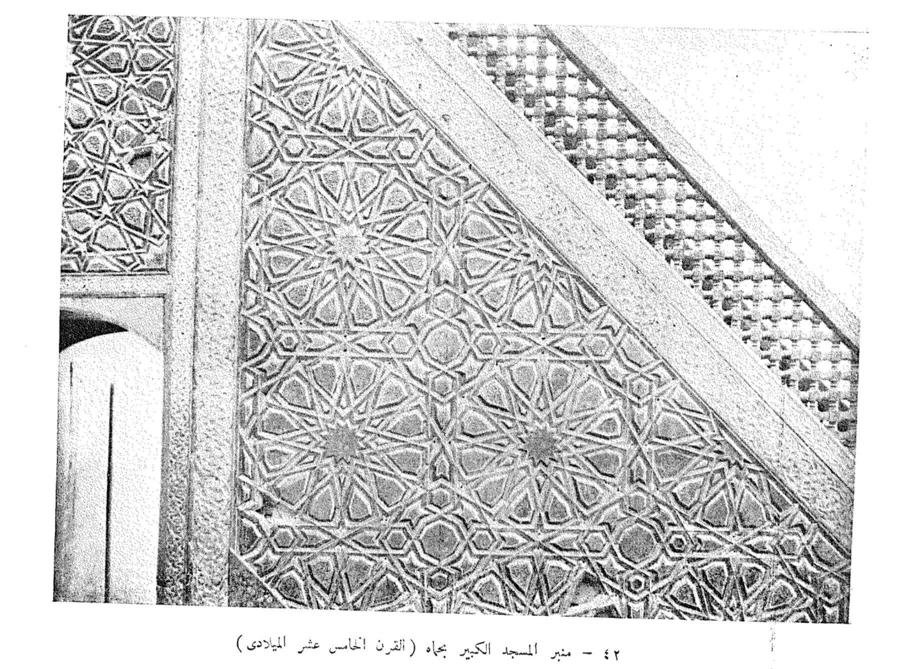
٣٩ — عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى بالقاهرة (سنة ٦٦٧ هـ . ١٢٦٩ م)



٤٠ — منبر الجامع الكبير بحلب (أوائل القرن الثامن الهجرى)

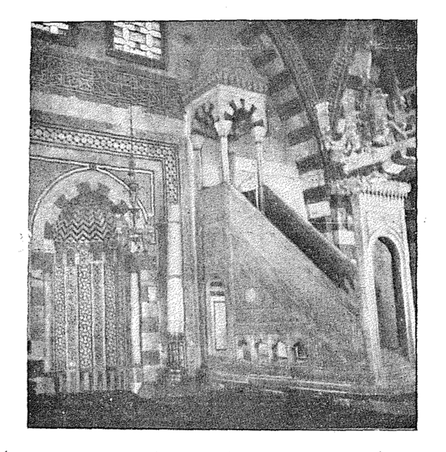


٤١ – منبر مسجد حدق القهرمانة بمصر (سنة ٧٤٠ هـ . ١٣٤٠ م)

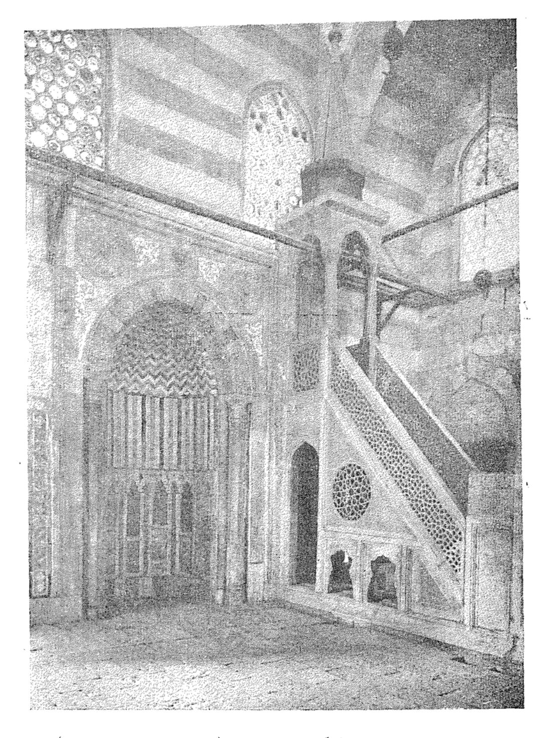


٤٢ – منبر المسجد الكبير بجاه (القرن الخامس عشر الميلادى)

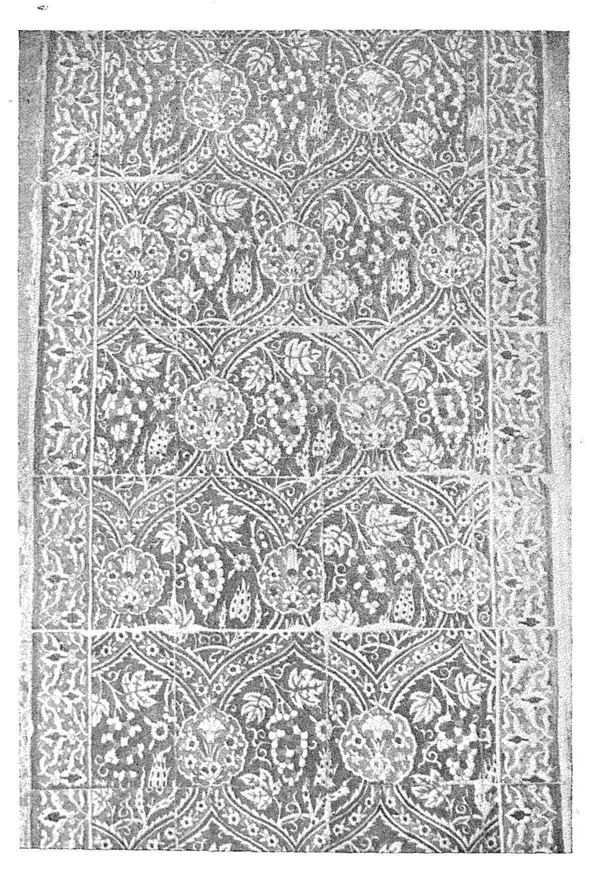
٤٣ — منبر مسجد تغري بردي بمصر (سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)



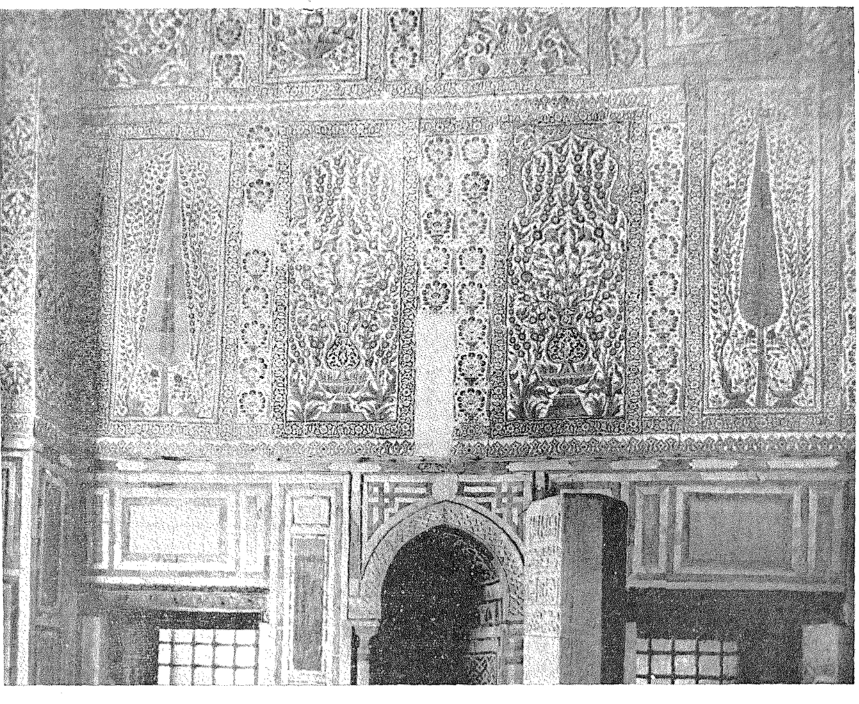
٤٤ – محراب ومنبر مسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)



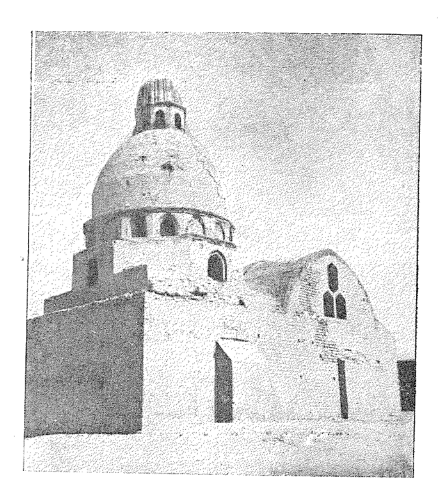
٤٥ - محراب ومنبر مسجد الملكة صفية بمصر (سنة ١٠١٩ هـ . ١٦١٠ م)



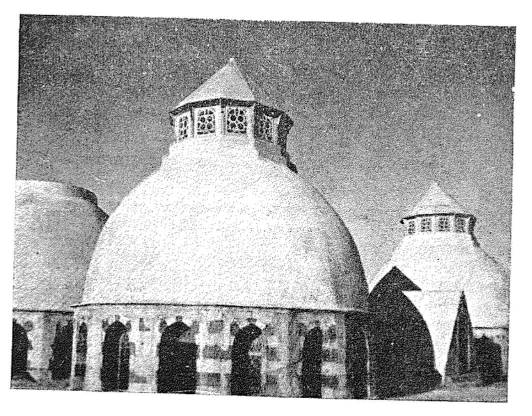
٤٦ – قاشاني دمشقي بمسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)



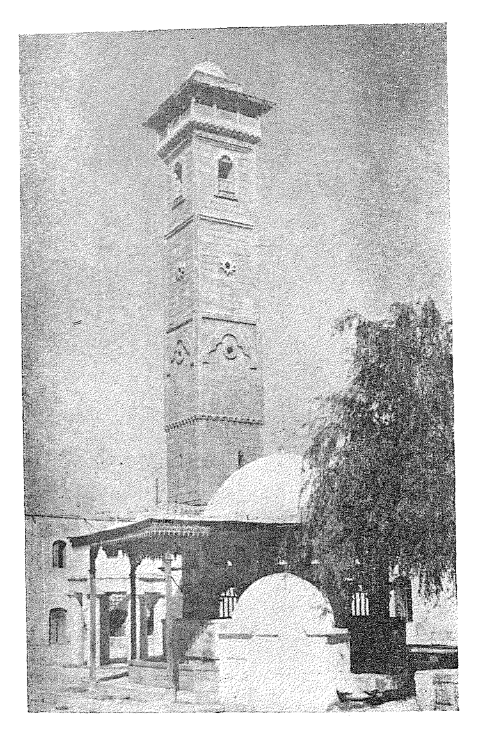
٤٧ – قاشاني تركي بمدفن إبراهيم أغا بمسجد آق سنقر بمصر (سنة ١٠٦٢ هـ . ١٦٥١ م)



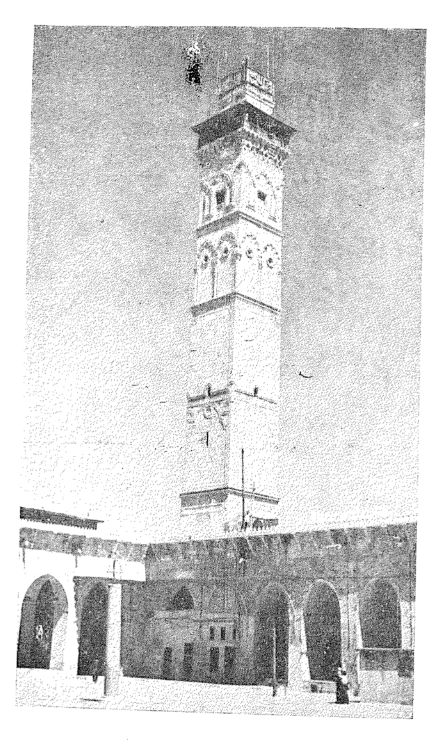
٤٨ – قبة المنوفى بالقرافة القبلية بمصر (نهاية القرن الثالث عشر الميلادى)



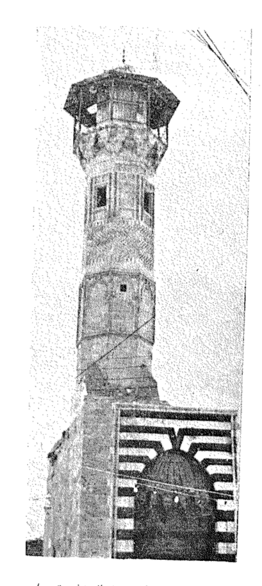
٤٩ – قبة خان أسعد باشا العظم بدمشق (سنة ١١٦٦ ه . ١٧٥٢ م)



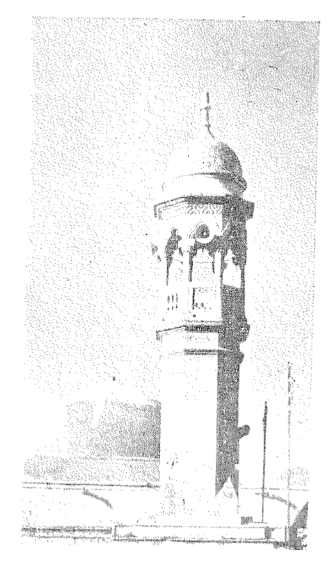
٥٠ – منارة الجامع الكبير بمعرة النعمان



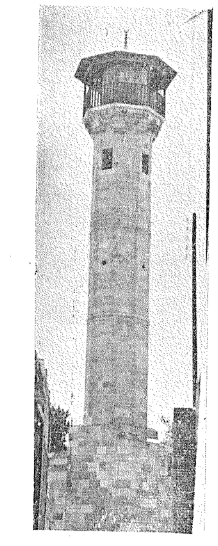
٥١ – منارة الجامع الكبير بحلب



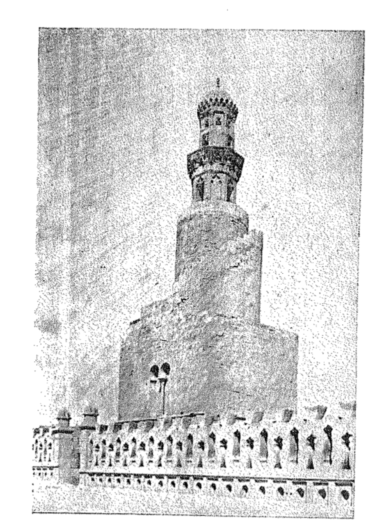
٥٢ – منارة المدرسة السفاحية بحلب
(سنة ٨٢٨ هـ . ١٤٢٤ م)



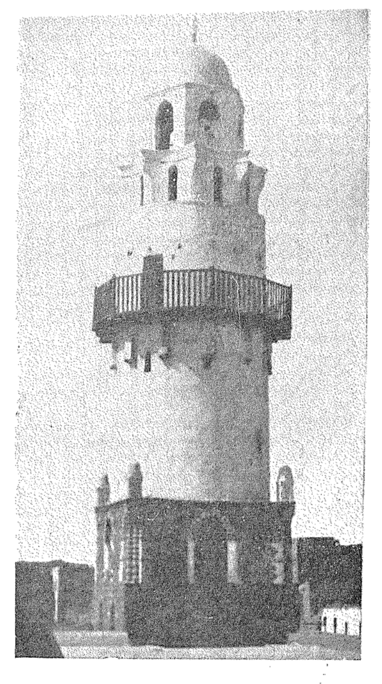
٥٣ – منارة المولوية بحلب
(سنة ١٢٧٨ هـ . ١٨٦١ م)



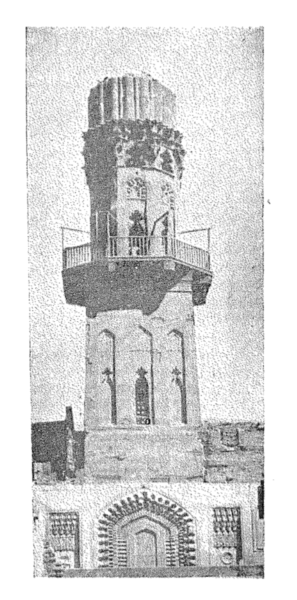
٥٣ م – منارة مسجد الموازيني بحلب
(سنة ٧٩٧ هـ . ١٣٩٤ م)



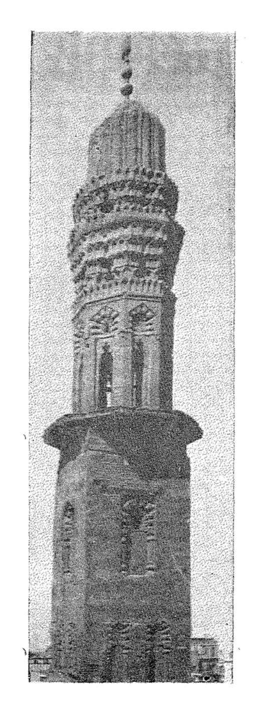
٥٤ – منارة الجامع الطولونى بمصر (سنة ٦٩٦ هـ . ١٢٩٦ م)



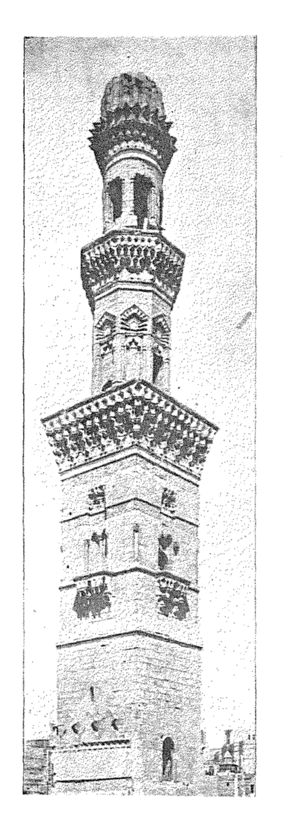
٥٥ – منارة الجامع العتيق بإسنا سنة ٤٧٠ هـ ١٠٧٧ م



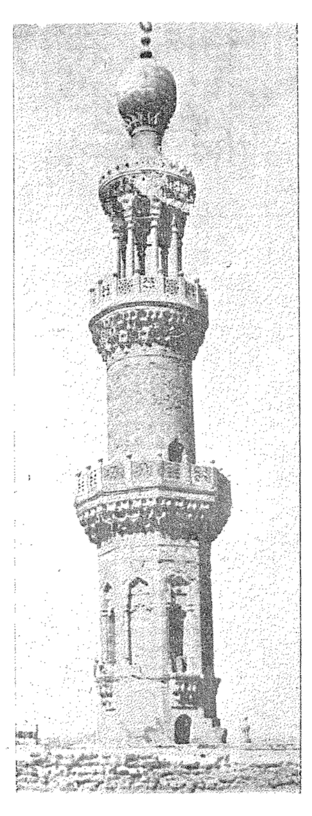
٥٦ – منارة مدارس الصالح نجم الدين بالقاهرة ٦٤١ هـ



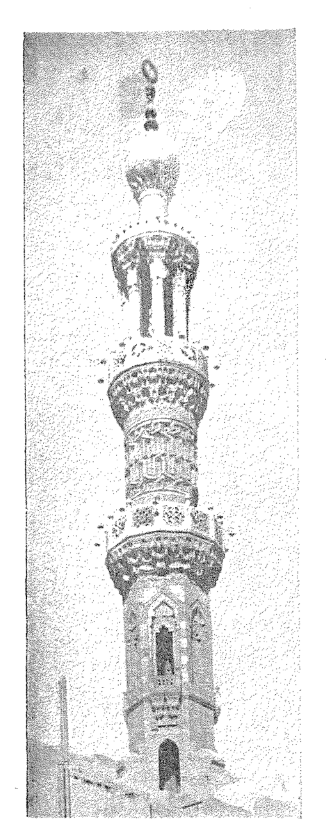
٥٧ – منارة مدرسة سنقر السعدي حسن صدقه
(سنة ٧٢١ هـ)



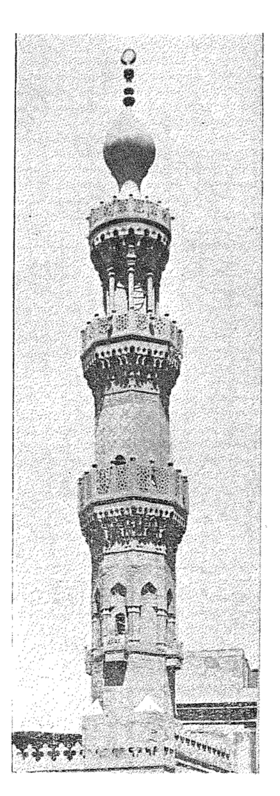
٥٨ – منارة خانقاه قوصون
(سنة ٧٣٦ هـ)



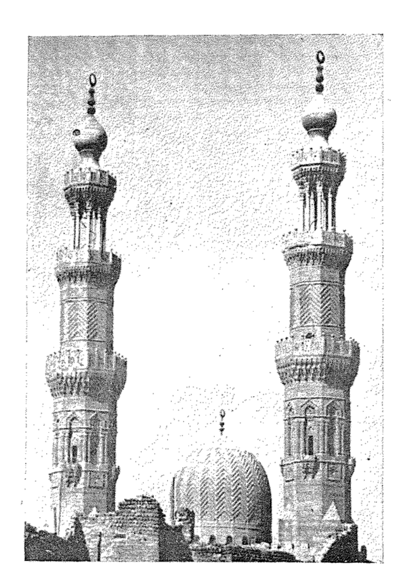
٥٩ — منارة مدرسة الجاى اليوسفى (سنة ٧٧٤ ﻫ)



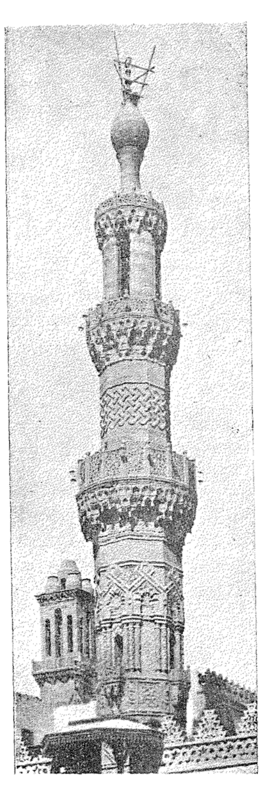
٦٠ — منارة مسجد آسنبغا (سنة ٧٧٢ ﻫ)



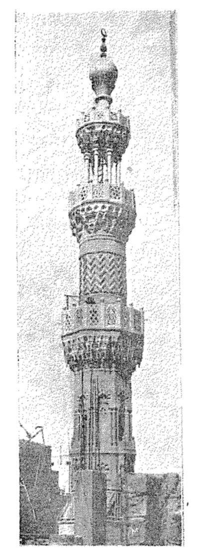
٦١ – منارة مسجد القاضى يحيى بشارع الأزهر
(سنة ٨٤٨ هـ . ١٤٤٤ م)



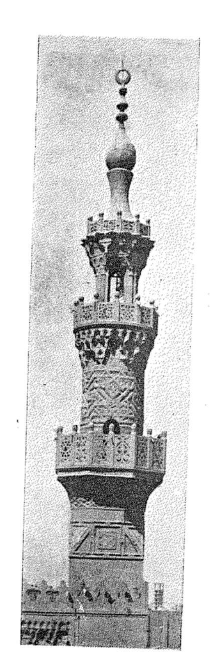
٦٢ – منارتا مسجد المؤيد شيخ فوق باب زويلة
(سنة ٨٢٣ هـ . ١٤٢٠ م)



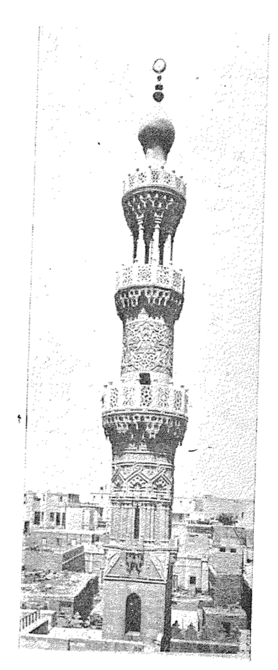
٦٣ – منارة السلطان قايتباى بالأزهر
(سنة ٨٧٣ هـ . ١٤٦٨ م)



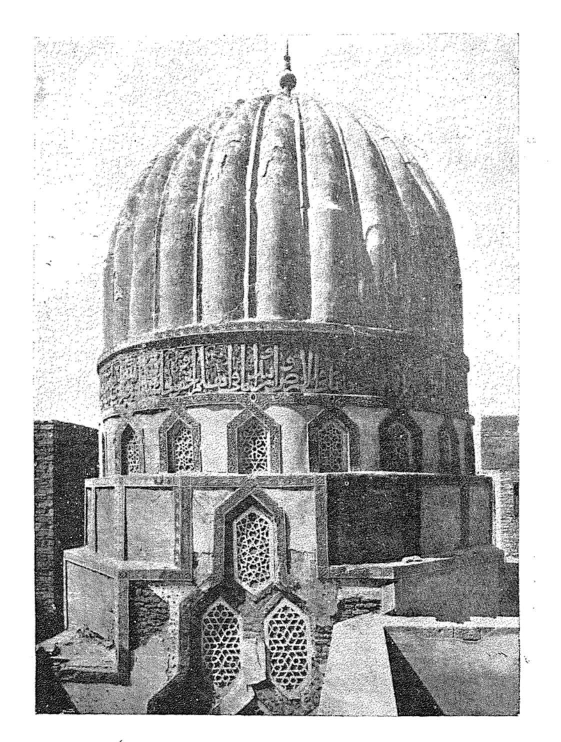
٦٤ – منارة مسجد تميم الرصافى
(تم رصاص) بحارة السيدة زينب
(قبل سنة ٨٧٦ هـ)



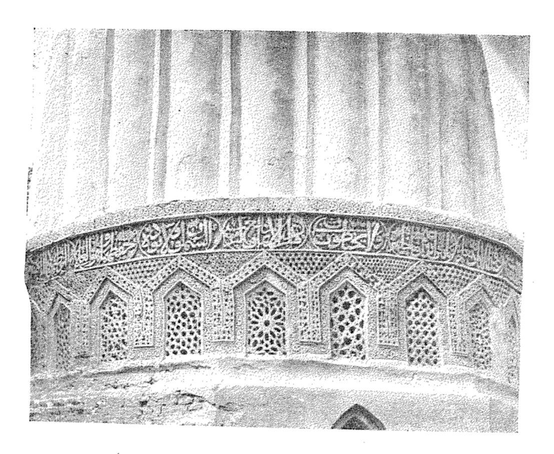
٦٥ — منارة مسجد قايتباى بقلعة الكبش
(سنة ٨٨٠ هـ . ١٤٧٥ م)



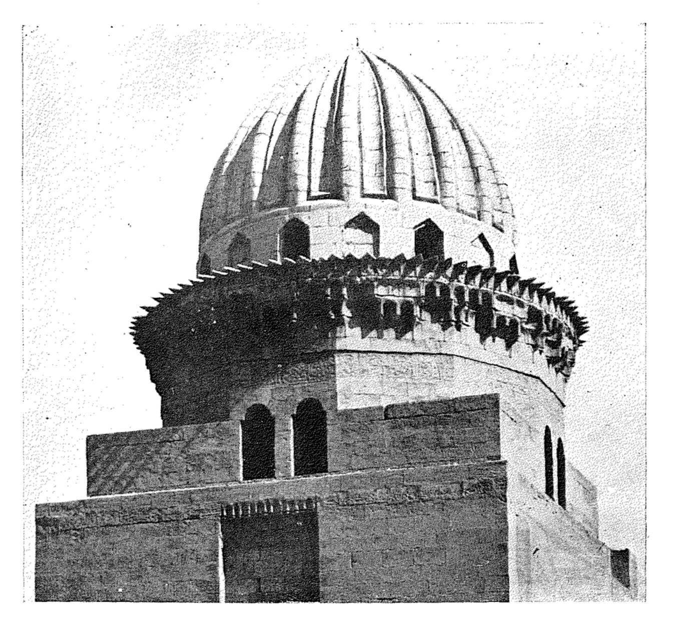
٦٦ — منارة مدرسة جانم البهلوان بالسروجية
(سنة ٨٨٣ هـ . ١٤٧٨ م)



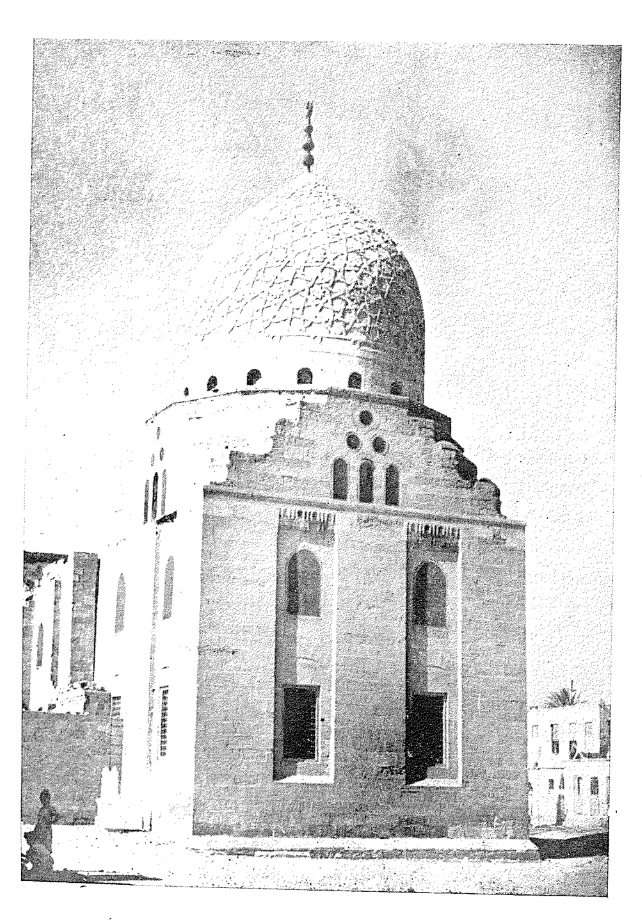
٦٧ — قبة زين الدين يوسف (سنة ٦٩٧ هـ . ١٢٩٨ م)



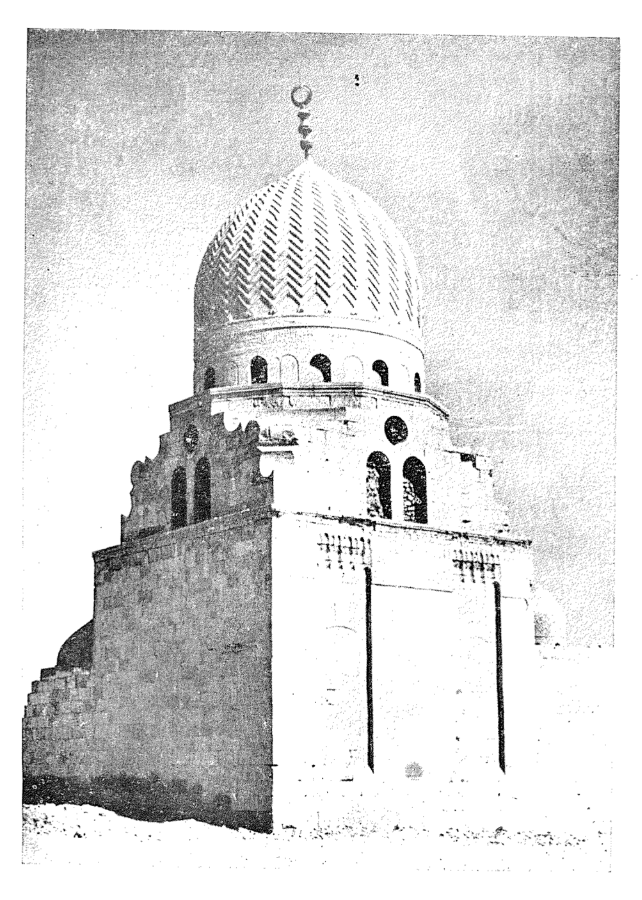
٦٨ — قبة الخانقاه البندقدارية (سنة ٦٨٢ هـ . ١٢٨٥ م)



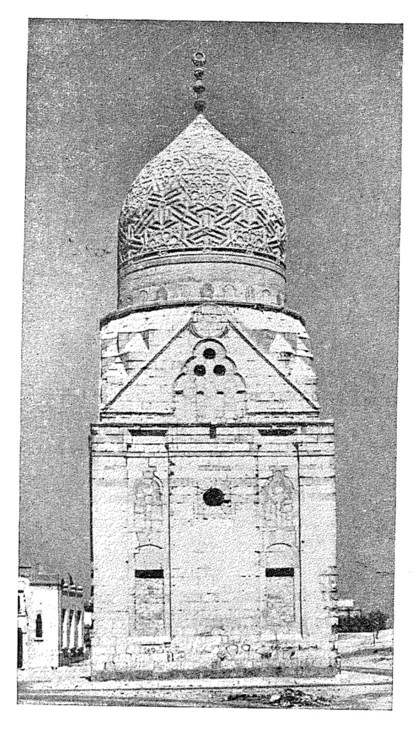
٦٩ — قبة تنكزبغا بصحراء السيوطى (القرافة القبلية) (سنة ٧٦٤ ﻫ . ١٣٦٤ م)



٧٠ – قبة الأشرف برسباى بالقرافة الشرقية (سنة ٨٣٥ ﻫ . ١٤٣١ م)

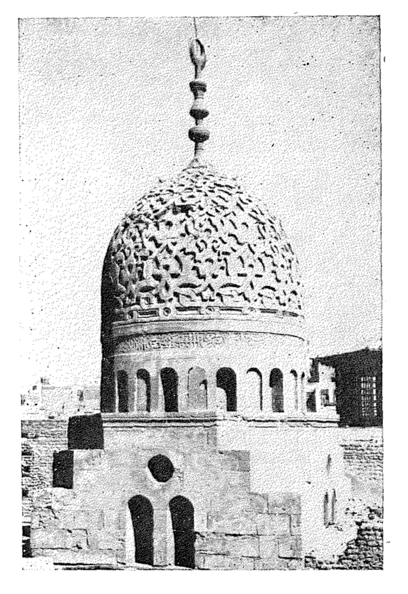


٧١ — قبة الأمير برسباى البجاسى بالقرافة الشرقية (سنة ٨٦١ هـ . ١٤٥٣ م)

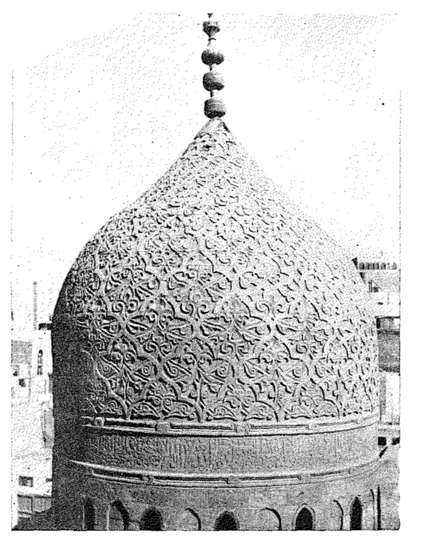


٧٢ – قبة قانصوه أبو سعيد بالقرافة الشرقية

(سنة ٩٠٤ هـ . ١٤٩٩ م)



٧٣ — قبة المدرسة الجوهرية بالجامع الأزهر (قبل سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)



٧٤ – قبة مسجد قانيباى أميراخور بميدان صلاح الدين
(سنة ٩٠٨ هـ . ١٥٠٣ م)

الجمهورية العربية المتحدة

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

— ٣٢ —

الحلقات الدراسية (٢)

القاهرة

١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م


الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
القاهرة
مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر . تليفون ٤٤١١٨
١٣ شارع خلال بالقاهرة . تليفون ٥٦٦٣٩
Bibliotheca Alexandrina
0234141